وسطية أهل السنة

بين الفرق

تأليف

د. محمد باكريم محمد باعبد الله

الأستاذ المساعد
بكلية الدعوة وأصول الدين
بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

دار الراية
للنشر والتوزيع



﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾

[البقرة: ١٤٣]

هٰذا الكتاب في الأصل رسالة جامعية نال بها المؤلف درجة (العالمية العالية): (الدكتوراه)، من قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، بتقدير مرتبة الشرف الأولى، بإشراف الأستاذ الدكتور علي بن محمد بن ناصر فقيهي، سنة ١٤٠٩هـ

وسطية أهل السنة

بين الفرق

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

ح دار الراية للنشر والتوزيع ١٤١٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

باعبد الله ، محمد باكريم محمد
وسطية أهل السنة بين الفرق.
٥٢٦ص ، ١٧×٢٤ سم
ردمك ٤ - ٠٢ - ٦٦١ - ٩٩٦٠
١ - أهل السنة ٢ - الفرق الإسلامية ٣ - علم الكلام
أ - العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٥/٠٤٧٩

رقم الإيداع : ١٥/٠٤٧٩
ردمك ٤-٠٢-٦٦١-٩٩٦٠

دار الراية
للنشر والتوزيع

الريـــاض : الربوه - طريق عمر بن عبد العزيز - هاتف ٤٩١١٩٨٥ / فاكس ٤٩٣١٨٦٩

ص.ب (٤٠١٢٤) الريـــاض (١١٤٩٩)

جـــدة : حي الجامعة - جنوب شارع باخشب - هاتف ٦٨٨٥٧٤٩

مقـدّمة

إنّ الحمد للّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاَّ وأَنْتُمْ مُسْلِمونَ﴾(١).

﴿يَـا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُـولَـهُ فَقَـدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمـاً﴾(٣)

وبعد:

فإن من نعمة الله على هٰذه الأمة المحمدية، وتشريفه لها، أن جعلها أمة

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٧٠ ـ ٧١.

وسطاً خياراً عدولاً فقال: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾[1]، فهي خير الأمم التي أخرجت للناس قاطبة كما وصفها وشهد لها ربها وخالقها بذلك، فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرونَ بِالمَعْروفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وتُؤْمِنونَ بِاللَّهِ﴾[2].

اختار لها سبحانه من خيارها وأوسطها نسباً ومكانة خيرة خلقه وأفضل رسله فبعثه فيها نبياً رسولاً: ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3].

وأنزل عليها أشرف كتبه، وجعله مهيمناً على الكتب قبله شاملاً لخير ما جاءت به: ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾[4].

بهذا النبي الكريم، وهذا الكتاب العظيم شرفت هذه الأمة وبمتابعتهما، والاهتداء بهديهما، كانت خير الأمم وأوسطها وأعدلها.

ثم كان أسعد هذه الأمة بهذه الخيرية، أسعدها باتباعهما، وأحرصها على هديهما قولاً وعملاً واعتقاداً وهم أصحاب رسول الله ﷺ، ثم تابعوهم، ثم التابعون لهم بإحسان من القرون الثلاثة المفضلة، التي شهد لها النبي ﷺ بالخيرية في قوله: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[5]، فهؤلاء هم خيار الأمة.

ثم يلحق بهم كل من كان على مثل ما كانوا عليه من الهدي والتمسك

---

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

(٣) سورة التوبة: ١٢٨.

(٤) سورة المائدة: ٤٨.

(٥) خ / كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٧ / ٣ ح ٣٦٥٠) (مع الفتح).

بكتـاب الله وسنة رسوله ﷺ، من أهل السنة والجماعه في كل زمان ومكان، الذين أخبر النبي ﷺ في حديث الافتراق[1] بأنهم الفرقة الناجية، وأنهم الجماعة.

فهٰؤلاء جميعاً هم خيار هٰذه الأمة، وأوسطها.

فإنَّـه بعـد انتقـال رسول الله ﷺ إلى جوار ربه، ومُضِيٍّ عصر الخلافة الراشدة بدأ في آخر عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ظهور التفرق والاختلاف، فخرجت الخوارج ببدعها وأطلت الشيعة بغلوها وفتنها، ثم توالى ظهور البدع وتَكَوُّنُ الفرق كما سيأتي ذٰلك.

وكلٌ من هٰذه الفرق قد خالف ما كانت عليه الأمة في عهد الرسول ﷺ وصدر الخلافة الراشدة، وابتدع في الدين ما لم يأذن به الله، وانحرف عن سواء الصراط؛ إمَّا إلى تفريط، أو إلى إفراط، وشابَهَ الأمَمَ الأخرى في بعض بدعها؛ فانحطت منزلة هذه الفرق، وابتعدت عن الوسطية الثابتة لهٰذه الأمة على تفاوت بينها في قدر ذٰلك ومبلغه.

وأصبح أهل السنة في هذه الأمة كهٰذه الأمة بالنسبة لسائر الأمم، فهم وسط بين فرقها كما أنها وسط بين الأمم.

يدرك هذا المعنى كل دارس متفحص لأقـوال أهل السنة وأقوال الفرق الأخرى في كثير من مسائل العقيدة وأبواب الدين.

إذا يجد أمر هٰذه الفرق يدور بين الغلو والإفراط، وبين التقصير والتفريط، وأهل السنة بين إفراط أولئك وتفريط هٰؤلاء على هدي قاصد وصراط مستقيم.

ولمّـا كانت الحـاجـة تَمَسُّ لتقرير وسطية أهل السنة والجماعة، وبيان اعتدالهم في أقوالهم واعتقادهم وسائر أمورهم، ولا سيما في هذا الوقت الذي

---

(١) سيأتي نصه وتخريجه ص ٣٨.

تحتاج فيه هذه الأمة إلى بيان الوسطية والاعتدال والتزامهما، لما نراه من تعدد السبل واختلافها، وتشعب الطرق، والمناهج، وادعاء أصحابها والداعين إليها أنهم على الحق والسنة دون غيرهم.

لذٰلك كله كانت هذه الدراسة المقارنة التي أرجو أن تكون لبنة في بناء دراسات تالية تسلط الأضواء على الوسطية والتوازن والاعتدال التي هي سمة هذه الأمة بعامة، وأهل السنة على وجه الخصوص، وتتناول جوانب أخرى لم تُطرق في بحثنا هذا، تستكمل فيها جوانب ومظاهر وسطية أهل السنة وعدالتهم واعتدالهم[1].

خطة البحث:

جعلت العمل في هٰذا البحث في: تمهيد، وبابين، وخاتمة.

أما التمهيد فجعلته في أربعة مباحث:

المبحث الأول: في معنى الوسطية في اللغة ولسان الشارع.

المبحث الثاني: في معنى السنة في اللغة والاصطلاح.

والمبحث الثالث: بينت فيه المراد بأهل السّنة؟

والمبحث الرابع: في أسماء أهل السنة وألقابهم عندهم، وعند خصومهم من أهل البدع.

والباب الأول: في وسطية هٰذه الأمة

---

(١) عند إعداد هذا البحث للنشر اطّلعتُ على دراسات هامة حول الوسطية أبرزت جوانب أخرى مهمة من جوانب الوسطية، أولاها بعنوان: «الوسطية في الإسلام تعريف وتطبيق»، للدكتور زيد بن عبدالكريم الزيد، نشر: دار العاصمة في الرياض عام ١٤١٢هـ، والأخرى بعنوان: «الوسطية في ضوء القرآن» الكريم للدكتور ناصر سليمان العُمَر، نشر: دار الوطن عام ١٤١٣هـ، نفع الله بها.

بينت فيه وسطيتها من عدة أوجه في تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: بينت فيها معنى الأمة، والوسطية المثبتة لها والمناسبة بين وسطية هٰذه الأمة ووسطية أهل السنة.

والفصل الأول: في عدالة هٰذه الأمة ـ وفيه أربعة مباحث:

الأول: في وجوب العدل على هذه الأمة وصور من قيامها به.

الثاني: في وصف الله هٰذه الأمة بالعدالة وشهادته لها بها.

الثالث: في اعتراف أعداء هٰذه الأمة بعدالتها وشهادتهم لها بذٰلك.

الرابع: العدل عند أهل الكتاب.

الفصل الثاني: في خيرية هٰذه الأمة ـ وفيه مبحثان:

الأول: في إثبات خيريَّتها.

والثاني: في أوجه خيريَّتها.

الفصل الثالث: في اعتدال هٰذه الأمة وتوسطها بينْ طرفي الإفراط والتفريط، وفيه مبحثان:

الأول: في وسطيتها واعتدالها في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته.

والثاني: وسطيتها في باب أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

الباب الثاني: في بيان وسطية أهل السنة بين الفرق

بينت فيه وسطية أهل السنة واعتدالهم، وسلامة أقوالهم واعتقادهم من الإفراط والتفريط، وجعلته في: تمهيد، وخمسة فصول:

التمهيد: بينت فيه نبذة عن ظهور الفرق في هٰذه الأمة وأسباب ذٰلك.

والفصل الأول: في بيان وسطية أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته

وفيه أربعة مباحث.

الأول: في بيان قول أهل التعطيل.

الثاني: في بيان قول أهل التشبيه والتمثيل.

والثالث: في بيان قول أهل سواء السبيل.

والرابع: في بيان وسطية قول أهل السنة في هٰذا الباب.

والفصل الثاني: في بيان وسطية أهل السنة في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد، وفيه بمحثان:

الأول: وسطيتهم في الأسماء والأحكام.

والثاني: في وسطيتهم في الوعد والوعيد.

الفصل الثالث: في وسطية أهل السنة في باب القدر، وفيه ثلاثة مباحث:

الأول: في معنى القدر.

الثاني: في نشأة الكلام في القدر ونزاع الناس فيه.

الثالث: في بيان وسطية أهل السنة فيه.

الفصل الرابع: في وسطيتهم في باب الصحابة رضوان الله عليهم، وفيه:

تمهيد: بينت فيه معنى الصحابي، ومنزلة الصحابة ومكانتهم في الكتاب والسنة وجعلت المبحث:

الأول: في بيان قول الخوارج والمعتزلة.

والثاني: في ذكر قول من جمع بين الغلو والجفاء.

والثالث: في ذكر قول أهل السنة والجماعة.

الفصل الخامس: في بيان وسطية أهل السنة في باب تعظيم الرسول ﷺ

والصالحين من أمته، وفيه تمهيد، ومبحثان:

المبحث الأول: في وسطيتهم في باب تعظيم النبي ﷺ.

المبحث الثاني: في بيان وسطيتهم في باب تعظيم الصالحين من أمته.

ثم ذيلت البحث بخاتمة بينت فيها خلاصة ما عالجه من المسائل، وما توصلت إليه فيها من نتائج.

وصنعت بعض الفهارس التي تعين القاريء الكريم على إدراك بغيته، والوقوف على مطلبه في يسر وسهولة، فجعلت:

فهرساً: للآيات القرآنية الكريمة.

وفهرساً: للأحاديث الشريفة والآثار.

وفهرساً: للفرق والطوائف والجماعات.

وفهرساً: للمصادر والمراجع المستخدمة في البحث.

وفهرساً: للموضوعات.

الرموز المستعملة في البحث:

استعملت بعض الرموز لبعض المصادر الحديثية، وذلك على النحو التالي:

خ: صحيح البخاري (مع فتح الباري).

م: صحيح مسلم.

ت: جامع الترمذي.

د: سنن أبي داود.

جه: سنن ابن ماجه.

حم : مسند الإمام أحمد .

وسائر المراجع والمصادر الأخرى أذكرها بأسمائها كاملة :

وختاماً، أحمد الله عز وجل وأشكره على ما مَنَّ به من الإعانة على إتمام هٰذا البحث وإخراجه، ثم أشكر كل من كان عوناً على ذٰلك، وفي مقدمتهم فضيلة شيخي وأستاذي الكريم الأستاذ الدكتور علي بن محمد بن ناصر فقيهي، الذي تولَّى الإشراف على إعداد هٰذا البحث، وكان لتوجيهاته وإرشاداته القيمة الأثر الكبير في الوصول به إلى ما هو عليه فجزى الله الجميع خير الجزاء .

وبعد أخي القارىء الكريم هذا جهد المقل، أضعه بين يديك، وقد بذلت فيه جهدي، واستفرغت طاقتي ووسعي، فما كان فيه من صواب وحق فبتوفيق الله وحده وله المنة والفضل، وما كان فيه من خطل، أو زلل وخلل فمني ومن الشيطان، لك غنمه وعليَّ غُرمه، على أني أطمع إذا اطَّلعتَ على زلَّةٍ أو هنَّةٍ أن توقفني على ذٰلك، مشكوراً مأجوراً إن شاء الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المؤلف

المدينة النبوية

١٨ / ٤ / ١٤١٤هـ

●●●●●

تمهيـــــد

وفيه مباحث:

- المبحث الأول: في بيان معنى الوسطية.
- المبحث الثاني: في بيان معنى السنة.
- المبحث الثالث: في بيان المراد بأهل السنة.
- المبحث الرابع: في أسماء أهل السنة وألقابهم عندهم وعند خصومهم.

المبحث الأول
معنى الوسطية في اللغة وفي استعمال الشارع

● أولاً: الوسطية في اللغة:

مادة (وسط) تدل على معان متقاربة، يقول ابن فارس: (الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل، والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه...)[1].

فـ (كلمة (وسط) تضبط على وجهين:

الأول: (وسْط)؛ بسكون السين.

فتكون ظرفاً بمعنى (بين).

قال في «لسان العرب»: (وأما الوسْط بسكون السين فهو ظرف لا اسم، جاء على وزان نظيره في المعنى وهو (بين)، تقول: جلست وسْطَ القوم، أي بينهم...).

ومنه قول سَوّار بن المضَرَّب:

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، (بتحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الكتب العلمية ـ إيران)، ٦ / ١٠٨.

إنِّــي كَأنِّــي أرى مَنْ لا حَياءَ لَهُ وَلا أَمَـانَـة وَسْطَ النَّـاسِ عُرْيَانـا[1]

الثاني: (وسَط)؛ بفتح السين:

وتأتي لمعان متعددة متقاربة، فتكون:

١) اسماً: لما بين طرفي الشيء وهو منه. فتقول: قبضت وسَطَ الحبل، وكسرت وسَطَ القوس، وجلست وسط الدار. وهٰذا حقيقة معناه[2].

٢) تأتي صفة بمعنى (خيار، وأفضل، وأجود)، فأوسط الشيء (أفضله، وخياره) كوسط المرعى خير من طرفيه، ومرعى وسَطَ؛ أي: خيار ومنه:

إنَّ لهَــا فَوارِسَــاً وَفُــرُطــاً وَنـفْــرةَ الـحيِّ ومَــرْعَى وَسَــطاً[3]

وواسطة القلادة: الجوهر الذي وسطها وهو أجودها[4].

ورجل وسَط ووسيط: حسن[5].

٣) وتأتي (وسَط) بمعنى: (عدل) كما تقدم قول ابن فارس أنه يدل على العدل. . . وأن أعدل الشيء أوسطه.

وفي «لسان العرب»: (ووسَط الشيء وأوسَطه أعدله)[6].

---

(١) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (نشر: دار صادر ـ بيروت)، ٧ / ٤٢٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٧ / ٤٢٧ ـ ٤٢٨.

(٣) نفس المصدر ٧ / ٤٢٧، ٤٣٠.

(٤) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، (تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطار، ط. الثالثة، ١٤٠٢هـ)، ٣ / ١١٦٧.

(٥) ابن منظور، لسان العرب ٧ / ٤٣٠.

(٦) ٧ / ٤٣٠.

وفي «القاموس»: (الوسَط: محركة. من كل شيء أعدله. . .)[1].

وكذا قال الجوهري في «الصحاح»[2].

٤) وتأتي (وسَط) بمعنى: الشيء بين الجيد والرديء.

قال الجوهري: (ويقال أيضاً: شيء وسَط: أي بين الجيد والرديء)[3].

وقال صاحب «المصباح المنير»: (الوسَط بالتحريك المعتدل، يقال: شيء وسَط: أي بين الجيد والرديء. . .)[4].

وكيفما تصرفت هذه اللفظة، نجدها لا تخرج في معناها عن معاني العدل والفضل والخيرية والنصف والبينية والتوسُّط بين الطرفين. فتقول:

(وسوطاً) بمعنى: المتوسط المعتدل، ومنه قول الأعرابي: (علمني ديناً وسوطاً لا ذاهباً فروطاً ولا ساقطاً سقوطاً. فإن الوسوط ها هنا المتوسط بين الغالي والتالي)[5].

و (وسيطاً): أي حسيباً شريفاً.

قال الجوهري: (وفلان وسيط في قومه إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم محلاً، قال العرجي:

---

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (نشر: دار الجيل ـ بيروت)، ٢ / ٤٠٥.

(٢) ٣ / ١١٦٧.

(٣) الصحاح ٣ / ١١٦٧، وانظر أيضاً: القاموس ٢ / ٤٠٦، واللسان ٧ / ٤٣٠.

(٤) أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، (نشر: مكتبة لبنان ـ بيروت)، ص ٢٥٢.

(٥) ابن منظور، اللسان ٧ / ٤٢٩.

كَأَنِّـي لَمْ أَكُـنْ فِيهِـمْ وَسِـيطاً   وَلَمْ تَكُ نِسْبَتِي في آلِ عَمْـرِو[1])

و (الوسيط)؛ أي: المتوسط بين المتخاصمين[2].

و (التوسط): بين الناس من الوساطة[3].

و (التوسيط)؛ أي: تجعل الشيء في الوسط[4].

و (التوسيط): قطع الشيء نصفين[5].

و (وسوط الشمس): توسطها السماء[6].

و (واسطة القلادة): الجوهر الذي هو في وسطها، وهو أجودها[7].

● **ثانياً: الوسطية في استعمال الشارع:**

وردت مادة وسط في القرآن الكريم والسنة المطهرة في أكثر من آية وحديث، تدور معانيها حول المعاني اللغوية لهذه المادة.

فاستعملها الشارع بمعنى:

١) العدالة والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط.

ومن ذلك: قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾[8]: أي عدلاً.

---

(١) الصحاح ٣ / ١١٦٧.

(٢) الفيروزآبادي، القاموس ٢ / ٤٠٦.

(٣) الجوهري، الصحاح ٣ / ١١٦٧.

(٤) نفس المصدر ٣ / ١١٦٧.

(٥) نفس المصدر ٣ / ١١٦٧.

(٦) ابن منظور، لسان العرب ٧ / ٤٢٩.

(٧) الجوهري، الصحاح ٣ / ١١٦٧.

(٨) سورة البقرة آية ١٤٣.

كما فسرها النبي ﷺ، فقال: (والوسط: العدل)[1].

وفسرها بعض أهل العلم بـ (الخيار والأجود)[2].

وقال الزجاج: (وفي ﴿أُمَّةً وَسَطاً﴾ قولان:

قال بعضهم: ﴿وَسَطاً﴾: عدلاً، وقال بعضهم: أخياراً، واللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير، والخير عدل)[3].

وفسرها ابن جرير بمعنى التوسط بين الإفراط والتفريط[4].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾[5].
قال ابن عباس وغيره: (أي: أعدلهم وخيرهم)[6].

ومن ذلك قوله ﷺ: (... إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة أو أعلى الجنة...)[7].

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (أوسط الجنة أو أعلى الجنة) المراد

---

(١) خ: كتاب التفسير، باب ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾، ٨ / ١٧٢، ح ٤٤٨٧، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) منهم الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (بتحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، ط. الشعب ـ القاهرة)، ١ / ٢٧٥.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، ط. الأولى ١٤٠٨هـ. نشر: عالم الكتب ـ بيروت)، ٢ / ٢١٩.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (تحقيق وتعليق محمد محمود شاكر، دار المعارف بمصر)، ٣ / ١٤٢.

(٥) سورة القلم آية ٢٨.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٨ / ٢٢٣.

(٧) خ: كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ٦ / ١١، ح ٢٧٩٠.

بالأوسط هنا الأعدل والأفضل، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾)[١].

ومن ذلـك قوله ﷺ: (الوالد أوسط أبواب الجنة. . .)[٢]، وفي رواية: (الوالدة)؛ أي: خيرها[٣].

ومن ذلك قول أبي بكر رضي الله عنه في حديث السقيفة[٤]: «ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً»[٥].

ومن ذلك ما جاء في خبر رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم[٦]: «. . . ألا فانظروا رجلاً وسيطاً عظاماً جساماً أبيض بضّاً. . .»[٧].

قال ابن الأثير: (أي: حسيباً في قومه)[٨].

وقال الزمخشري: (الوسيط: أفضل القوم من الوسط. . .)[٩].

---

(١) فتح الباري ٦ / ١٣.

(٢) الحاكم، المستدرك ٤ / ١٥٢.

(٣) مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (بتحقيق طاهر أحمد الزاوي وحمود محمد الطناحي، نشر: المكتبة العلمية ـ بيروت)، ٥ / ١٨٤.

(٤) سقيفة بني ساعدة: هي ظلة بالمدينة كانوا يجلسون تحتها، فيها بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وبنو ساعدة الذين أضيفت إليهم السقيفة، هم حي من الأنصار منهم سعد بن عبادة، انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان، ط. ١٤٠٤، (نشر: دار صادر ـ بيروت)، ٣ / ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٥) خ: كتاب الحدود، باب رجم الحبلى، ١٢ / ١٤٥، ح٦٨٣٠.

(٦) وهي رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، كانت عند نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن قصي، ابن سعد، الطبقات الكبرى، (نشر: دار صادر)، ٨ / ٢٢٢.

(٧) البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوة (بتخريج وتعليق د. عبد المعطي قلعجي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان)، ٢ / ١٨.

(٨) النهاية في غريب الحديث، ٥ / ١٨٤.

(٩) جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، (ط. الثالثة ١٣٩٩، نشر: دار الفكر، بتحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم)، ٣ / ١٦٠.

٢) الشيء بين الجيد والرديء، أو الأرفع والأدنى.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَساكِيْنَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيْكُمْ﴾[١]، على تفسير من قال: إن المراد بالأوسط هنا: الشيء بين الجيد والرديء، كما قال ابن عباس في رواية عنه: (كان الرجل يقوت أهله قوتاً دوناً، وبعضهم قوتاً فيه سعةٌ، فقال الله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ الخبز والزيت)[٢].

وفسر بعضهم: (أوسط) في الآية بأنه: الأعدل والأمثل، فتكون الآية على هذا التفسير مندرجة تحت المعنى الأول الذي هو (العدالة والخيار والأجود).

٣) الوسطية الحسية، وهي: ما بين الطرفين وما بين طرفي الشيء وحافتيه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلوَاتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى﴾[٣]، وسميت الوسطى؛ لأن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين، على اختلاف في تحديد أي الصلوات هي[٤].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾[٥]؛ أي: دخلن به وسط العدو[٦].

---

(١) سورة المائدة آية ٨٩.

(٢) ابن جرير، جامع البيان، ١٠ / ٥٤٣.

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٨.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١ / ٢٩١ - ٢٩٥، والسيوطي، الدر المنثور، ١ / ٧٢٠ - ٧٢٩.

(٥) سورة العاديات آية ٥.

(٦) انظر: (البغوي) أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، معالم التنزيل، (تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، ط. دار المعرفة - بيروت)، ٤ / ٥١٨.

قال الرازي: (صرن بعدْوِهنّ وسط جمع العدو)[1].

وقال الشوكاني: (﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾؛ أي: توسطن بذلك الوقت، وتوسطن متلبسات بالنقع جمعاً من جموع الأعداء، أو صرن بعَدْوِهِنّ وسط جمع الأعداء. . . يقال: وسطت المكان؛ أي: صرت في وسطه)[2].

ومن ذلك قوله ﷺ: (البركة تنزل وسط الطعام، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه)[3]، فأراد بالوسط ما بين الحافتين والطرفين.

ومن ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ خط خطاً مربعاً، وخطاً وسط الخط المربع وخطوطاً إلى جانب الخط الذي وسط الخط المربع، وخطاً خارجاً من الخط المربع، فقال: (أتدرون ما هٰذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هٰذا الإنسان الخط الأوسط، وهٰذه الخطوط إلى جانبه الأعراض تنهشه)[4].

ومن ذلك قوله ﷺ: (وسطوا الإمام وسدوا الخلل)[5].

٤) بمعنى (بين) ظرفاً.

من ذلك قوله ﷺ: (لعن الله من جلس وسْطَ الحَلْقة)[6].

---

(١) الرازي، التفسير الكبير، (ط. الثالثة، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت)، ٣٢ / ٦٦.

(٢) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (ط. الثانية ١٣٨٣، الحلبي)، ٥ / ٤٨٣.

(٣) ت: كتاب الأطعمة، باب ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام، ٤ / ٢٦٠، ح ١٨٠٥.

(٤) جه: كتاب الزهد، باب الأمل والأجل، ٢ / ١٤١٤، ح ٤٢٣١.

(٥) د: كتاب الصلاة، باب مقام الإمام من الصف، ١ / ٤٣٩، ح ٦٨١.

(٦) د: كتاب الأدب، باب في الجلوس وسط الحلقة، ٥ / ١٦٤، ح ٤٨٢٦ واللفظ له.
ت: كتاب الأدب، باب في كراهية الجلوس وسط الحلقة، ٥ / ٩٠، ح ٢٧٥٣، وقال أبو =

ومن خلال هٰذه الأمثلة لورود (الوسطية) في استعمال الشرع نرى أنه لم يخرج بها عن أحد المعاني اللغوية التي دلت عليها مادة (وسط).

●شرح بعض الألفاظ المقابلة للوسط:

يعبر عن المعاني المضادة للوسط بعدة ألفاظ يحسن أن نقف على معانيها لتعلقها بالوسطية، وهي مما سيتكرر ذكره كثيراً أثناء الرسالة. فمنها:

١) **الغلو: وهو في اللغة**: مجاوزة الحد.

قال ابن فارس: (الغين واللام والحرف المعتل (غلو) أصل صحيح... يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر. يقال: غلا السعر يغلو غلاء، وذٰلك ارتفاعه وغلا الرجل في الأمر غلواً، إذا جاوز حده، وغلا بسهمه غلواً، إذا رمى به سهماً أقصى غايته)[1].

وقال الجوهري: (وغلا في الأمر يغلو غلواً، أي: جاوز فيه الحد)[2].

وقال ابن منظور: (وغلا في الدين والأمر يغلو غلواً، جاوز حده، وفي التنزيل ﴿لا تَغْلُوا في دِينِكُمْ﴾)[3].

= عيسى: هٰذا حديث صحيح.

الحاكم، المستدرك، (٤ / ٢٨١)، وقال: هٰذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قال الخطابي في بيان علة اللعن في الحديث: (هٰذا يتأول فيمن يأتي حلقة قوم، فيتخطى رقابهم، ويقعد وسطها ولا يقعد حيث انتهى به المجلس. فلعن للأذى.

وقد يكون في ذٰلك: أنه إذا قعد وسط الحلقة حال بين الوجوه وحجب بعضهم عن بعض، فيتضررون بمكانه وبمقعده هناك). اهـ، معالم السنن، ٧ / ١٨٣.

(١) معجم مقاييس اللغة، ٤ / ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٢) الصحاح، (٦ / ٢٤٤٨).

(٣) لسان العرب، (١٥ / ١٣٢).

الغلو في استعمال الشرع :

ورد لفظ الغلو في موضعين من القرآن الكريم ، وكلاهما بمعنى : مجاوزة الحد، وهو المعنى اللغوي للكلمة .

فالأول في سورة النساء في قوله عز وجل: ﴿**يَا أَهْلَ الكِتابِ لا تَغْلُوا في دِينِكُمْ وَلا تَقُولوا على اللهِ إلاَّ الحَقَّ**﴾[1].

والثاني في سورة المائدة في قوله تبارك وتعالى : ﴿**قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لا تَغْلُوا في دِيْنِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ**﴾[2].

أي : لا تجاوزوا الحد في اتّباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الألوهية، كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله[3].

وفي السنة : ورد لفظ (الغلو) في عدد من الأحاديث :

منها : حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته (القط لي حصى)، فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف فجعل ينفضهن في كفه ويقول: (أمثال هٰؤلاء فارموا) ثم قال: (يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[4].

ومنها قوله ﷺ : (اقرؤا القرآن ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به ، ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه)[5].

---

(١) آية ١٧١ .

(٢) آية ٧٧ .

(٣) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢ / ١٥١ .

(٤) جه : كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي ، ٢ / ١٠٠٨ ، ح ٣٠٢٩ .
وقال الشيخ الألباني : صحيح . انظر: صحيح ابن ماجه، له ٢ / ١٧٧ ، ح ٤٢٥٥ .

(٥) حم : ٣ / ٤٢٨ ، ٤٤٤ .

ومنها: قوله ﷺ: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[1].

ومعنى الغلو فيها: التشدد ومجاوزة الحد، كما ذكر ابن الأثير[2].

٢) **الإفراط: وهو في اللغة**: التقدم ومجاوزة الحد في الأمر.

قال ابن فارس: (ألفا والراء والطاء: أصل صحيح يدل على إزالة شيء عن مكانه وتنحيته عنه، يقال: فرطت عنه ما كرهه؛ أي: نحيته.

ثم يقال: أفرط: إذا تجاوز الحد في الأمر. يقولون: إياك والفرط؛ أي: لا تجاوز القدر، وهذا هو القياس؛ لأنه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن وجهته)[3].

وقال الجوهري: (وأفرط في الأمر؛ أي: جاوز فيه الحد)[4].

وقال صاحب «لسان العرب»: (والإفراط: الإعجال والتقدم، وأفرط في الأمر: أسرف. والإفراط: الزيادة على ما أمرت)[5].

٣) **التفريط: وهو في اللغة**: التقصير وإزالة الشيء عن مكانه.

قال ابن فارس: (وكذلك التفريط، وهو التقصير؛ لأنه إذا قصر فيه فقد

---

(١) البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص ٢٨ ح ٥٢، (بتحقيق د. محمد سعيد خطيب أوغلي).

ابن وضاح، البدع والنهي عنها ص ٢، (بتحقيق محمد أحمد دهمان، دار البصائر)، قال القاسمي: وتعدد طرقه يقضي بحسنه كما جزم به العلائي، قواعد التحديث ص ٤٩.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث ٣ / ٣٨٢.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤ / ٤٩٠.

(٤) الصحاح ٣ / ١١٤٨.

(٥) لسان العرب ٧ / ٣٦٩.

قعد به عن رتبته التي هي له)[1].

وقال الجوهري: (فرط في الأمر فَرْطاً؛ أي: قصر فيه، وضيعه حتى فات، وكذلك التفريط)[2].

وقال ابن منظور: (وفرط في الشيء وفرطه: ضيعه وقدم العجز فيه)[3].

الإفراط والتفريط في استعمال الشرع:

وقد وردت مادة (فرط) في القرآن الكريم في ثمانية مواضع[4]. وكلها بمعنى: التقصير والضياع والتقدم في الشيء.

قال الزجاج: (... وقد أفرط في الشيء إذا سقط فيه، وقد فرَّطَ في الشيء أي قصر، ومعناه كله التقدم في الشيء؛ لأن الفرط في اللغة المتقدم...)[5].

كما وردت مادة (فرط) في السنة في عدد من الأحاديث يضيق المقام عن حصرها نذكر منها على سبيل التمثيل:

قوله ﷺ: (أما إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط على من لم يُصَلِّ الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى)[6] والتفريط هنا بمعنى: التقصير.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤ / ٤٩٠.

(٢) الصحاح ٣ / ١١٤٨.

(٣) لسان العرب ٧ / ٣٧٠.

(٤) في الآيات ٣١، ٣٨، ٦١، من سورة الأنعام، والآية ٨٠ من سورة يوسف، و ٦٢ من النحل، و ٢٨ من الكهف، و ٥٩ من الزمر، طه ٤٥.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه. له ٣ / ٣٥٨.

(٦) م: كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة ١ / ٤٧٣ ح ٣١١.

ومنها: قوله ﷺ: (إنِّي فَرطُكم)[1] ومعنى فرطكم؛ أي: السابق[2] والمتقدم.

٤ ـ الجفاء، والجفو: في اللغة:

(الجيم والفاء والحرف المعتل (جفو): يدل على أصل واحد: نبو الشيء عن الشيء. من ذٰلك جفوت الرجل أجفوه... وجفا السرج عن ظهر الفرس، وأجفيته أنا وكذٰلك كل شيء إذا لم يلزم شيئاً يقال: جفا عنه يجفو. والجفاء: خلاف البر، والجُفاء: ما نفاه السيل، ومنه اشتقاق الجفاء. قاله ابن فارس)[3].

الجفاء في استعمال الشرع:

وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم في موضع واحد في قوله عز وجل: ﴿**كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ والباطِلَ فَأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً**﴾[4].

قال الزجاج في «معاني القرآن»: (والجفاء ما جفا الوادي؛ أي: رمى به)[5].

وفي السنة: وردت هذه المادة في عدد من الأحاديث:

منها قوله ﷺ في الحديث الذي ذكر فيه الخصال التي إذا فعلتها الأمة حل بها البلاء: (و... وأطاع الرجل زوجته، وعق أمه، وبَرَّ صديقه، وجفا أباه...)[6] فالجفاء هنا خلاف البر كما هو واضح.

---

(١) خ: مناقب، باب ما يحذر من زهرة الدنيا ١١ / ٢٤٤ ح ٦٤٢٦.

(٢) فتح الباري ١١ / ٢٤٥.

(٣) معجم مقاييس اللغة ١ / ٤٦٥ ـ ٤٦٦.

(٤) سورة الرعد آية ١٧.

(٥) ٣ / ١٤٥.

(٦) ت: الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، ٤ / ٤٩٤ ح ٢٢١٠.

ومنها قوله ﷺ: (اقرؤا القرآن ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به، ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه)[1].

قال أبـو عبيد في معنى الجفـاء في الحديث: (والجافي عنه التارك له وللعمل به)[2].

●●●●●

---

(1) تقدم تخريجه. انظر: ص ٢٤.

(2) غريب الحديث ١ / ٤٨٣، طبعة مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ١٣٩٦هـ.

المبحث الثاني

في بيان معنى السنة في اللغة والاصطلاح

أولاً: السنة في اللغة:

هي الطريقة، والسيرة، حسنة أو قبيحة، محمودة أو مذمومة.

قال ابن فارس: «والسنة: السيرة، وسنة رسول الله ﷺ سيرته، قال الهذلي:

فَلا تَجْـزَعَنْ من سُنَّـةٍ أَنْتَ سِرْتَهَـا   فَأولُ رَاضٍ سُنَّـةً مَنْ يَسِيرُهَـا»[1]

وفي «لسان العرب»: (والسنة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة، ـ وذكر البيت ـ قال: وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها، والأصل فيه الطريقة)[2].

ومنه قوله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء)[3].

---

(١) ابن فارس، مجمل اللغة، (بتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، ط. الأولى ١٤٠٤، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت)، ٢ / ٤٥٥.

(٢) انظر: مادة «سنن» ١٣ / ٢٢٥.

(٣) م: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة وسيئة، ٤ / ٢٠٥٩. ح ١٠١٧.

ثانياً: السنة في الاصطلاح:

يختلف معنى السنة في الاصطلاح عند كل من المحدثين، والأصوليين والفقهاء وعلماء الوعظ وأصول الدين، وإن كان الجميع يتفق على أنها سنة النبي ﷺ، وإنما وقع الاختلاف عند التفصيل والتحديد (ومرد هٰذا الاختلاف في المعنى الاصطلاحي للسنة إلى اختلافهم في الأغراض التي يُعْنَى بها كل فئة من أهل العلم)[1].

السنة عند المحدثين:

فعلماء الحديث، عندما عُنُوا بنقل كل ما ينسب إلى النبي ﷺ قالوا: (السنة هي ما أثر عن النبي ﷺ: من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلْقية، أو خلُقية، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة[2]، أو بعدها)[3].

السنة عند الأصوليين:

وعلماء الأصول، إنما عنوا بالبحث عن الأدلة الشرعية، فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها[4] فقالوا: السنة هي: (ما نقل عنه ﷺ، من قول، أو فعل، أو تقرير).

---

(١) د. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (ط. الثانية ١٣٩٦، نشر: المكتب الإسلامي)، ص ٤٨.

(٢) مثل تحنثه في غار حراء، ومثل حسن سيرته؛ لأن الحال يستفاد منها ما كان عليه ﷺ من كريم الأخلاق ومحاسن الأفعال كقول خديجة: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق...».

انظر: محمد محمد أبو زهو، الحديث والمحدثون، (ط. ١٤٠٤هـ، نشر: دار الكتاب العربي)، ص ١٠.

(٣) محمد جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث، (ص ٦٤).

(٤) أبو زهو، الحديث والمحدثون، ص ٤٨، والسباعي، السنة ومكانتها، ص ٤٩.

قال الآمدي: «وقد تطلق ـ أي: السنة ـ على ما صدر عن الرسول ﷺ من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلو، ولا هو معجز، ولا داخل في المعجز، وهٰذا النوع هو المقصود بالبيان هٰهنا، ويدخل في ذٰلك: أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وتقاريره»[1].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في تعريف السنة: (وفي اصطلاح الشرع هي: ما قاله رسول الله ﷺ، أو فعله، أو قرر عليه)[2].

السنة عند الفقهاء:

أما علماء الفقه، فإنهم لَمّا عُنُوا بالبحث عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوباً أو حرمة أو إباحة أو غير ذٰلك[3].

قالوا: «السنة هي: الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب»[4].

وقال بعضهم: (السنة: ما في فعله ثواب وفي تركه ملامة وعتاب لا عقاب)[5].

وهي على هٰذا تقابل الواجب عندهم.

قال الخطيب البغدادي: (وقد غلب على ألسنة الفقهاء، أنهم يطلقون

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، (ط. الثانية ١٤٠٢هـ، ط. المكتب الإسلامي)، ١ / ١٦٩.

(٢) مذكرة في أصول الفقه، ص ٩٥.

(٣) السباعي، السنة ومكانتها، ص ٤٩.

(٤) أبو زهو، الحديث والمحدثون، ص ١٠.

(٥) قاسم القونوي، أنيس الفقهاء، (بتحقيق د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، ط. الأولى ١٤٠٦، نشر: دار الوفاء ـ جده)، ص ١٠٦.

السنة فيما ليس بواجب، فينبغي أن يقال في حد السنة: أنها ما رسم ليحتذى استحباباً)[1].

قال الحافظ ابن حجر في تعريف السنة عند الفقهاء: (وفي اصطلاح بعض الفقهاء: ما يرادف المستحب)[2].

وإذا نظرنا في كلام كثير من السلف، نجدهم يعنون بالسنة معنى أوسع من معناها عند المحدثين، أو الأصوليين، أو الفقهاء.

إذ يعنون بالسنة: موافقة الكتاب وسنة الرسول ﷺ وأصحابه، سواء في أمور الاعتقادات، أو العبادات.

ويقابلها: البدعة[3]، فيقال فلان على السنة: إذا كانت أعماله على وفق الكتاب وسنة النبي ﷺ، ويقال فلان على البدعة، إذا كان عمله مخالفاً للكتاب والسنة أو أحدهما.

قال الشاطبي: (ويطلق ـ أي: لفظ السنة أيضاً ـ في مقابلة البدعة فيقال: «فلان على سنة» إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ، كان ذلك مما نص

---

(١) كتاب الفقيه والمتفقه، (بتصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري، نشر: مكتبة أنس ١٤٠٠هـ)، ص ٨٦.

(٢) الفتح، ١٣ / ٢٤٥.

(٣) البدعة: في اللغة من (بدع)، يقال: أبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال و ﴿والله بديع السَّماوات والأرض﴾، والبديع المبتدع.

وهي في الاصطلاح: عبارة عن (طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله)، كما قال الشاطبي في الاعتصام، ١ / ٣٧، (بتعريف محمد رشيد رضا، نشر: دار المعرفة)، وقال الحافظ ابن رجب: هي ما أحدث مما لا أصل في الشريعة. جامع العلوم والحكم ٢٥٢، (نشر: دار المعرفة ـ بيروت). وقال الحافظ ابن حجر: وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة.

انظر: فتح الباري ٤ / ٢٥٣.

عليه الكتاب أو لا، ويقال: «فلان على بدعة»، إذا عمل على خلاف ذٰلك، وكأنَّ هٰذا الإطلاق إنما اعتبر فيه عمل صاحب الشريعة، فأطلق لفظ السنة من تلك الجهة، وإن كان العمل بمقتضى الكتاب.

ويطلق أيضاً لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة، وجد ذٰلك في الكتاب والسنة أو لم يوجد[1] لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا، أو اجتهاداً مجتمعاً عليه منهم أو من خلفائهم. . .)[2].

ويقول الحافظ ابن رجب: (والسنة هي: الطريق المسلوك، فيشمل ذٰلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون، من الاعتقادات، والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة؛ ولهٰذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذٰلك)[3].

والذي كان عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون هو الكتاب والسنة، فيكون لفظ السنة شاملاً لذٰلك كله في مقابلة البدعة.

ولأهمية وخطورة مسائل الاعتقاد، التي هي أصل الدين وعليها يبنى غيرها من أعمال الإسلام، أطلق السلف لفظ (السنة) على موافقة الكتاب والسنة في قضايا الاعتقاد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولفظ السنة في كلام السلف، يتناول السنة في العبادات، وفي الاعتقادات، وإن كان كثير ممن صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات.

---

(١) قال شارحه الشيخ عبد الله دراز: أي: عثرنا عليه في السنة أو لم نعثر عليه فيها ليصح قوله بعد (لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم ولم تنقل إلينا)، الموافقات ج ٤ / ٤ حاشية رقم (١).

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة (بشرح الشيخ عبد الله دراز، نشر: دار المعرفة ـ بيروت)، ٤ / ٣ ـ ٦.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، ص ٢٤٩.

وهٰذا كقول: ابن مسعود، وأبيّ بن كعب، وأبي الدرداء رضي الله عنهم: (اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة)[1][2].

وقال ابن رجب: (وكثير من العلماء المتأخرين يخص السنة بما يتعلق بالاعتقاد؛ لأنها أصل الدين، والمخالف فيها على خطر عظيم)[3].

بل وكثير من علماء السلف المتقدمين أيضاً، خصوا السنة بذٰلك، وأطلقوها على ما يتعلق بأمور الاعتقاد، فمن وافق فيها السنة فهو من أهل السنة.

وفيما يلي ذِكْرُ بعض أئمة السلف الذين أطلقوا ذٰلك ونماذج من أقوالهم:

١) سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ)[4]:

أخرج اللالكائي عنه من طريق بكر بن الفرج أبي العلا، قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: (السنة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة:

إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر، والبعث يوم

---

(١) الأثر أخرجه الدارمي عن ابن مسعود بلفظ: (القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة) ١ / ٧٢، والبيهقي، انظر: السنن الكبرى ٣ / ١٩.

قال الألباني: وهٰذا الأثر صحيح. انظر: صلاة التراويح ص ٦.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٧٧، (بتحقيق د. صلاح الدين المنجد، ط. الأولى ١٣٩٦، نشر: دار الكتاب الجديد ـ بيروت).

(٣) جامع العلوم والحكم ٢٤٩.

(٤) وهو إمام وعلم وشيخ من شيوخ الإسلام قال عنه الإمام أحمد: «ما رأيت أعلم بالسنن منه».

انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١ / ٢٦٢، وانظر: ترجمته أيضاً في: تهذيب التهذيب ٤ / ١١٧، وميزان الاعتدال ٢ / ١٧٠، وفيات الأعيان ٢ / ٣٩٣.

القيامة، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم)[1].

فهٰذه كلها أمور ومسائل اعتقادية، خصها ابن عيينة رحمه الله باسم السنة.

٢) الإمام الشافعي: (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ).

قال: (القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء... وذكر سائر الاعتقاد)[2].

٣) علي بن المديني (٢٣٤هـ):

قال: (... السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها، أو يؤمن بها، لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، ثم تصديق بالأحاديث والإيمان بها لا يقال: لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها، والإيمان بها، وإن لم يعلم تفسير الحديث، ويبلغه عقله...، ولا يخاصم أحداً، ولا يناظر ولا يتعلم الجدل، والكلام في القدر وغيره من السنة مكروه ولا يكون صاحبه وإن أصاب السنة بكلامه من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم...

والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا تضعف أن تقول ليس بمخلوق، فإن كلام الله عز وجل ليس ببائن منه، وليس منه شيء مخلوق، يؤمن به، ولا يناظر فيه أحداً...)[3] إلى آخر ما ذكر من مسائل الاعتقاد.

---

(١) أبو القاسم هبة الله بن الحسين الطبري اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (بتحقيق د. أحمد سعد حمدان، نشر: دار طيبة ـ الرياض)، ١ / ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، العلو للعلي الغفار، (بتقديم وتصحيح عبد الرحمٰن محمد عثمان، نشر: المكتبة السلفية بالمدينة)، ص ١٢٠.

وانظر: ابن القيم، تهذيب سنن أبي داود ٧ / ١١٤.

(٣) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٦٥ ـ ١٦٦.

٤) الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ):

أخرج اللالكائي من طريق عبدوس بن مالك العطار؛ قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: (أصول السنة عندنا:

التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ، والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن... ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها لا يقال: لم؟ ولا كيف، إنما هو التصديق بها والإيمان بها... ولا يخاصم أحداً، ولا يناظره ولا يتعلم الجدل، والإيمان بالميزان، والإيمان بالحوض، والإيمان بعذاب القبر والإيمان بشفاعة النبي...)[1]، وذكر عدداً من الأمور الاعتقادية.

٥) سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٧٣هـ):

(... وقيل له: متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟ قال: إذا عرف من نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة، لا يسب أصحاب النبي ﷺ، لا يخرج على هٰذه الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدر، لا يشك في الإيمان، لا يماري في الدين، لا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، لا يترك المسح على الخفين، لا يترك الجمعة، خلف كل والٍ جَارَ أو عدل)[2].

هٰذه نماذج مختارة من كلام السلف، الذين أطلقوا اسم السنة، وأرادوا

---

(١) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٥٦ ـ ١٦٤.

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٨٣.

بها ما يتعلق بالاعتقادات، وأبلغ من ذٰلك أنهم سَمَّوا الكثير من مصنفاتهم في العقيدة باسم (السنة) وذٰلك مثل:

١) (السنة) للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) وهو مطبوع.

٢) (السنة) لأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ضمن كتابه «السنن».

٣) (السنة) لابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ) وهو مطبوع بتخريج الألباني.

٤) (السنة) لعبد الله بن أحمد (ت ٢٩٠هـ) وهو مطبوع.

٥) (السنة)[١] لأحمد بن هارون الخلال (ت ٣١١هـ).

٦) (السنة)[٢] لابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ).

٧) (السنة)[٣] لأبي القاسم سليمان بن حمد الطبراني، صاحب «المعاجم» (ت ٣٦٠هـ).

٨) (السنة)[٤] لأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ).

٩) (الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة) / لعبيد الله بن بطة (ت ٣٨٧هـ). وهو مطبوع بتحقيق رضا نعسان معطي.

١٠) (شرح السنة) لابن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ)[٥].

وهناك الكثير غير ما ذكرت مما أطلق عليه (السنة) أو (شرح أصول أهل

---

(١) (حقق الأجزاء الثلاثة الأولى منه د. عطية الزهراني)، نال بها درجة الدكتوراه، وقد طبع والحمد لله والمحقق يعمل في الأجزاء المتممة للكتاب أعانه الله على إتمامه وإخراجه.

(٢) مخطوط بالظاهرية مجموع ١١، انظر: تاريخ التراث لسزكين ١ / ٢٨٨.

(٣) انظر: العلو للذهبي ١٦٥.

(٤) نفس المصدر ص ١٦٦.

(٥) (حققه محمد إبراهيم هارون)، ونال به درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية عام ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤هـ.

السنة)[1] إذ لم أرد الاستقصاء وإنما القصد التمثيل على أن السلف كانوا يسمون ما يُصَنِّفون في أبواب الاعتقاد باسم «السنة» أو «شرح السنة».

وهٰذه المصنفات اشتملت على المسائل العقدية والاحتجاج عليها من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، وفي ذٰلك دلالة على أن السلف يقصدون بالسنة معنى زائداً على الحديث، وأنهم يريدون بها: ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه في أمور الاعتقادات والعبادات وغيرها، وذٰلك شامل للقرآن وسنته ﷺ.

● تفريق السلف بين مفهوم السنة والحديث:

ولذٰلك نجد أئمة السلف كثيراً ما يفرقون بين السنة والحديث، ويجعلون السنة في مقابل البدعة، والحديث هو أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته.

فهٰذا الإمام الشافعي رحمه الله يروي عنه الربيع بن سليمان[2] قائلاً: قال لنا الشافعي: (أحمد إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر[3]، إمام في

---

(١) انظر مثلاً: فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٥ / ٢٤.

(٢) هو: الربيع بن سليمان المرادي المؤذن، خادم الشافعي وراوي كتبه، كان الشافعي يقول: «إنه أحفظ أصحابي»، ولد سنة ١٧٤، ومات سنة ٢٧٠هـ، وانظر ترجمته لدى: ابن هداية الله الحسيني: طبقات الشافعية، (بتحقيق عادل نويهض، ط. الثالثة، ١٤٠٢هـ. نشر: دار الآفاق الجديدة ـ بيروت)، ص ٢٤.

(٣) الفقر في اللغة: ضد الغنى، وقدر ذٰلك أن يكون له ما يكفي عياله. ابن منظور، لسان العرب ٥ / ٦٠، ولفظ الفقر في الشرع يراد به: الفقر من المال، كما قال تعالى: ﴿**إنَّما الصَّدقات للفقراء والمساكين**﴾، التوبة ٦٠، وقال تعالى: ﴿**يا أيُّها النَّاس أنتم الفقراء إلى الله**﴾، فاطر ١٥.

انظر: ابن تيمة الفتاوى ١١ / ١٩٦.

وكان الإمام أحمد رحمه الله إماماً في الفقر، فقد روى عنه المروزي أنه قال: «ما أعدل بالفقر شيئاً، ما أعدل بالفقر شيئاً، ما أعدل بالفقر شيئاً. أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء»، وفي =

الزهد[1]، إمام في الورع، إمام في السنة)[2].

وقال عبد الرحمن بن مهدي[3]: (الناس على وجوه، فمنهم من هو إمام في السنة، إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث، فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري[4])[5].

ويشرح لنا الإمام ابن الصلاح[6] الفرق بين السنة والحديث عندما سئل

= رواية أخرى أنه قال: «ما أعدل بالصبر على الفقر شيئاً».

قلت: وهو الأشبه بمثل الإمام فإن الفقر قد تعوذ الرسول ﷺ منه، فكيف لا يعدل الإمام أحمد به شيئاً ويفرح به، أما الصبر عليه إذا ابتلي به فذلك مما يحمد، وعليه يخرج قول الإمام أحمد رحمه الله.

انظر: ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد (ط. الثالثة، ١٤٠٢هـ، نشر: دار الأفاق)، ص ٢٧٣.

(١) الزهد في اللغة: ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهد في الشرع: هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله.

ابن تيمية: الفتاوى ١٠ / ٢١.

وكان الإمام أحمد إماماً في ذلك فكان يقول: إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس، وصبر أيام قلائل، ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، ص ٢٤٨.

(٢) القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلي. طبقات الحنابلة (نشر: دار المعرفة)، ١ / ٥.

(٣) هو ابن حسان العنبري مولاهم أبو سعيد البصري حافظ عارف بالرجال والحديث (١٣٥ - ١٩٨هـ)، انظر: التقريب ١ / ٤٩٩، والتذكرة ١ / ٣٢٩.

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، شيخ الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث، مات سنة ١٦١.

انظر: التذكرة ١ / ٢٠٣، والتقريب ١ / ٣١١.

(٥) انظر: اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ٦٣.

(٦) هو: تقي الدين ابن الصلاح الحافظ شيخ الإسلام أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، ولد سنة ٥٧٧، ومات سنة ٦٤٣هـ، قال ابن خلكان: كان أحد فضلاء عصره في =

عن قول بعضهم عن الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه جمع بين السنة والحديث، فما الفرق بين السنة والحديث؟

أجاب: (السنة هٰهنا ضد البدعة، وقد يكون الإنسان من أهل الحديث، وهو مبتدع، ومالك ـ رضي الله عنه ـ جمع بين السنتين، فكان عالماً بالسنة؛ أي: الحديث، ومعتقداً للسنة؛ أي: كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة، والله أعلم)[1].

ولذٰلك نجد شيخ الإسلام ابن تيمية، عندما يذكر أهل الحديث، ووراثتهم للأنبياء، وإمامتهم، يتحفظ ويبين أن المقصود بهم من يجمع بين الرواية والدراية والاتباع.

فيقول: (ونحن لا نعني بأهل الحديث: المقتصرين على سماعه، أو كتابته، أو روايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه، ومعرفته، وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً، وظاهراً، وكذٰلك أهل القرآن)[2].

●●●●●

= التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة. وكانت فتاويه مسددة.

انظر: وفيات الأعيان، (بتحقيق د. إحسان عباس. نشر: دار صادر)، ٣ / ٢٤٣، وانظر: شذرات الذهب ٥ / ٢٢١.

(١) فتاوى ابن الصلاح (بتحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي. نشر: دار المعرفة ـ بيروت)، ١ / ٢١٣.

(٢) مجموع الفتاوى (جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، ط. المكتب التعليمي السعودي في المغرب)، ٤ / ٩٥.

المبحث الثالث

المراد بأهل السنة

لكـي نحـدد المراد بأهل السنة، سأعرض لنشأة مصطلح «أهل السنة» وتاريخ إطلاقه وعلى من أطلق على ضوء النصوص التي سنوردها عن السلف في ذٰلك، والتي توضح مراد السلف بقولهم: (أهل السنة).

ثم سنبين تنازع الطوائف والفرق هٰذا اللقب ودعوى كل طائفة أنها هي التي ينطبق عليها هٰذا الوصف، وسنفصل القول في دعوى الأشاعرة ذٰلك، مع بيان موقفهم من السنة والنقل عموماً.

وسأختم هٰذا المبحث ـ إن شاء الله ـ ببيان موقف أهل العلم قديماً وحديثاً من دعوى الأشاعرة هذه.

● **أولاً: نشأة مصطلح «أهل السنة» وتاريخ إطلاقه:**

يرجـع تاريخ إطـلاق هٰذا اللفظ إلى صدر الإسلام، إلى عصر النبوة، والقرون المفضلة.

فقـد أخـرج اللالكائي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعـالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[1]؛ (فأما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة وأولوا العلم، وأما الذين اسودت وجوههم: فأهل البدع

(١) سورة آل عمران آية ١٠٦.

والضلالة[1].

ثم تتابع ورود استعمال هٰذا اللفظ وإطلاقه عن كثير من أئمة السلف رحمة الله عليهم، أذكر طائفة منهم حسب التسلسل التاريخي:

فممن ورد عنه ذٰلك:

ـ أيوب السختياني (٦٨ ـ ١٣١هـ):

فقد أخرج اللالكائي عنه أنه قال: (إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة وكأني أفقد بعض أعضائي)، وقال أيضاً: (إن من سعادة الحـدَث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة)[2].

ـ سفيان الثوري (ت ١٦١هـ):

قال: (استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء). وقال: (ما أقل أهل السنة والجماعة)[3].

ـ الفضيل بن عياض (ت ١٨٧هـ):

قال: (أهل الإرجاء يقولون: الإيمان قول بلا عمل، وتقول الجهمية: الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل، ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل)[4].

ـ أبو عبيد القاسم بن سلام (١٥٧ ـ ٢٢٤هـ):

---

(١) اللالكائي، شرح أصول أهل السنة ١ / ٧٢، والبغوي، معالم التنزيل ١ / ٣٣٩، وابن كثير، التفسير ٢ / ٧٦.

(٢) اللالكائي، شرح أصول أهل السنة ١ / ٦٠ ـ ٦١.

(٣) اللالكائي، شرح أصول أهل السنة ١ / ٦٤.

(٤) ابن جرير الطبري: تهذيب الآثار (بتحقيق د. ناصر سعد الرشيد، وعبد القيوم عبد رب النبي، ط. مطابع الصفا ـ مكة، على نفقة الأمير فهد بن عبد العزيز، ١٤٠٢هـ) ٢ / ١٨٢.

قال في مقدمة كتاب «الإيمان» له: (. . . فإنك كنت تسألني عن الإيمان واختلاف الأمة في استكماله، وزيادته، ونقصانه، وتذكر أنك أحببت معرفة ما عليه أهل السنة من ذٰلك. . .)[1].

ـ الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ):

قال في مقدمة كتاب «السنة» له: (. . . هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها، المعروفين بها المقتدي بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هٰذا. . .)[2].

ـ الإمام ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ):

قال: (وأما الصواب من القول في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة وهو ديننا الذي ندين الله به، وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة فهو أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ)[3].

ـ أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (٢٣٩ ـ ٣٢١هـ):

قال في مقدمة عقيدته المشهورة: (. . . هٰذا ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة. . .)[4].

وبهٰذه النقول يتضح لنا جلياً أن لفظ (أهل السنة) معروف عند السلف

---

(١) الإيمان ص ٥٣ ضمن كتاب من كنوز السنة ـ رسائل أربع، (بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني).

(٢) السنة ص ٣٣ ـ ٣٤، مع كتاب الرد على الجهمية له، ط. عيسى الحلبي.

(٣) صريح السنة. له، (بتحقيق وتعليق بدر بن يوسف المعتوق، ط. الأولى ١٤٠٥هـ، نشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي)، ص ٢٠.

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٥، (بتعليق ابن مانع، نشر: مكتبة دار المطبوعات الحديثة ـ جدة).

متـداول بينهم، أطلقوه في مقابل «أهل البدع» والّفوا في بيان عقيدة أهل السنة، وميزوا بينهم وبين أهل البدع، كما فعل الإمام أحمد والإمام الطحاوي وغيرهم.

وفي هٰذا رد على من زعم أن لقب «أهــل السنــة» أول ما أطلق على الأشاعرة، كما زعم ذٰلك الأستاذ مصطفى الشكعة إذ يقول في كتابه «إسلام بلا مذاهب»: (. . . وهٰكذا نجد أن لقب (أهل السنة) أطلق أول ما أطلق على جماعة الأشاعرة ومن نحا نحوهم، ثم اتسعت دائرته فشملت أصحاب المذاهب والفقهاء من أمثال الشافعي ومالك وأبي حنيفة وابن حنبل والأوزاعي وأهل الرأي والقياس. . .)[1].

ولا أدري كيف يستقيم هٰذا القول، وهٰؤلاء الأئمة قد توفوا قبل زمن الأشعري؟

ثم زعم في موضع آخر من كتابه أن هذه التسمية لم تعرف إلا في القرن السابع الهجري قال: (. . . وذٰلك أن تسمية جمهرة المسلمين بأهل السنة تسمية متأخرة يرجع تاريخها إلى حوالي القرن السابع الهجري؛ أي: بعد عصر آخر الأئمة المشهورين وهو ابن حنبل بحوالي أربعة قرون)[2].

على أنه يتناقض فيعترف في نفس كتابه هٰذا، بوجود من يعرف بـ (أهل السنة) قبل أن يخلق الله الأشعري والأشاعرة، إذ يقول: (إن المأمون وهو على أهبة الخروج إلى طرسوس على حدود بلاد الروم سنة ٢١٨هـ. بعث إلى إسحاق بن إبراهيم عامله على بغداد كتاباً يأمره فيه أن يستحضر علماء بغداد وقضاتها، وأن يمتحنهم في موضع خلق القرآن.

قال: وكتاب المأمون هٰذا من أشنع الكتب التي حوت سباً وتطاولاً على

---

(١) إسلام بلا مذاهب ص ٤٩٦، ط. شركة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر.

(٢) نفس المصدر ص ٣٨١.

علماء المسلمين من أهل السنة. . .)[1] اهـ.

إذن كان هناك أهل سنة يدافعون عن عقيدتهم في القرآن، ويردون على من قال بخلقه، يعرفون بأنهم (أهل السنة).

فكيف يقال: أن هٰذا اللقب أطلق أول ما أطلق على جماعة الأشاعرة؟ أم كيف يقال: أن هذه التسمية لم تعرف إلا في القرن السابع الهجري؟

على أن الأشاعرة السابق منهم واللاحق لم يدعوا لأنفسهم ما ادعاه لهم الأستاذ الشكعة.

فهٰذا الإمام البيهقي (٥٧١هـ) يقول عن الإمام الأشعري: (فهٰذا سبب رجوعه عن مذاهب المعتزلة إلى مذاهب أهل السنة والجماعة)[2]، فإذاً أهل السنة والجماعة موجودون معروفون بهٰذا اللقب والأشعري بعد أن ترك الاعتزال رجع إلى مذهبهم، على تفصيل في أحوال الأشعري ليس هٰذا مكان ذكره.

ويقول د. علي سامي النشار من الأشاعرة المعاصرين:

(. . . لقد شهد القرن الثالث حركة كلامية كبرى حمل لواءها «أهل الحديث». . . ثم ذكر كتب: خلق أفعال العباد، والاختلاف في اللفظ، وكتب الدارمي، قال: وتبين هذه الكتب ظهور الاتجاه الكلامي لدى أصحاب الحديث، وأن أصحاب الحديث وجدوا كفرقة مقابلة للجهمية وللمعتزلة، وللخوارج، وأنهم سموا باسم «أهل الحديث وأهل السنة»)[3] *.

---

(١) المصدر السابق ص ٤٧٢.

(٢) انظر: ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تبيين كذب المفترى، (نشر دار الفكر، ط. الثانية ١٣٩٩هـ)، ص ٤٣.

(٣) انظر: كتابه نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١ / ٢٦١.

* والحق أن أهل الحديث لم يكونوا في يوم من الأيام من حملة ألوية الكلام، وكل ما فعلوه أنهم عند انتشار البدع على يد المتكلمين قام أهل الحديث بواجبهم في الرد عليهم، وبيان فساد ما ذهبوا إليه، وبينوا السنة التي يجب اتباعها في المسائل التي أثارها أهل الكلام.

ويقول الأستاذ أحمد أمين: (واسم أهل السنة كان يطلق على جماعة من قبل الأشعري والماتريدي، وقد حكى لنا أن جماعة كان يطلق عليها أهل السنة، وكانت تناهض المعتزلة قبل الأشعري.

ولما جاء الأشعري وتعلم على المعتزلة اطلع أيضاً على مذاهب أهل السنة، وتردد كثيراً في أي الفريقين أصح، ثم أعلن انضمامه إلى أهل السنة وخروجه على المعتزلة)[1].

● ثانياً: معنى أهل السنة:

أهل الشيء هم أخص الناس به، يقال في اللغة: أهل الرجل: أخصّ الناس به وأهل البيت سكانه، وأهل الإسلام من يدين به، وأهل المذهب من يدين به[2].

فمعنى أهل السنة؛ أي: أخص الناس بها وأكثرهم تمسكاً بها واتباعاً لها قولاً وعملاً واعتقاداً.

وهٰذا اللفظ أصبح مصطلحاً يطلق ويراد به أحد معنيين:

المعنى الأول:

معنى عام يدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام عدى الرافضة، فيقال: هٰذا رافضي، وهٰذا سني، وهٰذا هو اصطلاح العامة؛ (لأن الرافضة هم المشهورون عندهم بمخالفة السنة فجمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي، فإذا قال أحدهم: أنا سني فإنما؛ معناه: لست رافضياً)[3].

وقد ورد عن بعض السلف ما يشير إلى هٰذا المعنى فقد قيل لسفيان

(١) انظر كتابه: ظهر الإسلام ٤ / ٩٦.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ١ / ١٥٠، وابن منظور، لسان العرب ١١ / ٢٩.

(٣) ابن تيمية، الفتاوي ٣ / ٣٥٦.

الثوري: يا أبا عبد الله! وما موافقة السنة؟ قال: تقدمة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[1]، فالسني عنده من قدمهما على غيرهما في الخلافة والفضل، ومن لم يقدمهما فليس بسني، ولم يؤخرهما عن مرتبتهما إلا الرافضة.

المعنى الثاني:

معنى أخص وأضيق من المعنى العام، ويراد به أهل السنة المحضة الخالصة من البدع، ويخرج به سائر أهل الأهواء والبدع، كالخوارج والجهمية والمرجئة، والشيعة وغيرهم من أهل البدع.

يبين شيخ الإسلام ابن تيمية معنى لفظ «أهل السنة» فيقول: (فلفظ «أهل السنة» يراد به من أثبت خلافة الثلاثة، فيدخل في ذلك ـ أي: في لفظ أهل السنة ـ جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به: أهل الحديث والسنة المحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول: القرآن غير مخلوق وأن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة)[2].

ومن خالف شيئاً من ذلك عد من أصحاب البدع، ولم يكن سنياً، بذا حكم إمام أهل السنة دون منازع الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، حيث قال في مقدمة كتاب «السنة»: (هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها المقتدي بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت عليها من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع وخارج عن الجماعة زايل عن منهج السنة وسبيل الحق)[3]. ثم ذكر اعتقاد أهل

---

(١) اللالكائي، شرح أصول أهل السنة ١ / ١٥٢.

(٢) منهاج السنة النبوية، (بتحقيق محمد رشاد سالم، طبعة المدني ـ القاهر)، ٢ / ١٦٣.

(٣) السنة ص ٣٣ ـ ٣٤، ضمن مجموع مع كتاب الرد على الجهمية.

السنة الذي ساق شيخ الإسلام ابن تيمة فيما تقدم طرفاً منه.

فأهل السنة إذن هم:

١) أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنهم تلقوا عنه مباشرة، أمور الاعتقاد كما تلقَّوا أمور العبادة، فهم أعرف الخلق بسنة نبيهم واتبع لها ممن جاء بعدهم.

٢) التابعون لهم بإحسان، المقتفون آثارهم في كل عصر ومصر، وعلى رأسهم أهل الحديث والأثر، الذين نقلوا إلينا سنة رسول الله ﷺ وميزوا صحيحها من سقيمها، وعملوا بها واعتقدوا ما دلت عليه.

يقول الإمام ابن حزم في بيان من هم أهل السنة:

(وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة فإنهم: الصحابة رضي الله عنهم، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هٰذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم)[1].

● ثالثاً: تنازع الطوائف هٰذا اللقب:

لما كان أهل السنة، هم أصحاب رسول الله ﷺ ومن اتبعهم على ما كانوا عليه من الهدى.

ووجد كثير من الطوائف أن النجاة لا تكون إلا لمن كان على ما كانوا عليه لقوله ﷺ في حديث افتراق الأمة: (... وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)[2].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ط. الثانية ١٣٩٥. نشر: دار المعرفة ـ بيروت) ٢ / ١١٣.

(٢) ت: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هٰذه الأمة، ٥ / ٢٦، ح ٢٦٤١، وحسنه =

لما كان الأمر كذلك ادعى كثير من الطوائف والفرق أنهم هم الفرقة الناجية وأنهم أهل الحق، وتسمى بعضهم باسم «أهل السنة».

يقول شيخ الإسلام رحمة الله عليه ـ في معرض كلامه عن الفرق المشار إليها في الحديث ـ: (فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى، فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له، هم أهل السنة والجماعة، ويجعل من خالفها هم أهل البدع، ـ قال ـ: وهذا ضلال مبين، فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة بل كلٌّ يؤخذ من قوله ويترك إلّا رسول الله ﷺ، فمن جعل شخصاً غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدع، كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة الكلام في الدين وغير ذلك، كان من أهل البدع والضلالة والتفرق)[1].

فكل طائفة تدعي أنها الفرقة الناجية، وأن الحق معها.

فالشيعة الإمامية الرافضة:

تجعل نفسها الفرقة الناجية دون غيرها، وأنها هي المشار إليها في حديث الافتراق.

فقد نقل ابن المطهر الحلّي[2] عن شيخه النصير

= الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

انظر: صحيح الترمذي ٢ / ٣٣٤، ح ٢١٢٩، (ط. الأولى ١٤٠٨، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج).

(١) الفتاوى ٣ / ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

(٢) وهو الحسن بن يوسف بن المطهر الحلى، ذكره ابن حجر باسم (الحسين) وقال: هو =

الطوسي[1] أنه سُئِلَ عن المذاهب فقال: (بحثنا عنها وعن قول الرسول ﷺ: (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة منها ناجية والباقي في النار). وقد عين عليه السلام الفرقة الناجية والهالكة في حديث آخر صحيح متفق عليه، وهو قوله: (مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف غرف). فوجدنا الفرقة الناجية هي: الفرقة الإمامية؛ لأنهم باينوا جميع المذاهب، وجميع المذاهب قد اشتركت في أصول العقائد)[2].

وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رداً متيناً مطولاً من ثمانية أوجه[3] فأفاد وأجاد رحمة الله عليه. وقد بين في «الوجه الخامس» أن قوله ﷺ في حديث الافتراق عن الفرقة الناجية وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي. وفي رواية: «هم الجماعة» يناقض قول الإمامية ويقضي أنهم خارجون عن الفرقة الناجية، خارجون عن جماعة المسلمين يكفرون أو يفسقون أئمة

= عالم الشيعة وإمامهم ومصنفهم، وهو الذي رد عليه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتابه المعروف بالرد على الرافضي.

قلت: وهو كتاب منهاج السنة وهو مشهور، وقال ابن تغري بردى: كان عالماً بالمعقولات وله عدة مصنفات، غير أنه كان رافضياً خبيثاً على مذهب القوم.

انظر: لسان الميزان ٢ / ٣١٧، والنجوم الزاهرة ٩ / ١٦٧، ط. مصورة عن طبعة دار الكتب.

(١) وهو: محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي الفيلسوف، كان ذا منزلة من هولاكو وزر له، استغل مكانته في التنكيل بأهل السنة والإساءة إليهم والتشفي منهم. كان مولده سنة ٥٩٧ ووفاته ببغداد سنة ٦٧٢. انظر ترجمته لدى: محمد بن شاكر الكتبى في فوات الوفيات (بتحقيق د. إحسان عباس نشر: دار صادر)، ٣ / ٢٤٦ وشذرات الذهب ٥ / ٣٣٩.

(٢) ابن المطهر الحلى، منهاج الكرامة مطبوع مع كتاب منهاج السنة، ١ / ٩٥ ط. المدني.

(٣) انظر: منهاج السنة ٣ / ٤٤٤ - ٤٨٤، (ط. جامعة الإمام بتحقيق د. محمد رشاد سالم).

الجماعة؛ كأبي بكر وعمر، وكذلك يكفرون أو يفسقون علماء وعباد الجماعة.

وبيّن رحمه الله أن الإمامية أبعدُ الناس عن سِيَرِ الصحابة، وأجهلُهم بحديث رسول الله وأعداهم لأهله من أصحاب رسول الله ﷺ وأئمة المسلمين. ثم بيّن أن الوصف الوارد في الحديث لا ينطبق إلّا على أهله السنة؛ لأنهم هم الذين على ما كان عليه الرسول ﷺ وهم أهل الجماعة الذين ما فرقوا دينهم وكانوا شيعاً.

ثم بيَّن في «الوجه السادس»[1] أن الحجة التي احتج بها الطوسي على أنَّ الإمامية هي الفرقة الناجية وهي قوله: (لأنهم باينوا جميع المذاهب)، بيَّن رحمه أن هذه الحجة كذب في وصفها، كما هي باطلة في دلالتها.

وبيَّن أن كثيراً من الفرق قد باينت جميع الفرق الأخرى فيما اختصت به من أقوال فالخوارج باينوا جميع المذاهب فيما اختصوا به من التكفير بالذنوب ومن تكفير علي رضي الله عنه... وغير ذلك مما انفردوا به من أقوال. وكذلك المعتزلة باينوا جميع الطوائف فيما اختصوا به من «المنزلة بين المنزلتين» وقولهم أن أهل الكبائر يخلدون في النار، وليسوا بمؤمنين ولا كفار، وهكذا جميع الفرق، فلا اختصاص للرافضة بذلك.

ثم قال في «الوجه السابع»: (إن مباينتهم لجميع المذاهب هو على فساد قولهم أدل منه على صحة قولهم، فإن مجرد انفراد طائفة عن جميع الطوائف لا يدل على أن ـ قولها ـ هو الصواب، واشتراك أولئك في قول لا يدل على أنه باطل)[2].

وكيف يتخذ الاختلاف والإغراق في الابتعاد عن الآخرين أساساً لنجاة؟

---

(١) منهاج السنة ٣ / ٤٦٠ ـ ٤٦١.

(٢) منهاج السنة ٣ / ٤٦٦.

ولـو اتبعنـا هٰذا الأســاس لكـان الإغراق في الإلحاد أساساً للنجاة، بل لكان التخريف أو تخيلات المجانين أكثر قرباً للنجاة؛ لأنها أكثر ابتعاداً عن أراء الأخرين[1].

وأمـا استـدلاله بحديث «سفينه نوح» فهو يتوقف على صحة الحديث، والحـديث ضعيف كمـا ذكـر ذٰلـك الـذهبي[2]، والألبـاني[3]، ولا عبرة بقول الطوسي: (أنه حديث صحيح متفق عليه) فليس هو من أهل هٰذا الشأن.

والمعروف أنه من قول الإمام مالك بلفظ (السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك).

قال شيخ الإسلام في إيضاح معناه: (وهٰذا حق فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم، وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين، واتّباع السنة هو اتّباع الرسالة التي جاءت من عند الله فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح في السفينة باطناً وظاهراً، والمتخلف عن اتّباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن اتّباع نوح عليه السلام وركوب السفينة)[4].

والمعتزلة:

يزعمـون أنهم أهل الحق وأنهم الفرقة الناجية، يقول مقدمهم وكبيرهم

---

(١) د. عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام (ط. الثالثة ١٣٨٧هـ، نشر: مكتبة الأنجلو المصرية)، ص ٩٩.

(٢) قال الذهبي في «تلخيص المستدرك»، معقباً على قول الحاكم: «حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، قلت: «مفضل ـ أحد رواة الحديث ـ خرج لـه الترمذي فقط ضعفوه»، انظر: المستدرك ٢ / ٣٤٣.

(٣) انظر: ضعيف الجامع الصغير ٥ / ١٣١.

(٤) الفتاوى ٤ / ١٣٧.

عمرو بن عبيد[1] للخليفة المنصور ـ وقد سأله أن يعينه بأصحابه ـ : (أظهر الحق يتبعك أهله)[2] يريد المعتزلة. فما على المنصور إذا أراد معونتهم إلّا أن يرفع رايتهم ويظهر مذهبهم.

ويستدلون على أنهم الفرقة الناجية برواية محرفة لحديث الافتراق فقالوا: روى سفيان الثوري عن ابن الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: (ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أبرها واتقاها الفئة المعتزلة)، ولعلهم شعروا بتفردهم بهذه الرواية فاتهموا سفيان بأنه قال لأصحابه: «تسموا بهذا الاسم لأنكم اعتزلتم الظلمة، فقالوا: سبقك بها عمرو بن عبيد وأصحابه ـ قالوا ـ: فكان سفيان بعد ذلك يروي: واحدة ناجية»[3].

ولهؤلاء نقول: من مذهبكم عدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد في باب الاعتقاد، فكيف سوغتم لأنفسكم الاحتجاج بهذا الحديث مع اتهامكم راويه سفيان بأنه تصرف في الحديث بوضع عبارة مكان أخرى؟

ولكن، لا غرابة فإن إحدى علامات أهل البدع: أنهم يأخذون من السنة ما وافق أهواءهم، صحيحاً كان أو ضعيفاً، ويتركون ما لم يوافق أهواءهم من الأحاديث وإن صح وأخرجه الشيخان![4]).

ويزعم المعتزلة أنهم هم المتمسكون بالسنة والجماعة دون غيرهم مع قولهم بعدم حجية حديث الآحاد.

---

(١) هو: عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان البصري كبير المعتزلة، له كتاب: العدل، والتوحيد، وكتاب الرد على القدرية ـ يريد السنة مات بطريق مكة سنة ثلاث، وقيل: أربع وأربعين ومائة، الذهبي: «سير أعلام النبلاء» (٦ / ١٠٤ ـ ١٠٦).

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٢ / ١٦٨.

(٣) ابن المرتضى أحمد بن يحيى، المنية والأمل ص ٢ ـ ٣.

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ٢ / ٦٢٨ ـ ٦٢٩.

فقد جاء في كتاب «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة»[1] قولهم:

«... ومعنى السنة إذا أضيفت إليه ﷺ؛ هو ما أمر به ليدام عليه، أو فعله ليدام الاقتداء به، فما هٰذا حاله يُعَدُّ سنة الرسول ﷺ، وإنما يقع هٰذا الاسم على ما ثبت أنه قاله أو فعله، فأما ما ينقل من أخبار الآحاد فإن صح فيه شروط القبول، يقال فيه: أنه سنة على وجه التعارف؛ لأنا إذا لم نعلم ذٰلك القول أو ذٰلك الفعل فالقول بأنه سنة يقبح؛ لأنا لا نأمن أن نكون كاذبين في ذٰلك، وعلى هٰذا الوجه لا يجوز في العقل أن يقول في خبر الواحد، قال رسول الله ﷺ قطعاً، وإنما يجوز أن يقال: روي عنه ﷺ.

وأما الجماعة: فالمراد به ما أجمعت عليه الأمة، وثبت ذٰلك من إجماعها، فأما ما لم يثبت مما لم يجز التمسك به فهو بمنزلة أخبار الآحاد، وإذا صح ما ذكرناه فالمتمسك بالسنة والجماعة هم أصحابنا والحمد لله دون هٰؤلاء المشنعين).

وهٰكذا سائر الطوائف والفرق، فما من طائفةٍ إلّا وتدعي أنها الناجية، وأن الحق معها، وتستكره النصوص على تأييد مذهبها، كما فعلت الشيعة والمعتزلة، كما أوضحنا ذٰلك.

الأشاعرة:

لا يفتأ أئمة الأشاعرة يذكرون في كتبهم أنهم أهل السنة وأهل الحق، وأنهم هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية... وهٰذا أمر لا يخفى على من قرأ كتبهم، وأنا أذكر فقط نماذج من كلامهم في ذٰلك على مر العصور:

ـ كلام أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، وهو من تلاميذ أبي الحسن الأشعري:

(١) لأبي القاسم البلخي، والقاضي عبد الجبار، والحاكم الجشمي ص ١٨٥ ـ ١٨٦، (نشر: الدار التونسية للنشر).

قال مثلاً في صفة الكلام التي خالفوا فيها السلف من أهل الحديث والسنة: (اعلم أن الله تعالى متكلم، له كلام عند أهل السنة والجماعة، وأن كلامه قديم ليس بمخلوق ولا مجعول ولا محدث بل كلامه قديم صفة من صفات ذاته، كعلمه وقدرته وإرادته ونحو ذٰلك)[1].

ثم قال في موطن آخر: (فإن قالوا: أليس تقولون إن كلام الله مسموع بحاسة الآذان على الحقيقة؟ قلنا: بلى، فإن قالوا: فليس يجوز أن يكون مسموعاً على الحقيقة؛ إلا ما كان صوتاً وحرفاً.

فالجواب: أن هٰذا جهل عظيم، وذٰلك أن أهل السنة والجماعة قد أجمعوا على أن الله تعالى يرى بالأبصار على الحقيقة، ولا يجوز أن يرى على الحقيقة إلّا ما كان جسماً[2] وجوهراً[3] وعرضاً[4]، أفتقولون إن الله تعالى، جسم

---

(١) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ١٠٨، (ط. الثانية ١٣٨٢هـ. نشر: مؤسسة الخانجي).

(٢) لفظ (الجسم) فيه إجمال: فقد يراد به المركب الذي كانت أجزاؤه مفرقة فجمعت، أو ما يقبل التفريق والإنفصال، أو المركب من مادة وصورة، أو المركب من الأجزاء المفردة التي تسمى الجوهر الفرد والله تعالى منزه عن ذٰلك كله.

وقد يراد بالجسم ما يشار إليه أو ما يرى، أو ما تقوم به الصفات، والله تعالى يرى في الآخرة، وتقوم به الصفات ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم، فإن أراد بقوله: (ليس بجسم) هٰذا المعنى، قيل له: هٰذا المعنى الذي قصدت نفيه بهٰذا اللفظ معنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول وأنت لم تقم دليلاً على نفيه، وأما اللفظ فبدعة نفياً وإثباتاً، فليس في الكتاب ولا السنة ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها إطلاق لفظ الجسم في صفات الله تعالى لا نفياً ولا إثباتاً. انظر: منهاج السنة لابن تيمية ٢ / ٩٧ ـ ٩٨.

(٣) الجوهر: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو منحصر في خمسة هيولى، وصورة وجسم ونفس وعقل. انظر: الجرجاني، التعريفات ٧٩.

(٤) العرض: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع؛ أي: محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به. المصدر السابق ١٤٨، الإنصاف ص ١٣٦.

وجوهر وعرض، فإن قالوا: نعم فقد أقروا بصريح الكفر والتشبيه، وإن قالوا: يرى وليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، ولا يشبه شيئاً من المرئيات، قلنا: فكذٰلك كلامه قديم ليس بمخلوق ومسموع على الحقيقة، وليس بحرف ولا صوت)[1].

فانظر كيف جعل هٰذا القول الذي هو من خصائص المذهب الكُلاَّبي، هو قول أهل السنة والجماعة، مع أن إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد ابن حنبل رحمة الله عليه، وسائر أئمة أهل الحديث المعروفين بالإمامة في السنة، قالوا بإثبات الحرف والصوت في كلام الله.

وهٰذا يدل على أن الباقلاني يطلق اسم (أهل السنة والجماعة) على طائفة الأشعرية الكلابية، وهٰكذا كرر هٰذا الإطلاق في صفحات (١٤٤، ١٦١، ١٦٢، ١٦٨)، من كتاب «الإنصاف».

ـ كلام البغدادي (ت ٤٢٩):

قال: (فأما الفرقة الثالثة والسبعون، فهي: أهل السنة والجماعة من فريقي الرأي والحديث، دون من يشري لهو الحديث، وفقهاء الفريقين وقراؤهم ومحدثوهم، ومتكلموا أهل الحديث منهم، كلهم متفقون على مقالة واحدة في توحيد الصانع وصفاته، وعدله. . . مع قبول ما صح من سنة رسول الله ﷺ)[2].

وقال في بيان أنهم الفرقة الناجية: (ولسنا نجد اليوم من فرق الأمة من هم على موافقة الصحابة رضي الله عنهم غير أهل السنة والجماعة من فقهاء الأمة ومتكلميهم الصفاتية، دون الرافضة، والقدرية. . .)[3].

---

(١) الإنصاف ص ١٣٦.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق، (بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر: دار المعرفة - بيروت)، ص ٢٦.

(٣) نفس المصدر ص ٣١٨.

ثم لما بيَّن الأصول التي اجتمعوا عليها ذكرها على منهج الأشاعرة الكلابية وفيها الكثير من المخالفة لمنهج السلف[1].

كقوله إن حديث الآحاد يوجب العمل دون العلم، وكقوله في نفي الحركة عن الله عز وجل، واقتصاره على إثبات سبع صفات لله عز وجل[2]، وكل ذٰلك على مذهب الأشاعرة والكلابية، أمّا أهل السنة من سلف الأمة فقولهم في كل ذٰلك على خلاف ما ذكر.

ـ كلام أبي المظفر الإسفرائيني (ت ٤٧١هـ):

قال: «والفرقة الثالثة والسبعون هي الناجية، وهم: أهل السنة والجماعة من أصحاب الحديث والرأي وجملة فرق الفقهاء...»[3].

ثم لما ذكر اعتقادهم ذكر ما عليه الأشاعرة من نفي الاستواء، والحروف والصوت عن كلام الله عز وجل، وتأويل صفة الرحمة وغيرها من الصفات الفعلية وغير ذٰلك مما هو مخالف لعقيدة السلف ومصادم للكثير من النصوص الصحيحة الصريحة[4].

ـ كلام الجويني (ت ٤٧٨هـ):

قال في مقدمة كتابه «لمع الأدلة»: «هٰذا وقد استدعيتم أرشدكم الله عز وجل ذكر لمع من الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة...»، ثم ذكر عقيدة الأشاعرة، كقولهم في كلام الله أنه كلام نفسي ليس بحروف ولا

---

(١) نفس المصدر. انظر: ص ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٣٤.

(٢) نفس المصدر ص ٣٢٥.

(٣) انظر: التبصير في الدين، (بتحقيق كمال يوسف الحوت، ط. الأولى نشر: عالم الكتب)، ص ٢٥.

(٤) انظر: نفس المصدر ص ١٥٨ ـ ١٦٧.

صوت[1].

ـ كلام الغزالي (ت ٥٠٥هـ):

قال في كتـابه «قواعد العقائد» بعد أن سرد مسائل الاعتقاد على منهج الأشاعرة ـ كقولهم بالنفي المفصل في صفات الله ـ، فقال: (وإنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر. . . وأنه ليس بجوهر ولا بعرض. . . فكل ذٰلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار، فمن اعتقد جميع ذٰلك موقناً به كان من أهل الحق وعصابة السنة، وفارق رهط الضلال وحزب البدعة)[2].

وقـال في «الإقتصاد في الاعتقاد»: (الحمد لله الذي اجتبى من صفوة عباده عصابة الحق وأهل السنة)[3].

ـ كلام الرازي (ت ٦٠٦هـ):

قال في كتابه «معالم أصول الدين»: (قال الأكثرون من أهل السنة: كلام الله واحد. . .)[4]. وهٰذا قول الكلابية والأشاعرة وليس بقول أهل السنة والحديث.

ـ كلام أحمد بن موسى الخيالي (ت ٨٦٢هـ):

قال في «حاشيته على العقائد النسفيه»: (الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة.

---

(١) لمع الأدلة، (بتحقيق د. فوقية حسين محمود، ط. الأولى ١٣٨٥هـ، نشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف)، ص ٧٥، وص ٩٢.

(٢) ص ٧١. قواعد العقائد، (بتحقيق موسى محمد علي، ط. الثانية ١٤٠٥، نشر: عالم الكتب ـ بيروت)، ص ٧١، وانظر: ص ٥١.

(٣) ص ٣، (ط. الأولى ١٤٠٣هـ، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت).

(٤) معالم أصول الدين، (بتقديم طه عبد الرؤوف سعد، نشر: مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة)، ص ٦٥.

هٰذا هو المشهور في ديار خراسان والعراق والشام، وأكثر الأقطار، وفي ديار ما وراء النهر يطلق ذٰلك على الماتريدية أصحاب الإمام أبي منصور. . .)[1].

ـ كلام إبراهيم بن محمد البيجوري (ت ١٢٧٧هـ):

قال في «شرح جوهرة التوحيد»[2]: (. . . وأما عند أهل السنة فالحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع). وهٰذا قول الأشاعرة وليس هو قول السلف من أهل السنة.

ـ كلام الدكتور محمد سعيد رمضان (من الأشاعرة المعاصرين):

قال في معرض كلامه على مسألة كلام الله عز وجل: (ثم إن المعتزلة فسروا هٰذا الذي أجمع المسلمون على إثباته لله تعالى، بأنه أصوات وحروف يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ وجبريل، ومن المعلوم أنه حادث وليس بقديم، ثم إنهم لم يثبتوا لله تعالى شيئاً آخر من وراء هذه الأصوات والحروف تحت اسم: الكلام.

ـ قال ـ: أما جماهير المسلمين، أهل السنة والجماعة، فقالوا: إننا لا ننكر هٰذا الذي تقوله المعتزلة، بل نقول به ونسميه كلاماً لفظياً ونحن جميعاً متفقون على حدوثه وأنه غير قائم بذاته تعالى، من أجل أنه حادث، ولكنا نثبت أمراً وراء ذٰلك وهو الصفة القائمة بالنفس. . .)[3].

وهٰذا القول من خصائص المذهب الكلابي الذي عليه الأشاعرة، ولم

---

(١) المرتضى الزبيدي: اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٢ / ٦، (نشر: دار الفكر).

(٢) تحفة المريد ص ٣٠ ـ ٣١.

(٣) كبرى اليقينيات الكونية ص ١٢٥، (نشر: دار الفكر ـ بيروت، ١٤٠٥هـ مصور عن طبعة ١٩٨٢م).

يوافقهم عليه أحد من أئمة الحديث وأهل السنة من سلف هذه الأمة. فجعل الدكتور البوطي أصحاب هٰذا المعتقد في كلام الله هم أهل السنة.

ـ كلام وهبي سليمان غاوجي الألباني (من الأشاعرة المعاصرين):

قال: (الفرق في شأن صفات الله تعالى ثلاث:

أهل السنة والجماعة، وهم المثبتون لله تعالى كل صفة كمال ورد بها الدليل القطعي...)[1].

ثم ذكر أقسام الصفات على منهج الأشاعرة.

وهٰكذا نرى الأشاعرة يعلنون منذ نشأتهم وإلى اليوم أنهم هم أهل السنة، وأنهم الفرقة الناجية دون غيرهم.

ونراهم ينصون على سبب استحقاقهم هٰذا اللقب، وكونهم الفرقة الناجية. وهو: اتباعهم لسنة الرسول ﷺ وسنة أصحابه من بعده.

فيقول البغدادي: (ولسنا نجد اليوم من فرق الأمة من هم على موافقة الصحابة رضي الله عنهم غير أهل السنة والجماعة، من فقهاء الأمة ومتكلميهم الصفاتية...)[2].

وقال قبل ذٰلك عندما ذكر الفرقة الثالثة والسبعين وأنهم أهل السنة والجماعة وذكر مما يجمع هذه الفرقة: (والإقرار بتوحيد الصانع، ... مع قبول ما صح من سنة رسول الله ﷺ)[3].

ويقول الإسفراييني: في سبب نجاة أهل السنة وهو متابعتهم للرسول ﷺ: (وليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول ﷺ، وأكثر تبعاً لسنته من

(١) أركان الإيمان ص ٢٥.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٣١٨.

(٣) نفس المصدر ٢٦.

هٰؤلاء، ولهٰذا سموا: أصحاب الحديث، وسموا بأهل السنة والجماعة. . .)[1].

إذن اتباع ما كان عليه ﷺ وأصحابه، هو الضابط لاستحقاق لقب «أهل السنة» والفوز بالنجاة. وهٰذا ضابط مهم لمعرفة أهل السنة من غيرهم. فهل التزم الأشاعرة بذٰلك وحققوا الاتباع كما ادعوا؟ أم أنهم قدموا على السنة غيرها، وحكموا فيها العقل، وصرفوها عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ومستنكرات التأويلات؟

ذٰلك ما سيتضح لنا فيما بعد إن شاء الله.

وقبل ذٰلك علينا أن نعرف ما هو الطريق لمعرفة السنة، وبأي شيء تدرك؟

رابعاً: طريق معرفة السنة وإدراكها:

إذا كانت السنة هي ما كان عليه النبي ﷺ فلا شك أنه لا سبيل إلى معرفتها إلا بالنقل لا غير. بالنقل الصحيح نعرف ما كان عليه الرسول الله ﷺ، ولا سبيل للعقل إلى ذٰلك البتة.

وبالاتباع لما جاء به النقل من ذٰلك تدرك السنة.

يقول إمام أهل السنة من غير منازع الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه (ت **٢٤١هـ**): (وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول، والأهواء، إنما هي الاتباع، وترك الهوى)[2].

ويقول الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين (**٣٢٤ ـ ٣٩٩هـ**): (اعلم رحمك الله أن السنة دليل القرآن، وأنها لا تدرك بالقياس، ولا تؤخذ بالعقول،

---

(١) التبصير في الدين ص ١٨٥.

(٢) اللالكائي، شرح أصول أهل السنة ١ / ١٥٦ ـ ١٥٨، وابن الجوزي مناقب الإمام أحمد ١٧١ ـ ١٧٢.

وإنما هي في الاتباع للأئمة، ولما مشى عليه جمهور هٰذه الأمة)[1].

ويقول الإمام أبو نصر السجزي[2] (ت ٤٤٤هـ): (ولا خلاف بين العقلاء في أنّ سنة رسول الله ﷺ لا تعلم بالعقل، وإنما تعلم بالنقل)[3].

وقال: (. . . فكل مدع للسنة يجب أن يطالب بالنقل الصحيح بما يقوله فإن أتى بذٰلـك عُلم صدقه، وقُبل قوله، وإن لم يتمكن من نقل ما يقوله عن السلف، علم أنه محدث زائغ)[4].

وقال أبو المظفر السمعاني (٤٨٩هـ): (. . . فلا بد من تعرف ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وليس طريق معرفتنا إلا النقل، فيجب الرجوع إلى ذٰلك . . .)[5].

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه يقول في هٰذا الصدد: (. . . إن السنة التي يجب اتباعها، ويحمد أهلها، ويذم من خالفها، هي سنة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقادات، وأمور العبادات، وسائر أمور الديانات، وذٰلك إنما يعرف بمعـرفـة أحـاديث النبي ﷺ الثابتة عنه في أقواله وأفعاله، وما تركه من قول،

---

(١) أصول السنة ١ / ٢٠، (بتحقيق محمد إبراهيم هارون)، على الآلة الكاتبة رسالة ماجستير.

(٢) هو: عبيد الله بن سعيد بن حاتم الـوايلي، له كتاب الإبانة في الرد على الزائغين، وكتاب الرد على من أنكر الحرف والصوت، توفي سنة ٤٤٤هـ. وقد قدمتُ عنه دراسة موسعة في مقدمة تحقيق كتاب الرد على من أنكر الحرف والصوت، الذي نلت به درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية، ونشره المجلس العلمي بها. راجع ص ١٨ ـ ٤٦.

وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٥٤ ـ ٦٥٧، وتذكرة الحفاظ ٣ / ١١١٨ ـ ١١٢٠.

(٣) الرد على من أنكر الحرف والصوت، ص ٩٩، (ط. الأولى، ١٤١٣هـ).

(٤) الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١١١.

(٥) الانتصار لأهل الحديث، ضمن كتاب: صون المنطق للسيوطي ص ١٦٥.

وعمل، ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم بإحسان، وذلك في دواوين الإسلام المعروفة)[1].

هذا كلام أهل العلم من أئمة أهل السنة يبين في جلاء أن السنة لا سبيل لمعرفتها وإدراكها إلا بالنقل الثابت الصحيح، والاتباع المحض لما ثبت منها.

فما هو موقف الأشاعرة، من النقل؟ الذي هو السبيل الوحيد. لمعرفة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ذلك ما سنقف عليه في الفقرة التالية.

● خامساً: موقف الأشاعرة من النقل عموماً والسنة خصوصاً:

إذا تأملنا كتب القوم، نجدهم يجعلون العقل هو الأساس، والنقل تبعاً له، ولا يخلو النقل مع العقل من إحدى الحالات الآتية:

١) إما أن يكون النقل قطعي الثبوت كالمتواتر مثلاً، موافقاً للعقل، فهذا يقبلونه، لموافقته مقتضى العقل وكونه موجباً للعمل.

٢) وإما أن يكون قطعياً، مخالفاً للعقل. وله حالتان:

١ ـ أن يمكن تأويله بما يوافق العقل فيجب تأويله، ويقبل النقل ويؤول.

٢ ـ أن لا يمكن تأويله. وهذا يرد لمخالفته العقل، والعقل مقدم على النقل عندهم.

٣) وإما أن يكون النقل ليس بقطعي ـ عندهم ـ كخبر الآحاد وله ثلاث حالات:

١ ـ أن يكون موافقاً لمقتضى العقل: فهذا يقبل لموافقته العقل لا لذاته.

٢ ـ أن يكون مخالفاً لمقتضى العقل، لكن يمكن تأويله بما يوافق

---

(١) الوصية الكبرى، (بتحقيق أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود، ط. الأولى ١٤٠٧هـ، نشر: مكتبة ابن الجوزي ـ الإحساء) ص ١٨.

مقتضى العقل. فهٰذا يشتغل بتأويله على سبيل التبرع، وإلا فليسوا ملزمين بتأويله؛ لأنه ليس يجب تأويل إلا ما كان موجباً للعلم وهو المتواتر، أما الآحاد فليس كذٰلك.

٣ ـ أن يكون مخالفاً لمقتضى العقل ولا يمكن تأويله، فهٰذا حكمه الرد لعدم إيجابه للعلم أصلاً، وعدم إمكان تأويله.

هذه خلاصة موقف القوم من النقل، وإليك كلامهم من كتبهم في بيان موقفهم من النقل، مراعياً الترتيب الزمني لنقف على تطور موقفهم:

١) كلام ابن فورك (ت ٤٠٦هـ):

قال: (. . . وأما ما كان من نوع الآحاد، مما صحت الحجة به، من طريق وثاقة النقلة، وعدالة الرواة، واتصال نقلهم، فإن ذٰلك وإن لم يوجب العلم والقطع فإنه يقتضي غالب الظن وتجويز حكم. . .)[١].

٢) كلام البغدادي (ت ٤٢٩هـ):

قال: (والأخبار عندنا ثلاثة أقسام: متواتر، وآحاد، ومتوسط، بينهما مستفيض جارٍ مجرى التواتر في بعض أحكامه.

فالمتواتر: هو الذي يستحيل التواطؤ على وضعه وهو موجب للعلم الضروري بصحة مخبره.

وأخبار الآحاد: متى صح إسنادها، وكانت متونها غير مستحيلة، في العقل، كانت موجبة للعمل بها دون العلم، وكانت بمنزلة شهادة العدول عند الحاكم، يلزم الحكم بها في الظاهر وإن لم يعلم صدقهم في الشهادة. . .)[٢].

---

(١) مشكل الحديث وبيانه ص ٥، وانظر أيضاً: ص ٢٦٩.

(٢) أصول الدين ص ١٢.

وقال في شروط قبول خبر الآحاد: (والشرط الثالث: أن يكون متن الخبر مما يجوز في العقل كونه.

فإن روى الراوي ما يحيله العقل، ولم يحتمل تأويلاً صحيحاً فخبره مردود. . .

وإن كان ما رواه الراوي الثقة يَرُوع[1] ظاهره في العقول ولكنه يحتمل تأويلاً يوافق قضايا العقول قبلنا روايته وتأولناه على موافقة العقول. . .)[2].

٣) كلام الجويني (٤٧٨هـ):

قال في باب القول في «السمعيات»: (اعلموا، وفقكم الله تعالى أن أصول العقائد تنقسم إلى ما يدرك عقلاً، ولا يسوغ تقدير إدراكه سمعاً، وإلى ما يدرك سمعاً، ولا يتقدر إدراكه عقلاً، وإلى ما يجوز إدراكه سمعاً وعقلاً. . .

فإذا ثبتت هذه المقدمة، فيتعين بعدها على كل معتن بالدين واثق بعقله أن ينظر فيما تعلقت به الأدلة السمعية.

فإن صادفه غير مستحيل في العقل، وكانت الأدلة السمعية قاطعة في طرقها، لا مجال للاحتمال في ثبوت أصولها ولا في تأويلها، فما هٰذا سبيله، فلا وجه إلا القطع به.

وإن لم تثبت الأدلة السمعية بطرق قاطعة، ولم يكن مضمونها مستحيلاً في العقل، وثبتت أصولها قطعاً، ولكن طريق التأويل يجول فيها، فلا سبيل إلى القطع، ولكن المتدين يغلب على ظنه ثبوت ما دل الدليل السمعي على ثبوته وإن لم يكن قاطعاً.

---

(١) يروع؛ أي: يفزع. انظر: لسان العرب ٨ / ١٣٥.

(٢) أصول الدين ص ٢٣.

وإن كان مضمون الشرع المتصل بنا مخالفاً العقل، فهو مردود قطعاً بأن الشرع لا يخالف العقل، ولا يتصور في هٰذا القسم ثبوت سمع قاطع . . .)[1].

فبين رحمه الله ما يقبل من النقل والسمع وما يرد، وما يتأول، وبين في كتاب «لمع الأدلة» أن النقل يقبل إذا كان مضمونه مما يجوز في العقل فقال: (كل ما جوزه العقل، وورد به الشرع، وجب القضاء بثبوته. . .)[2].

كما أوضح في «الشامل» أنه لا يتحتم عليهم تأويل كل حديث ورد مخالفاً للعقل، وإنما يجب عليهم تأويل الأحاديث التي توجب العلم وهي المتواترة، بخلاف الآحاد.

قال: (. . . وليس يتحتم علينا أن نتأول كل حديث مختلف، كيف وقد بينا أن ما يصح في الصحاح من الآحاد لا يلزم تأويله، إلا أن نخوض فيه مسامحين، فإنه إنما يجب تأويل ما لو كان نصاً لأوجب العلم)[3].

٤) كلام الغزالي (ت ٥٠٥هـ):

قال بعد أن قسم ما لا يعلم بالضرورة إلى: ما يعلم بدليل العقل دون الشرع. وإلى ما يعلم بالشرع دون العقل، وإلى ما يعلم بهما. . .

(. . . ثم كلما ورد السمع به ينظر:

فإن كان العقل مجوزاً له، وجب التصديق به قطعاً، إن كانت الأدلة السمعية قاطعة في متنها ومستندها لا يتطرق إليها احتمال. . .

وأما ما قضى العقل باستحالته، فيجب تأويل ما ورد السمع به، ولا

---

(١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٣٥٨ ـ ٣٦٠، (بتحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، ط. ١٣٦٩هـ. مطبعة السعادة، نشر: مكتبة الخانجي).

(٢) ص ١١٢.

(٣) ١ / ٥٦١.

يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول.

وظواهر أحاديث التشبيه أكثرها غير صحيحة، والصحيح منها ليس بقاطع، بل هو قابل للتأويل.

فإن توقف العقل في شيء من ذلك فلم يقض فيه باستحالة ولا جواز، وجب التصديق أيضاً لأدلة السمع، فيكفي في وجوب التصديق انفكاك العقل عن القضاء بالإحالة، وليس يشترط اشتماله على القضاء بالجواز[1].

ثم بيّن أن هذا القسم غير جائز اعتقاد ما جاء به في حقّ الله تعالى لتوقف العقل فيه، وإنما يجوز في حق الله ما دل العقل على جوازه فقال: «وبين الرتبتين فرق ربما يزل ذهن البليد حتى لا يدرك الفرق بين قول القائل: اعلم أن الأمر جائز، وبين قوله: لا أدري أنه محال أم جائز، وبينهما ما بين السماء والأرض، إذا الأول جائز على الله تعالى، والثاني غير جائز، فإن الأول: معرفة بالجواز.

والثاني: عدم معرفة بالإحالة، ووجوب التصديق جائز في القسمين جميعاً»[2].

٥) كلام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ):

وضع الرازي ما يسمى بالقانون الكلي، الذي يرجع إليه عند تعارض العقل والنقل ـ بزعمهم، وإلا فإن النقل الصحيح لا يعارض العقل الصريح ـ فقال في كتابه الموسوم بأساس التقديس: (الفصل الثاني والثلاثون: في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية فكيف يكون الحال فيها؟

اعلم أن الدلائل القطعية إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجدنا أدلة نقلية

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٢) نفس المصدر ص ١٣٣.

يشعر ظاهرها بخلاف ذٰلك، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة:

١) إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل. فيلزم تصديق النقيضين وهو محال.

٢) وإما أن يبطل، فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال.

٣) وإما أن يصدق الظواهر النقلية، ويكذب الظواهر العقلية، وذٰلك باطل؛ لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية، إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته. وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ، وظهور المعجزات على محمد ﷺ، ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية، صار العقل متهماً غير مقبول القول، ولو كان كذٰلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل، يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً، وأنه باطل.

ولما بطلت الأقسام الأربعة[1] لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هٰذه الدلائل النقلية إما أن يقال:

١ ـ إنها غير صحيحة.

٢ ـ أو يقال: إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها.

ثم إنْ جَوَّزْنا التأويل واشتغلنا به على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى. فهٰذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات...)[2].

وقال أيضاً في شروط إفادة الدليل اللفظي اليقين:

---

(١) لم يتقدم إلا ذكر ثلاثة. والرابع هو ما ذكره بعد ذٰلك.

(٢) ص ١٧٢ ـ ١٧٣.

(مسألة: الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة:

١) عصمة رواة مفردات الألفاظ.

٢) وإعرابها.

٣) وتصريفها.

٤) وعدم الاشتراك.

٥) والمجاز.

٦) والنقل.

٧) والتخصيص بالأشخاص والأزمنة.

٨) وعدم الإضمار والتأخير والتقديم.

٩) والنسخ.

١٠) وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح عليه، إذ ترجيح النقل على العقل يقتضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل؛ لافتقاره إليه، وإذا كان المنتج ظنياً فما ظنك بالنتيجة؟)[١].

وبنحو هٰذا قال الإيجي (٧٥٠هـ) أيضاً[٢].

ومن الأشاعرة المعاصرين يقول د. محمد سعيد رمضان البوطي: (ولكن الصحيح نفسه يرقى في درجات متفاوته، تبدأ من الظن القوي إلى الإدراك اليقيني... فإذا كانت السلسلة التي توفرت فيها مقومات الصحة مكونة من آحاد الرواة الذين ينتقل الخبر بينهم فهو لا يعدو أن يكون خبراً ظنياً في حكم العقل...

---

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ٥١.

(٢) المواقف في علم الكلام ص ٤٠.

فأمَّا الـظني من الخبر الصحيح فلا يعتد به الحكم الإسلامي في بناء العقيدة؛ لأنه إنما يفيد الظن، ولقد نهى القرآن ـ في مجال البحث في العقيدة ـ عن اتباع الظن. . .)[1].

وهٰكذا نرى الأشاعرة في ماضيهم، وحاضرهم، يقفون من النقل والسمع موقفاً ليس لهم سلف فيه إلا المعتزلة.

فقد جعلوا العقل أصلاً يرجع إليه، وجعلوا ما جاءت به الأنبياء تبعاً له، فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالفها ردوه، أو تأولوه على مقتضى عقولهم.

فهل هٰذا الموقف الذي اتخذه الأشاعرة من النقل بصفة عامة، ومن السنة بصفة خاصة، يؤهلهم لأن يكونوا هم أهل السنة؟ كيف وقد عد أهل العلم بالسنة من أهم ما يميز أهل السنة من أهل البدعة تقديم النقل والأثر والإحتكام إليهما؛ كما يقول أبو المظفر السمعاني:

(واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو: مسألة العقل. فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول.

وأما أهل السنة قالوا: الأصل في الدين الاتباع، والعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول، لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله عليهم، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء. . .)[2].

وعدوا من أهم علامات أهل السنة، أنهم عند التنازع يدعون إلى التحاكم إليها دون آراء الرجال وعقولها، بينما أهل البدع يدعون إلى التحاكم إلى آراء الرجال ومعقولاتها[3].

---

(١) كبرى اليقينيات ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٢) الانتصار لأهل الحديث، ضمن صون المنطق للسوطي ص ١٨٢.

(٣) ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة ٢ / ٦٢٧.

وهٰؤلاء ـ الأشاعرة ـ يقضي قانونهم الكلي الذي وضعوه، بالرجوع عند الاختلاف إلى العقل كما تقدم. فما جوزه قبل، وما اعتبره مستحيلاً وجب تأويله إن كان قطعي الثبوت، وإن كان ظنياً أُشتُغِل بتأويله على سبيل التبرع، أوردُّ لعدم حجيته.

وبذٰلك ردوا، وأوَّلوا كثيراً من نصوص الشرع، مما أفضي بهم إلى القول بقول الجهمية تارة، كما في مسألة الإيمان مثلاً، والقدر، وبقول المعتزلة تارة في نفي وتأويل بعض الصفات التي جاء بها السمع الصحيح.

ولا نشتغل بذكر ذٰلك هنا. إذ سنبين موضعهم عند الكلام على وسطية أهل السنة بين طرفي الإفراط والتفريط، في كل باب إن شاء الله تعالى.

وإنما اكتفى هنا بالإشارة إلى أن موافقتهم للمعتزلة في قضية العقل والنقل جرتهم إلى موافقتهم في كثير مما خالفوا فيه السلف من أهل السنة والحديث والأثر.

وبعد هٰذا العرض لموقف الأشاعرة من قضية النقل، وما ترتب عليه من مخالفة السلف، وموافقة أهل البدع.

يتبين لنا أن دعوى الأشاعرة أنهم أهل السنة دعوى عريضة لم يستطيعوا أن يدللوا عليها، فهم لم يلتزموا بما برروا به اعتبار أنفسهم أهل السنة والفرقة الناجية وهو زعمهم أنهم هم من بين فرق الأمة الذين على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه[1].

وأنهم يقبلون ما صح من سنته ﷺ[2].

فإنَّهم وإنْ قبلوا شيئاً من سنته ﷺ، لم يقبلوه لكونه سنة يجب التسليم

---

(١) تقدم ص ٥٦، وانظر: البغدادي، الفرق بين الفرق ص ٣١٨.

(٢) تقدم ص ٥٦، وانظر: البغدادي، الفرق بين الفرق ص ٢٦.

لها، وإنما قبلوه لكون العقل دل على ما جاءت به السنة، بدليل أنه إذا كان النص وإن صح معارضاً للعقل ـ في نظرهم ـ لم يقبل، فإمَّا أن يُرَدَّ أو يُؤَوَّل كما تقدم.

ومن كان هٰذا حاله لا يكون من أهل السنة، وإن أصاب السنة كما جاء عن الإمام أحمد، إن صاحب الكلام لا يكون من أهل السنة وإن أصابها[1].

لأنه لم يستمد من السنة أو يتلقى منها ويسلم لها، فمن تلقى من السنة واستمد منها فهو من أهلها وإن أخطأ ـ أي: في فهمها ـ، ومن تلقى من غيرها، فقد أخطأ وإن وافقها في النتيجة.

● سادساً: سلف الأشاعرة وموقف أهل السنة منهم:

سلف الأشاعرة:

قبل أن أذكر مواقف أهل العلم من ادعاء الأشاعرة أنهم أهل السنة، أرى أن نتعرف على سلف الأشاعرة، وموقف علماء أهل السنة من السلف منهم.

تشير المصادر التي بين أيدينا بما فيها كتب الأشاعرة أنفسهم ـ إلى أن سلفهم في مقالتهم هو عبد الله بن سعيد بن كلاب[2]، وأبو العباس القلانسي[3]، والحارث المحاسبي[4].

---

(١) اللالكائي، شرح أصول أهل السنة ١ / ١٥٧.

(٢) وهو: أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم. وكلاب مثل خطاف وزنا ومعنى، لقب به لقوته في المناظرة؛ لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته، وأصحابه هم الكلابية، أدرك بعضَهم أبو الحسن الأشعري، توفي بعد الأربعين ومائتين.

انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم ٢٣٠، والسير للذهبي ١١ / ١٧٤.

(٣) وهو: أبو العباس أحمد بن عبد الرحمٰن بن خالد القلانسي الرازي. انظر: ابن عساكر، تبيين كذب المفترى ص ٣٩٨.

(٤) وهو: الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي، من الزهاد المتكلمين على العبادة =

يقول الشهرستاني (٤٧٩ - ٥٤٨هـ) - بعد أن بين أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون صفات الله عز وجل من غير تفرقة بين الصفات الذاتية منها والصفات الفعلية. . . .-: (حتى انتهى الزمان إلى عبدالله بن سعيد الكلابي، وأبي العباس القلانسي، والحارث بن أسد المحاسبي. وهٰؤلاء كانوا من جملة السلف إلّا أنهم باشروا علم الكلام، وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية، وبراهين أصوليه، وصنف بعضهم، ودرس بعض، حتى جرى بين أبي الحسن الأشعري وبين أستاذه[1] مناظرة في مسائل من مسائل الصلاح والأصلح فتخاصما، وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة، فأيد مقالتهم بمناهج كلامية، وصار ذٰلك مذهباً لأهل السنة والجماعة، وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية)[2].

وكلام الشهرستاني يفيد صراحة؛ أن مذهب الأشعرية إنما تلتمس أصوله لدى جماعة من الصفاتية باشروا الكلام وأثبتوا الصفات من أمثال الكلابي، والقلانسي والمحاسبي[3].

ويعتبر الأشاعرة ابن كلاب، إمام أهل السنة في عصره، ويعدونه شيخهم الأول فيقولون: (ذهب شيخنا الكلابي عبد الله بن سعيد إلى. . .)[4].

كما يذكرونه وكذا القلانسي في كتبهم مشيرين إلى أنهما من أصحابهم[5].

= والزهد. . .، وكان فقيهاً متكلماً، توفي سنة ٢٤٣هـ.

انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم ٢٣٦، وميزان الاعتدال للذهبي ١ / ٤٣٠ - ٤٣١، والكامل لابن الأثير ٥ / ٢٩٨.

(١) وهو شيخه: أبو علي الجبائي.

(٢) الملل والنحل ١ / ٩٣.

(٣) د. أحمد محمود صبحي. في علم الكلام ص ٤٢٢.

(٤) الشهرستاني، نهاية الإقدام ٣٠٣.

(٥) انظر: البغدادي، أصول الدين ص ٨٧، ٩٧، ٢٣٤، والجويني الإرشاد ص ١١٩.

فهٰؤلاء هم سلف الأشعرية، وقد كانوا من جملة السلف، ثم باشروا علم الكلام، فجرهم ذٰلك إلى مخالفة السلف في بعض ما يقولون وموافقة المعتزلة في بعض أصولهم، وأشهر ما خالفوا فيه السلف ووافقوا فيه المعتزلة مسألة قيام الأفعال الاختيارية بذات الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين:

فأهل السنة والجماعة: يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها.

والجهمية من المعتزلة وغيرهم: تنكر هٰذا، وهٰذا.

فأثبت ابن كلاب: قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها ووافقه على ذٰلك أبو العباس القلانسي وأبو الحسن الأشعري[1] وغيرهما)[2].

فوافق السلف والأئمة من أهل السنة في إثبات الصفات، ووافق الجهمية في نفي قيام الأفعال الاختيارية وما يتعلق بمشيئته وقدرته.

فكان في مسلكهم ميل إلى البدع ومخالفة للسنة ومقارفة للكلام مما جعل علماء السلف من أهل السنة يحذرون منهم.

وقد كان الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة (١٦٤ - ٢٤١هـ) من أشدهم في ذٰلك، فقد هجر الحارث بن أسد المحاسبي لأجل ذٰلك. كما

---

(١) أبو الحسن الأشعري رحمه الله ثبت رجوعه إلى مذهب السلف في ذٰلك على ما جاء في كتابي الإبانة، والمقالات.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٦.

يقـول: أبو القاسم النصر أباذي[1]: (بلغني أن الحارث المحاسبي تكلم في شيء من الكلام فهجره أحمد بن حنبل فاختفى، فلما مات لم يصل عليه؛ إلا أربعة نفر)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما الحارث المحاسبي فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب، ولهٰذا أمر أحمد بهجره، وكان أحمد يحذر عن ابن كلاب وأتباعه. . .)[3].

وقال: (والإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة كانوا يحذرون عن هٰذا الأصل الذي أحدثه ابن كلاب ويحذرون عن أصحابه.

وهٰذا هو سبب تحذير الإمام أحمد عن الحارث المحاسبي ونحوه من الكلابية)[4].

وقـال الإمـام أبـو بكـر ابن خزيمـة (ت ٣١١هـ) لمـا قال له أبو علي الثقفي[5]: (ما الذي أنكرت أيها الأستاذ من مذاهبنا حتى نرجع عنه؟

---

(١) وهـو إبـراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه الخراساني النصر آباذي، كان عالماً بالحـديث، وكـان من شيوخ الصوفية في وقته، نزل مكة وتوفي بها سنة ٣٦٧هـ. انظر ترجمته: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٦ / ١٦٩، والسمعاني، الأنساب ٥ / ٤٩٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء ١٦ / ٢٦٣.

(٢) الذهبي، ميزان الاعتدال ١ / ٤٣٠، وابن حجر، تهذيب التهذيب ٢ / ١٥٣.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٦.

(٤) الفتاوى ١٢ / ٣٦٨.

(٥) وهو: محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحٰمن، أبو علي الثقفي، ذكر الحاكم أنه كان إماماً في الفقه والكلام، والوعظ والورع، روى عنه أبو بكر ابن إسحاق (ابن خزيمة)، مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

انظر: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية =

قال: ميلكم إلى مذهب الكلابية، فقد كان أحمد بن حنبل من أشد الناس على عبد الله بن سعيد بن كلاب، وعلى أصحابه مثل الحارث وغيره)[1].

وكان ابن خزيمة رحمه الله شيخ الإسلام وإمام الأئمة في زمنه، شديداً على الكلابية، منابذاً لهم.

فإذا كان هٰذا موقف إمام أهل السنة أحمد بن حنبل من الكلابية الذين هم سلف الأشاعرة، مع موافقتهم لأهل السنة في أكثر أقوالهم كما يدل عليه قول أبي الحسن الأشعري: (فأمَّا أصحاب عبد الله بن سعيد القطان، فإنهم يقولون بأكثر ما ذكرناه عن أهل السنة. . .)[2].

وكان ابن كلاب والمحاسبي يثبتون لله صفة العلو، والاستواء على العرش، كما يثبتون الصفات الخبرية كالوجه واليدين وغيرهما[3].

فكيف بمتأخري الأشاعرة الذين يؤولون ذٰلك كله، ويوافقون المعتزلة والجهمية في كثير من أقوالهم، مخالفين بذٰلك أئمة السلف من أهل السنة بل مخالفين سلفهم ابن كلاب وأصحابه.

فما هو موقف علماء أهل السنة منهم؟ وهل أقروهم على دعواهم أنهم أهل السنة؟ ذٰلك ما سنقف عليه في الصفحات التالية:

● **سابعاً: موقف علماء أهل السنة من دعوى الأشاعرة أنهم أهل السنة:**

بتتبع كلام أهل العلم من علماء أهل السنة نجد أقوالهم في ذٰلك متفاوتة ما بين متشدد، دعاه لذٰلك ما وقف عليه من مخالفة القوم للسنة، وموافقتهم

= الكبرى ٣ / ١٩٢، (بتحقيق محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، ط. الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤).

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ترجمة ابن خزيمة ١٤ / ٣٨٠.

(٢) مقالات الإسلاميين ١ / ٣٥٠.

(٣) انظر: ابن تيمية، درء التعارض ٣ / ٣٨٠ - ٣٨١، ٥ / ٢٤٨، ٦ / ١١٩.

للجهمية والمعتزلة في بعض أقوالهم، فبدّعهم وحذّر منهم ولم ير استحقاقهم للقب «أهل السنة» الذي يدعونه.

وبين متساهل يعُدَّهم من أهل السنة، لما رأى من موافقتهم للسنة في بعض المسائل.

وبين هٰؤلاء وهٰؤلاء حاول بعض من أهل العلم التدقيق في المسألة، والقول فيها بشي من التفصيل.

وفَرّق بعض أهل العلم بين متقدميهم ومتأخريهم، فعَدَّ المتقدمين منهم أقرب إلى أهل الحديث والسنة، والمتأخرين أقرب إلى الجهمية والمعتزلة.

وإليك تفصيل أقوالهم مرتبة حسب التصنيف الذي ألمحنا إليه:

القول الأول:

قول بعض أهل العلم: أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة وإنما هم أهل كلام، عدادهم في أهل البدعة.

وممن ذهب إلى ذٰلك: الإمام أبو نصر السجزي[1] (ت ٤٤٤هـ). حيث يرى أنهم محدثة وليسوا أهل سنة، فيقول في فصل عقده لبيان السنة ما هي؟ وبم يصير المرء من أهلها؟

«. . . فكل مدَّعٍ للسنة يجب أن يطالب بالنقل الصحيح بما يقوله، فإن أتى بذٰلك علم صدقه، وقبل قوله، وإن لم يتمكن من نقل ما يقوله عن السلف، عُلم أنه محدث زائغ، وأنه لا يستحق أن يصغا إليه أو ينظر في قوله، وخصومنا المتكلمون معلوم منهم أجمع اجتناب النقل والقول به بل تمحينهم لأهله ظاهر، ونفورهم عنهم بيّن، وكتبهم عارية عن إسناد بل يقولون: قال الأشعري، وقال ابن كلاب، وقال القلانسي، وقال الجبائي . . .

(١) تقدمت له ترجمة ص ٦٢.

ومعلوم أن القائل بما ثبت من طريق النقل الصحيح عن الرسول ﷺ لا يسمى محدثاً بل يسمى سنياً متبعاً، وأن من قال في نفسه قولاً وزعم أنه مقتضى عقله، وأن الحديث المخالف لا ينبغي أن يلتفت إليه، لكونه من أخبار الآحاد، وهي لا توجب علماً، وعقله موجب للعلم يستحق أن يسمى محدثاً مبتدعاً، مخالفاً، ومن كان له أدنى تحصيل أمكنه أن يفرق بيننا وبين مخالفينا بتأمل هٰذا الفصل في أول وهلة، ويعلم أن أهل السنة نحن دونهم، وأن المبتدعة خصومنا دوننا»[1].

بل يذهب رحمه الله أبعد من ذٰلك فيرى أن ضررهم أكثر من ضرر المعتزلة، فيقول: (ثم بُلِيَ أهلُ السنة بعد هٰؤلاء؛ ـ أي: المعتزلة ـ بقوم يدَّعون أنَّهم من أهل الاتباع، وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم وهم أبو محمد بن كلاب وأبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري . . .»[2].

معللاً رأيه هٰذا بقوله: (فهٰؤلاء يردون على المعتزلة بعض أقاويلهم ويردون على أهل الأثر أكثر مما ردوه على المعتزلة)[3]. وقوله: (. . . لأن المعتزلة قد أظهرت مذهبها ولم تَسْتَقْفِ[4] ولَمْ تُمَوِّه.

بل قالت: إن الله بذاته في كل مكان وإنه غير مرئي، وإنه لا سمع له ولا بصر . . . فعرف أكثر المسلمين مذهبهم وتجنبوهم وعدوهم أعداء. والكلابية، والأشعرية قد أظهروا الرد على المعتزلة، والذب عن السنة وأهلها، وقالوا في

---

(١) انظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٠٠ ـ ١٠١ وانظر: ص ٦٢ من هٰذه الرسالة.

(٢) نفس المصدر ٢٢٢.

(٣) نفس المصدر ٢٢٣.

(٤) الاستقفاء: الاتيان من الخلف يقال: اقتفيته بالعصا، واستقفيته ضربت قفاه بها. انظر: لسان العرب ١٥ / ١٩٣.

القرآن وسائر الصفات ما ذكرنا بعضه[1])[2].

وممن عدهم من أهل البدع محمد بن أحمد بن خويز منداد المصري المالكي[3]، فقد روى عنه ابن عبد البر: أنه قال في كتاب الشهادات من كتابه «الخلاف»، في تأويل قول مالك: لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهوء[4] قال: (أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو

---

(١) يشير رحمه الله إلى ما ذكره عنهم من قولهم في القرآن إن الله تكلم به بلا أحرف ولا صوت، وتأويلهم للصفات كالاستواء والنزول والفوقية وغير ذٰلك. انظر مثلاً ص (٨٢، ١٠٦، ١٠٧، ١٧٣)، وما بعدها من رسالة «الرد على من أنكر الحرف والصوت».

(٢) الرد على من الحرف والصوت ص ١٧٧، ١٧٨.

(٣) قال ابن فرحون: هو محمد بن أحمد بن عبد الله ورأيت على كتبه بخطه: محمد بن أحمد بن علي بن إسحاق، تفقه على الأبهري، وله كتاب كبير في الخلاف... وكان يجانب الكلام، وينافر أهله، حتى يؤدي ذٰلك إلى منافرة المتكلمين من أهل السنة، ويحكم على الكل منهم بأنهم من أهل الأهواء الذين قال مالك في مناكحتهم وشهادتهم وإمامتهم وتنافرهم ما قال. الديباج المذهب، (بتحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، نشر: دار التراث بالقاهرة)، ٢ / ٢٢٩.

(٤) في قبول شهادة أهل الأهواء والبدع أوردّها عدة أقوال لأهل العلم ملخصها ما يلي:

أولاً: من عرف من أهل البدع بالكذب واستحلال شهادة الزور على الخصوم فترد شهادته باتفاق، وذٰلك كغلاة الروافض كما قال الإمام الشافعي فيما رواه البيهقي: «أجيز شهادة أهل الأهواء كلهم؛ إلا الرافضة فإنه يشهد بعضهم لبعض»، وقال: «لم أر أشهد بالزور من الرافضة».

ثانياً: أما سائر أهل الأهواء ففي قبول شهادتهم ثلاثة أقوال:

١) القبول مطلقاً.

٢) الرد مطلقاً.

٣) تقبل إذا لم يكن المبتدع داعية لبدعته، وتُرَدُّ إذا كان داعية إلى ذٰلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهٰذا القول هو الغالب على أهل الحديث لا يرون الرواية عن الداعية إلى البدع ولا شهادته).

راجع في هٰذا: منهاج السنة ١ / ٦٢، ط. جامعة الإمام، وسنن البيهقي ١٠ / ٥٢ ـ ٥٣، وشرح السنة للبغوي ١ / ٢٢٨.

من أهـل الأهـواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويهجر ويؤدب على بدعته. . .)[1].

ومن المتأخرين: الشيخ ابن سحمان[2]، والشيخ عبد الله أبو بطين[3] كما سيأتي ذكـر قولهمـا في ذلـك في معـرض ردهمـا على السفاريني في اعتباره الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة.

القول الثاني:

قول من عَدَّهم من أهل السنة، ومن هؤلاء:

السفـاريني (١١١٤ ـ ١١٨٨)؛ حيث قسم أهل السنة إلى ثلاث فرق فقال: «أهل السنة والجماعة ثلاث فرق:

١) الأثرية: وإمامهم أحمد بن حنبل. . . .

٢) والأشعرية: وإمامهم أبو الحسن الأشعري[4].

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله ٢ / ١١٧ (ط. الثانية ١٣٨٨، نشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة).

(٢) وهـو: سليمـان بن مصلح بن حمـدان الخثعمي العسيري أصـلاً ومـولداً، ولد سنة ١٢٦٦هـ ببلاد عسير، ثم رحل مع أبيه إلى نجد، وأخذ على علمائها، له عدة مصنفات في الدفاع عن العقيدة السلفية شعراً ونثراً، مات في الرياض سنة ١٣٤٩هـ، انظر: عبد الله بن عبد الرحمن البسـام، علمـاء نجد ١ / ٢٧٩ ـ ٢٨١، (ط. الأولى عام ١٣٩٨. نشر: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة).

(٣) وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أبو بطين. أحد أكابر علماء نجد ولي القضاء في عدة أماكن منها. له مصنفات وردود على المخالفين، منها: الفتاوى، وتأسيس التقديس في الرد على ابن جرجيس، ولد في روضة سدير عام ١١٩٤، وتوفي بعنيزة سنة ١٢٨٢هـ. انظر: المصدر السابق ٢ / ٥٦٧.

(٤) ثبت رجوع أبي الحسن عما عليه الأشعرية إلى مذهب الإمام أحمد فلا يعد إماماً لهم في مذهبهم الذي هم عليه لرجوعه عنه.

٣) والماتريدية: وإمامهم أبو منصور الماتريدي»[١].

ولم يُسَلّم ذٰلك له فقد تعقبه في الحاشية بعض أهل العلم ولعله الشيخ ابن سحمان فقال: «هٰذا مصانعة من المصنف رحمه الله تعالى في إدخاله الأشعرية والماتريدية في أهل السنة والجماعة، فكيف يكون من أهل السنة والجماعة من لا يثبت علو الرب سبحانه فوق سماواته، واستواءه على عرشه ويقول: حروف القرآن مخلوقة، وإن الله لا يتكلم بحرف وصوت، ولا يثبت رؤية المؤمنين ربهم في الجنة بأبصارهم، فهم يقرون بالرؤية ويفسرونها بزيادة علم يخلقه الله في قلب الرائي. ويقول: الإيمان مجرد التصديق وغير ذٰلك من أقوالهم المعروفة المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة»[٢].

كما علق على ذٰلك أيضاً الشيخ عبد الله بابطين (ت ١٢٨٢هـ) بقوله: (تقسيم أهل السنة إلى ثلاث فرق فيه نظر، فالحق الذي لا ريب فيه أن أهل السنة فرقة واحدة، وهي الفرقة الناجية التي بينها النبي ﷺ حين سئل عنها بقوله: (هي الجماعة)، وفي رواية: (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)، أو (من كان على ما أنا عليه وأصحابي). قال: وبهٰذا عرف أنهم المجتمعون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ولا يكونون سوى فرقة واحدة. ـ قال ـ: والمؤلف نفسه يرحمه الله لما ذكر في المقدمة هٰذا الحديث، قال في النظم:

وَلَيْسَ هٰذَا النَّصُّ جَزماً يُعْتَبَرْ   في فِرْقَةٍ إلَّا عَلى أَهْلِ الأَثَرْ

يعني بذٰلك: الأثرية. وبهٰذا عرف أن أهل السنة والجماعة هم فرقة واحدة الأثرية والله أعلم)[٣].

وممن ذهب مذهب السفاريني. الأستاذ: أحمد عصام الكاتب، فقال في

---

(١) لوامع الأنوار البهية ١ / ٧٣.

(٢) لوامع الأنوار البهية ١ / ٧٣ حاشية رقم (٤).

(٣) المصدر السابق ١ / ٧٣ حاشية رقم (٤) أيضاً.

بيان أهل السنة من هم: (وبالجملة فهم: أهل الحديث، والأشاعرة، والماتريدية؛ لأنهم جميعاً التزموا أسس العقيدة وأصولها. . .)[1].

ولا يخفى ما في هٰذا الكلام من تجوز وتساهل، فإن الخلاف بينهم ولا سيما بين أهل الحديث، وبين الأشعرية والماتريدية، هو في أسس العقيدة وأصولها، ومن أهم هٰذه الأسس مسألة النقل[2] التي تقدم الحديث عنها.

ومن هٰؤلاء: الدكتور / أحمد محمود صبحي. حيث قال في كتابه (في علم الكلام): (. . . ولكن ليس للأشعرية حق الإدعاء أنها تُعَبِّر عن فرقة أهل السنة والجماعة، وإنما تجاذب هذه الفرقة فريقان:

١) مذهب السلف من أهل السنة منذ الإمام أحمد بن حنبل إلى أنْ بلغ به ابن تيمية ذروة التبلور والتماسك.

٢) مذهب الخلف من أهل السنة وتشارك الصفاتية والأشعرية فيه مذاهب أخرى أهمها الماتريدية)[3].

فَعَدَّ الأشعرية من أهل السنة، وإنْ كان لا يرى انفرادها بذٰلك.

القول الثالث:

قول من يرى أنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه أهل السنة من أبواب الاعتقاد. وممن قال بذٰلك:

الشيخ عبد العزيز بن باز ـ متَّعَ الله بحياته ـ حيث قال جواباً على قول الصابوني: «أن التأويل لبعض الصفات لا يخرج المسلم عن جماعة أهل

---

(١) عقيدة التوحيد في فتح الباري ص ٨٦، (ط. الأولى ١٤٠٣هـ. نشر: دار الأفاق الجديدة ـ بيروت).

(٢) المراد بالنقل: نصوص الكتاب والسنة.

(٣) ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

السنة».

قال: (صحيح في الجملة فالمتأول لبعض الصفات كالأشاعرة لا يخرج بذلك عن جماعة المسلمين ولا عن جماعة أهل السنة في غير باب الصفات[1]، ولكنه لا يدخل في جماعة أهل السنة عند ذكر إثباتهم للصفات وإنكارهم للتأويل.

فالأشاعرة وأشباههم لا يدخلون في أهل السنة في إثبات الصفات لكونهم قد خالفوهم في ذلك وسلكوا غير منهجهم، وذلك يقتضي الإنكار عليهم وبيان خطئهم في التأويل، وأن ذلك خلاف منهج الجماعة... كما أنه لا مانع أن يقال: إن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة في باب الأسماء والصفات، وإن كانوا منهم في الأبواب الأخرى[2]، حتى يعلم الناظر في مذهبهم أنهم قد أخطأوا في تأويل بعض الصفات وخالفوا أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان في هذه المسألة، تحقيقاً للحق وإنكاراً للباطل وإنزالاً لكل من أهل السنة والأشاعرة في منزلته التي هو عليها...)[3].

وممن ذهب إلى ذلك الدكتور / صالح الفوزان، حيث قال في تعقيبه على مقالات الصابوني: «نعم هم - يعني: الأشاعرة - من أهل السنة والجماعة في بقية أبواب الإيمان والعقيدة التي لم يخالفوهم فيها، وليسوا منهم في باب الصفات وما خالفوا فيه، لاختلاف مذهب الفريقين في ذلك»[4].

---

(١) من الأبواب التي لم يخالفوهم فيها.

(٢) أي: التي لم يخالفوهم فيها، فإن مخالفة الأشاعرة لأهل السنة ليست مقصورة على باب الأسماء والصفات، فقد خالفوهم في أبواب أخرى كالإيمان، والقدر، فهم ليسوا من أهل السنة فيها، كما أنهم ليسوا منهم في باب الأسماء والصفات.

(٣) تنبيهات هامة على ما كتبه محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل ص ٣٧ - ٣٨، (ط. الأولى ١٤٠٤هـ. نشر: الدار السلفية - الكويت).

(٤) البيان لأخطاء بعض الكتاب ص ٢٨.

القول الرابع:

اعتبارهم من أهل الإثبات والتفريق بين أئمتهم المتقدمين ومتأخريهم.

وهـو قول شيخ الإسـلام ابن تيمية الـذي يرى: أنهم يعدون من أهل الإثبات؛ لكونهم يثبتون بعض الصفات، وأنهم أقرب إلى أهل السنة من باقي الطوائف، على أنه يفرق بين أئمتهم المتقدمين وبين متأخريهم فعد المتقدمين أقرب إلى السلف وأهل السنة، وجعل المتأخرين أقرب إلى الجهمية والمعتزلة، لعظم موافقتهم لهم في كثير من أقوالهم.

يقول رحمه الله في معرض كلامه عن درجات الجهمية: (وأما الدرجة الثالثة فهم: الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية لكن فيهم نوع من التجهم كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة، لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية، أو غير الخبرية ويتأولونها كما تأول الأولون صفاته كلها، ومن هٰؤلاء من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام.

ومنهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبار أيضاً في الجملة لكن مع نفي وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول وذٰلك كأبي محمد بن كلاب[1]، ومن اتبعه وفي هٰذا القسم يدخل أبو الحسن الأشعري[2] وطوائف من أهل الفقه والكلام والحديث والتصوف، وهٰؤلاء إلى أهل السنة المحضة أقرب منهم إلى الجهمية والرافضة والخوارج، لكن انتسب إليهم طائفة هم إلى الجهمية أقرب منهم إلى أهل السنة المحضة، فإن هٰؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعاً عظيماً فيما يثبتونه من الصفات...)، وأما المتأخرون فإنهم والوا المعتزلة وقاربوهم وقدموهم

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٧٢.

(٢) قبل رجوعه إلى مذهب السلف.

على أهل السنة والإثبات وخالفوا أوليهم. . . .)[1].

وقال في «شرح الأصفهانية»: (وأن الأشعرية أقرب إلى السلف والأئمة وأهل الحديث. ـ وقال ـ: عن متأخري الأشاعرة: فإنَّ كثيراً من متأخري أصحاب الأشعري خرجوا عن قوله إلى قول المعتزلة أو الجهمية أو الفلاسفة. . .)[2].

والذي أراه أنه لا بد من التفصيل التالي في اعتبار الأشاعرة من أهل السنة أو إخراجهم عنهم، ولا يطلق عليهم أنهم أهل السنة أو من أهل السنة بإطلاق؛ لأنهم ليسوا على السنة المحضة في كثير من أمور السنة في الاعتقاد، ولا يطلق أنهم ليسوا من أهل السنة؛ لأنهم يدخلون في مسمى أهل السنة بالاعتبارات الآتية:

١) هم من أهل السنة: بالمعنى العام لمصطلح أهل السنة، والذي يدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام عدى الرافضة. كما تقدم لنا في مبحث تعريف أهل السنة.

٢) وهم من أهل السنة: في أمور العبادات والعمليات؛ لأن السنة تشمل أمور الاعتقاد والعبادة والأعمال. كما تقدم نقل قول شيخ الإسلام ابن تيمية وفيه: (ولفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات، وفي الاعتقادات. . .)[3].

---

(١) رسالة «التسعينية» ضمن المجلد الخامس من الفتاوى الكبرى ص ٤٠ ـ ٤٢، (ط. كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٩).

(٢) شرح الأصفهانية، (بتقديم: حسنين محمد مخلوف ص ٧٧ ـ ٧٨، نشر: دار الكتب الحديثة بمصر).

(٣) تقدم في مبحث تعريف السنة عند السلف ص ٣٢، ٣٣، ٦٢.

والأشاعرة في أمور العبادات ليس لهم من الأقوال ما يخرجهم عن أهل السنة في الجملة[1].

فبهٰذه الاعتبارات يُعَدُّ: الأشاعرة من أهل السنة.

ولكن لما كان اسم (أهل السنة) إذا أطلق فُهِم منه أمور العبادات والاعتقادات جميعاً، بل هو بأمور الاعتقاد أخص، كما قال شيخ الاسلام في معنى «أهل السنة»: «وقد يراد به: أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلَّا من يثبت الصفات لله، تعالى، ويقول القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر وغير ذٰلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة»[2].

ورأينا الأشاعرة ليسوا على السنة المحضة في كل أبواب الاعتقاد، ومسائله التي ذكر الإمام أحمد طرفاً منها وبين أن من خالف فيها لا يعد من أهل السنة كما سيأتي فهل نقول: هم من أهل السنة؛ لأنهم وافقوا السنة في بعض أبواب ومسائل العقيدة، أم نسحب عنهم هٰذا الاسم لمخالفتهم للسنة في بعض المسائل والأبواب؟ هٰذا مناط الخلاف في كونهم من أهل السنة أوليسوا من أهلها.

فمن تغاضى عن المسائل التي خالفوا فيها أهل السنة، قال هم من أهل السنة؛ لأنهم من أهل السنة في أبواب العبادات ولم يخرجوا عن اعتقاد أهل السنة في كل أبواب الاعتقاد. وعلى هٰذا يُخَرَّجُ عَدُّ السفاريني وغيرِه إياهم من أهل السنة.

---

(١) أقول في الجملة؛ لأن بعض أئمتهم ولا سيما المتأخرين منهم، ابتلوا بشيء من الابتداع في العبادات، وأغرق بعضهم في التصوف المنحرف. فابتعدوا عن السنة والاتباع في العبادات أيضاً كما ابتعدوا عنها في مسائل الاعتقاد.

(٢) وانظر: منهاج السنة ٢ / ١٦٣.

ومن رأى أنـه لا يستحق اسم «أهل السنة» إلا من وافق السنة في أمور العبادات والاعتقادات، ومن خالف مذاهب أهل السنة وسلف الأمة في شيء من ذٰلك ولا سيما في أبوب الاعتقاد، فإنه لا يستحق اسم «أهل السنة».

قال: ليس الأشاعرة من أهل السنة، وعلى هٰذا يخرج قول من قال: ليسوا من أهل السنة كالإمام السجزي والشيخ بابطين وغيرهما.

وربما وجد ما يؤيد هٰذا الاتجاه في كلام أئمة السلف، حيث عدد كثير منهم مسائل الاعتقاد التي يكون المرء إذا استكملها من أهل السنة، وإنْ أَخَلَّ بشيء منها فليس هو من أهل السنة، وذٰلك مثل:

قول الإمام أحمد: (هٰذه مذاهب أهل العلم، وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها، المقتدي بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هٰذا، وأدركت من علماء الحجاز، والشام وغيرهما عليها، فمن خالف شيئاً من هٰذه المذاهب أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع وخـارج عن الجمـاعـة زايل عن منهج السنة وسبيل الحق، فكان قولهم: أن الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة، والإيمان يزيد وينقص. . .)[1]. ثم ذكر جملة اعتقاد أهل السنة.

وقول علي بن المديني: (. . السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلهـا، أو يؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره ثم تصديق الأحاديث والإيمان بها. . . إلى آخر الاعتقاد)[2].

وقول عبد الله بن المبارك: (أصل اثنين وسبعين هوى: أربعة أهواء فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت الاثنان وسبعون هوى القدرية، والمرجئة والشيعة والخوارج.

---

(١) السنة ص ٣٣.

(٢) اللالكائي، شرح أصول أهل السنة ١ / ١٦٥.

فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يتكلم في الباقين إلا بخير ودعا لهم، فقد خرج من التشيع أوله وآخره.

ومن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الأرجاء أوله وآخره.

ومن قال الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف ودعا لهم بالصلاح فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره.

ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل خيرها وشرها يضل من يشاء ويهدي من يشاء؛ فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره، وهو صاحب سنة...)[1].

وقول: عبيد الله بن بطة العكبري: (ونحن ذاكرون شرح السنة ووصفها، وما هي في نفسها، وما الذي إذا تمسك به العبد ودان الله به سمى بها واستحق الدخول في جملة أهلها، وما إن خالفه أو شيئاً منه دخل في جملة من عبناه وذكرناه وحذر منه من أهل البدع والزيغ فما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى وقتنا هذا. ـ ثم ذكر الإيمان والصفات والقدر وغيرها من أمور الاعتقاد ـ...)[2].

فكلام هؤلاء الأئمة المعتبرين المقتدى بهم صريح في أن أحداً لا يرقى ولا يتأهل لحمل لقب «صاحب سنة» أو أنه «من أهل السنة»؛ إلا إذا تحققت فيه خصال السنة التي أجمعوا عليها.

أما من رأى من أهل العلم أن من خالف السنة في باب من أبواب الاعتقاد

---

(١) ابن أبي يعلي، طبقات الحنابلة ٢ / ٤٠.

(٢) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ١٧٥ ـ ١٧٦.

ووافقها في باب آخر فهو من أهل السنة فيما وافق فيه السنة، وليس منهم فيما خالفهم فيه، وذٰلك من باب أن المرء يمدح بقدر ما فيه من موافقة السنة، ويُذَمُّ بقدر ما فيه من مخالفتها، وأنَّ إخراج قوم من مسمى «أهل السنة»؛ لأنهم خالفوا السنة في باب دون باب، فيه مجانبة للعدل والإنصاف، مَنْ رأى هٰذا الرأي قال مثلاً: الأشاعرة من أهل السنة في أبواب الإيمان والعقيدة التي لم يخالفوهم فيها، وليسوا منهم في باب الصفات وما خالفوا فيه.

والذي أميل إليه: أن لا يقال: «الأشاعرة من أهل السنة» إلا بقيد، فيقال: هم من أهل السنة في كذا، في الأبواب التي لم يخالفوا فيها مذهب أهل السنة.

لأننا إذا أطلقنا القول بأنهم من «أهل السنة» التبس الأمر وظن من لا دراية له بحالهم أنَّهم على مذهب أهل السنة والسلف في كل خصال السنة، والواقع أنهم ليسوا كذٰلك. بل في أقوالهم ما يخالف السنة في كثير من أبواب الاعتقاد. فليسوا على السنة المحضة في كل اعتقاداتهم.

وإذا أطلقنا القول بأنهم ليسوا من أهل السنة، كان ذٰلك حكماً بأنهم خالفوا السنة في كل أبواب الاعتقاد، والأمر ليس كذٰلك فقد وافقوا أهل السنة في أبواب الصحابة والإمامة وبعض السمعيات.

فالعدل والإنصاف يقتضي أن يحكم على كلٍ بما يستحق على ضوء ما رضي لنفسه من قول واختط من نهج.

والله تعالى أعلم.

●●●●●

المبحث الرابع

في أسماء أهل السنة وألقابهم عندهم وعند خصومهم

هناك أسماء وألقاب أخرى تطلق على أهل السنة، منها ما هو حق مرضي عندهم عرفوا به، كما عرفوا باسم أهل السنة، ومنها ألقاب نبزهم بها خصومهم من أهل البدع والأهواء، وهم منها براء، والقصد من ذكرها هنا أن يعرف القارىء أن أهل السنة هم المقصودون، إن ورد لقب من هذه الألقاب في كتاب من كتب الفرق والمقالات؛ لأن خصومهم لا يذكرونهم باسم: «أهل السنة» أو غيره من الأسماء المرضية عند أهل السنة إلا نادراً، وإنما يذكرونهم بهذه الألقاب التي نبزوهم بها، تنفيراً من اتباعهم.

فكان لا بد أن نورد الأسماء والألقاب التي أُطلقت على أهل السنة سواء من قِبَلِهم، أو من قِبَلِ خصومهم من الفرق والطوائف التي تخالفهم في المنهج والاعتقاد، مع بيان وجه التسمية بكل، وبيان ما يلحقهم من الأسماء والألقاب وما لا يلحقهم.

● **أولاً: الأسماء التي عرف بها أهل السنة وهي مَرْضِيَّةٌ عندهم محببة إليهم:**

١) أهل الجماعة:

وهٰذا الاسم من الأسماء المشهورة التي عرف بها «أهل السنة»، وهو يطلق مقروناً بـ «السنة» فيقال: «أهل السنة والجماعة»، وقد يرد منفرداً فيقال:

«أهل الجماعة»[1]، وهو قليل، والغالب اقترانه بالسنة.

وأهـل السنة هم أهل الجماعة، (فإن السنة مقرونة بالجماعة، كما أن البدعة مقرونة بالفرقة فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة)[2].

وهو مأخوذ من قوله ﷺ في بيان الفرقة الناجية في حديث الافتراق: «هي الجمـاعة» فعن أنس بن مالك؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار؛ إلا واحدة وهي الجماعة)[3].

وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة بالأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة، وذلك كقوله عز وجل: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**﴾[4]، وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾[5]. ومن السنة قوله ﷺ لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)[6]، وقوله ﷺ: (من خرج من الطاعة

---

(١) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة ٣ / ٤٦٨، ٥ / ١٥٨، ٦ / ٤٠٨، ودرء التعارض ٧ / ٣٥٠، والفتاوى ٣ / ١٥٧.

(٢) ابن تيمية، الاستقامة ١ / ٤٢، (بتحقيق د. محمد رشاد سالم، ط. الأولى ١٤٠٤هـ، جامعة الإمام).

(٣) جه: كتاب الفتن، باب افتراق الأمم ٢ / ١٣٢٢، وقال الشيخ الألباني: صحيح. انظر: صحيح ابن ماجة له ٢ / ٣٦٤، وانظر أيضاً: سلسلة الأحاديث الصحيحة ح ٢٠٤، والسنة لابن أبي عاصم ص ٣٢، ح ٦٤.

(٤) سورة آل عمران آية ١٠٣.

(٥) سورة الأنعام آية ١٥٩.

(٦) خ: كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ١٣ / ٣٥، ح ٧٠٨٤.
م: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ٣ / ١٤٧٥، ح ٥١.

وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية)[1] والأحاديث في ذلك كثيرة.

وقد اختلف أهل العلم في المراد بالجماعة التي ورد الأمر بلزومها على أقوال نذكرها باختصار[2]:

الأول: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام، يدل له رواية (كلها في النار إلَّا السَّواد الأعظم)[3].

الثـاني: أنها جماعة العلماء المجتهدين؛ لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين. وهٰذا قول غير واحد من الأئمة، منهم الإمـام البخـاري حيث قال في «صحيحـه»: «بـاب (﴿**وكَذٰلِكَ جَعلنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾) وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم)[4].

وقال الإمام الترمذي: (وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم: أهل الفقه والعلم والحـديث). وروي عن ابن المبـارك[5] أنه: (قيل له: مَنْ الجماعة؟ فقال: أبو بكر وعمر، قيل له: قد مات أبو بكر وعمر، قال: فلان وفلان، قيل له: قد مات فلان وفلان، قال: أبو حمزة السكري[6] جماعة[7]).

---

(١) م: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ٣ / ١٤٧٦، ح ٥٣.

(٢) للتوسع انظر: الشاطبي، الاعتصام ٢ / ٢٦٠ ـ ٢٦٥، وانظر أيضاً: ابن حجر، فتح الباري ١٣ / ٣٧.

(٣) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٠٣ ـ ١٠٤، ح ١٥٢. وقال محققه: سنده ضعيف.

(٤) ١٣ / ٣١٦ (مع الفتح).

(٥) هو: عبد الله بن المبارك، كان إماماً حجة كثير الحديث ولد سنة ١١٨هـ، ومات بهيت منصرفاً من الغزو سنة ١٨١هـ. ابن سعد، الطبقات ٧ / ٣٧٢.

(٦) وهو: الإمام الحجة محمد بن ميمون المروزي عالم مرو، كان من الأئمة المقتدى بهم في زمنه. انظر ترجمته لدى: البغدادي، تاريخ بغداد ٣ / ٢٦٦، والذهبي، السير ٧ / ٣٨٥.

(٧) الجامع الصحيح ٤ / ٤٦٧.

الثالث: أن الجماعة هي: الصحابة على الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً. يدل لهٰذا القول رواية: (ما أنا عليه وأصحابي)[1].

الرابع: أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم.

قال الإمام الشاطبي عقب هٰذا القول: (وكأن هٰذا القول يرجع إلى الثاني... أو يرجع إلى القول الأول وهو الأظهر)[2].

الخامس: أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فأمر النبي ﷺ بلزومه ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة. وهو اختيار الإمام الطبري.

السادس: أن المراد بالجماعة: موافقة الحق ولزومه.

كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك)[3]، وفي رواية: (إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك)[4].

قال أبو شامة: (وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك بالحق قليلاً والمخالف كثيراً؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ولا نظر إلى

---

(١) تقدم تخريجها، انظر: ص ٤٨.

(٢) انظر الاعتصام ٢ / ٢٦٤.

(٣) أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمٰن بن إسماعيل، الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص ٢٠، (ط. الثانية ١٤٠١هـ. نشر: طبعة النهضة الحديثة ـ مكة).

(٤) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٠٩، ح ١٦٠.

كثرة أهل الباطل بعدهم)[1].

وكل هٰذه المعاني متقاربة، واختلافها اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وأهل السنة هم أهل الجماعة على أي معنى من هٰذه المعاني. فأما على المعنى الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس فلا إشكال، فأهل السنة يرون اتّباع الأئمة من أهل العلم والدين ولا يخرجون عن اجماعهم كما أنَّ قدوتهم أصحاب رسول الله ﷺ، يهتدون بهديهم ويلزمون آثارهم، وهم أيضاً أعظم الطوائف حرصاً على جماعة المسلمين، وطاعة إمام المسلمين القائم بالعلم والدين ولا يرون الخروج عليه، ما لم يروا كفراً بواحاً لديهم من الله فيه برهان.

وقبل ذٰلك وبعده فهم ينظرون إلى الحق والصواب يتلمسونه فيلزمونه ويتمسكون به، وإن كان أكثر الناس على خلافه.

وأما على القول الأول، وهو أن المراد بالجماعة (السواد الأعظم من المسلمين)، فأهل السنة أيضاً هم أهل الجماعة بهٰذا المعنى. وذٰلك أن المراد بالسواد الأعظم: السواد الأعظم من العلماء المعتبر اجتهادهم وإن انضم إليهم العوام فبحكم التبع؛ لأنهم غير عارفين بالشريعة، ولا بد من رجوعهم في دينهم إلى العلماء، فإن العامة لو تمالأوا على مخالفة العلماء فيما حدُّوا لهم لكانوا هم الغالب والسواد الأعظم في ظاهر الأمر لقلة العلماء وكثرة الجهال، فلا يقولَن أحد إن اتّباع جماعة العوام هو المطلوب، وإن العلماء هم المفارقون للجماعة، والمذمومون في الحديث، بل الأمر بالعكس، وأن العلماء هم السواد الأعظم وإنْ قلُّوا، والعوام هم المفارقون للجماعة وإن خالفوا[2].

سُئِلَ الإمام إسحاق بن راهويه[3] مَنْ السواد الأعظم؟ فقال: (محمد بن

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ١٩.

(٢) الشاطبي: الاعتصام ٢ / ٢٦٦.

(٣) وهو الإمام الحافظ الكبير أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم شيخ أهل المشرق المعروف بابن راهويه ولد سنة ١٦٦، وقيل: ١٦١، ومات سنة ٢٣٨، الذهبي، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣٣.

أسلم[1] ومن تبعه، وقال: لو سألت الجهال من السواد الأعظم؟ قالوا: جماعة الناس ولا يعلمون أن الجماعة عالم متمسك بأثر النبي ﷺ وطريقه فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة ومن خالفه فيه ترك الجماعة)[2].

وقال الإمام ابن القيم معقباً على قول الإمام إسحاق بن راهويه هذا:

(وصدق والله، فإن العصر إذا كان فيه عارف بالسنة داع إليها فهو الحجة، وهو الإجماع، وهو السواد الأعظم وهو سبيل المؤمنين التي من فارقها واتبع سواها ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً)[3].

٢) السلفية أو السلفيون: نسبة إلى السلف.

السلف في اللغة:

جمع سالف على وزن حارس وحرس، وخادم وخدم، والسالف: المتقدم والسَّلَفُ: . . . الجماعة المتقدمون[4].

ومنه قوله عز وجل: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾[5].

قال البغوي في تفسيرها: (. . . والسَّلف: من تقدم من الآباء، فجعلناهم متقدمين؛ ليتعظ بهم الآخرون)[6].

---

(١) وهو: أبو الحسن محمد بن أسلم الطوسي، المذكور بالسواد الأعظم، كان بالآثار مقتدياً، وعن الآراء منتهياً، قاله أبو نعيم في الحلية ٩ / ٢٣٨، وقال الذهبي: الإمام الحافظ الرباني شيخ الإسلام، وقال: مولده في حدود الثمانين ومائة. سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٩٥.

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء ٩ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٣) إغاثة اللهفان ١ / ٨٥، (بتحقيق محمد سيد كيلاني، ط. مصطفى الحلبي بمصر).

(٤) ابن منظور، لسان العرب ٩ / ١٥٨.

(٥) الزخرف ٥٦.

(٦) معالم التنزيل ٤ / ١٤٢.

وقال ابن الأثير: (. . . سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته؛ ولهٰذا سمِّي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح)[1].

والسلف في الاصطلاح:

اختلف في تحديد مفهوم السلف زمنياً على عدة أقوال:

الأول: أنهم الصحابة فقط: وهو قول عدد من شراح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني[2].

الثاني: أنهم الصحابة والتابعون: وإليه ذهب أبو حامد الغزالي في قوله: (اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين)[3].

الثالث: أنهم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين: أي القرون الثلاثة التي أثبت لها النبي ﷺ الخيريّة بقوله في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما: (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة. . .)[4].

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (خير الناس قرني، ثم الـذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)[5].

---

(١) النهاية ٢ / ٣٩٠.

(٢) انظر: تحرير المقالة من شرح الرسالة ق ٣٦، مخطوط بمكتبة الجامعة الإسلامية رقم ٦٠٤.

حاشية العدوي ١ / ١٠٦ رقم ١، والثمر الداني، لعبد السميع الآبي ص ٢٤.

(٣) الجام العوام عن علم الكلام، (بتحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي)، ص ٥٣.

(٤) خ: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٧ / ٣، ح ٣٦٥٠.

(٥) خ: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٧ / ٣، ح ٣٦٥١.

وإليه ذهب كثير من أهل العلم، كالإمام الشوكاني[1]، والسفاريني[2]، وعليه يدل صنيع شيخ الإسلام ابن تيمية في نحو قوله: (. . . سلف الأمة وخيار قرونها)[3]، وربما أدخل من بعد تابعي التابعين، كالإمام أحمد (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) في مفهوم السَّلف فيقول: (وكذلك قال ابن الماجشون، وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف. . .)[4].

ويحدد ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) السلف المقتدى بهم إلى عصر الإمام أحمد وأقرانه فيقول: (. . . وفي زماننا يتعين كتابة كلام السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، وأحمد (ت ٢٤١)، وإسحاق (ت ٢٣٨هـ)، وأبي عبيد (ت ٢٢٤هـ)، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة. . .)[5].

ولعل سلفه في ذلك الإمام الآجري (ت ٣٦٠هـ) فقد رأيته عند ذكره الأئمة الذي يقتدى بهم، وقف على الإمام أحمد وأقرانه، فقال: (علامة من أراد الله عز وجل به خيراً: سلوك هٰذا الطريق: كتاب الله عز وجل، وسنن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان رحمة الله عليهم، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان عن العلماء مثل: الأوزاعي (ت ١٥٧هـ)، وسفيان الثوري (ت ١٦١هـ)، ومالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على طريقتهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هٰؤلاء العلماء)[6].

---

(١) انظر: التحف في مذاهب السلف ص ٧ ـ ٨، ١١.

(٢) انظر: لوامع الأنوار ١ / ٢٠.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٧ / ١٣٤.

(٤) المرجع نفسه ١ / ٢٠٧.

(٥) انظر: فضل علم السلف على علم الخلف، (بتحقيق يحيى مختار غزاوي)، ص ٦٠.

(٦) انظر: الشريعة ص ١٤.

وممن مال إلى تحـديد السلف بالقرون الثلاثة الدكتور محمد الجُلَيْنِد حيث قال: (وحسماً للموقف أرى أن لا نتخطى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وندعي أن هناك آراء سلفية مهما بلغ بنا حسن الظن بالمتقدمين، خاصة وأن تراثنا الإسلامي قد تعرض لهزات عنيفة ابتداء من القرن الثالث الهجري وعبثت به الأهواء)[١].

وتابعه على هٰذا الرأي الدكتور محمود خفاجي قائلاً: (فإنني أرى أن من يحـدد السلف بالصحـابـة والتـابعين، وتـابعي التابعين هو الأميل للصواب، لموافقته الأثر[٢] من ناحية، ولما نجده من الاتفاق بين من يذكرون السلف بطريق الاسم من عد تابعي التابعين من السلف من ناحية أخرى[٣])[٤].

الرابع: أن السلف هم من كانوا قبل الخمسمائة: وهٰذا قول البيجوري؛ فإنـه قال: (السلف: وهم من كانـوا قبـل الخمسمائة، وقيل: القرون الثلاثة والتابعون وأتباع التابعين)[٥].

قال الدكتور محمود خفاجي معقباً على ذٰلك: (وإذا تساءلنا عن السبب لماذا انسحب مفهوم لفظ السلف ليشمل من عاش في أو قبل القرن الخامس الهجري دون غيره؟ ذٰلك ما لم أجد له إجابة عند هٰؤلاء الذين حددوا السلف بهٰذا الحد)[٦].

ولعل سبب ذهاب البيجوري إلى ذلك، هو رغبته إدخال أئمة الأشاعرة

---

(١) انظر: الإمام ابن يتمية وقضية التأويل، ط. الثالثة، ص ٥٢.

(٢) يشير إلى حديث عمران بن حصين وابن مسعود المتقدم.

(٣) كما تقدم في كلام ابن رجب والآجري. انظر: ص ٩٨.

(٤) انظر: في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة، ط. الأولى ص ٢٠.

(٥) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، (ط. الأولى ١٤٠٣، دار الكتب)، ص ٩١.

(٦) انظر: في العقيدة الإسلامية ص ١٩.

في مفهوم السلف، إذ لا يمكن إدخالهم في مفهوم السلف ـ زمنياً ـ؛ إلا على رأيه هٰذا، إذْ كلهـم كانوا بعد القرون الثلاثة، باستثناء الإمام الأشعري الذي توفي سنة ٣٢٤هـ. والله تعالى أعلم.

والذي أصبح على مذهب الإمام أحمد[1] بعد رجوعه عن الاعتزال وقول ابن كلاب. والمنتسبون إليه ينتسبون إلى مذهب تركه.

● هل التحديد الزمني كاف لتحديد مفهوم «السلف»؟

إذا قلنـا بأن المـراد بالسلف زمنياً هم أهـل القـرون الثلاثة المفضلة، استئنـاسـاً بالأحاديث الواردة في تعيين القرون المفضلة، ولأنا نرى من يذكر السلف بالاسم لا يخرج عن إطار القرن الثالث كما تقدم في كلام الدكتور خفاجي.

فهل نعتبر كل من عاش في هٰذه القرون سلفاً يقتدى به؟

لا شك أن الإجابة على هٰذا التساؤل هي النفي. وذٰلك لما نعلمه جميعاً من وجود الكثير من أئمة أهل البدع والأهواء في تلك الحقبة.

ففيها خرجت الخوارج في عهد الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث اعترضوا على التحكيم سنة ٣٧هـ، فكان بداية خروجهم.

وفيها ظهر التشيع والرفض على يد ابن سبأ اليهودي الذي ادّعى الإسلام وزعم محبة آل البيت.

وفيها نبتت فتنة القدرية على يد معبد الجهني (ت ٨٠هـ).

وفيها أيضاً ظهرت بدعة الإرجاء وكان من زعماء المرجئة الأوائل غيلان

---

(١) كمـا صرح بذٰلـك في مصنـافته التي ألفها بعد رجوعه كالإبانة، والمقالات. انظر: المقالات ١ / ٣٤٥ ـ ٣٥٠، والإبانة ص ٢٠ وما بعدها.

الدمشقي (ت ١٠٥هـ).

وفيها نجم قرن التَّجَهُّمِ والاعتزال، فعاش في هذا الوقت: الجعد بن درهم (ت ١٢٤هـ) أستاذ الجهم بن صفوان (١٢٨هـ) زعماء الجهمية الأوائل منكري الصفات كما عاش فيها واصل بن عطاء مؤسس فرقة المعتزلة الأول (ت ١٣١هـ).

وبهٰذا يتضح أن القرون الثلاثة عاش فيها سلف صالح يقتدى به، كما عاش فيها أصحاب أهواء ورواد ابتداع أدخلوا على الإسلام والمسلمين أموراً ليست من الدين، وفتحوا عليهم أبواب شر عظيم، ما زالت الأمة تعاني من آثاره إلى اليوم.

إذن «ليس السبق الزمني كافياً في تعيين السلف، بل لا بد أن يضاف إلى هذا السبق الزمني موافقة الرأي للكتاب والسنة نصاً وروحاً، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة، فليس بسلفي وإن عاش بين ظهراني الصحابة والتابعين[1].

ولهٰذا كان الإمام السفاريني موفقاً أيما توفيق في تعريفه لمذهب السلف، حيث احترز فَقَيَّدَ «السلف» الذي يقتدى به بأن يكون ممن شُهد له بالإمامة، ولم يُرْمَ ببدعة، فقال: (المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مرض، مثل: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هٰؤلاء)[2].

أي أن من قُرِّف بشيء من هذه الأهواء والبدع فلا يعد من السَّلف الصالح

---

(١) د. الجليند: الإمام ابن تيمية وقضية التأويل ص ٥٢ بتصرف يسير.

(٢) انظر: لوامع الأنوار ١ / ٢٠.

المقتدى به، وإن عاش في عصرهم وبين ظهرانيهم.

إذ ليس كل سلف يقتدى به، وإنما تكون القدوة والأسوة بأولئك السلف الأخيار الذين مضى وصفهم، وذكر فضلهم، من أصحاب رسول الله ﷺ، وأئمة التابعين، وتابعيهم من أهل القرون المفضلة المشهود لهم بالخيرية على لسان الصادق المصدوق ﷺ(١)، الذين عُرف عنهم التمسك بالسنة، والإمامة فيها، واجتناب البدعة، والحذرُ والتحذير منها.

وقد أمرنا الله عز وجل باتباع سبيل أصحاب رسول الله ﷺ واقتفاء آثارهم وسلوك منهجهم، فقال عز وجل: ﴿**واتَّبِع سَبِيْلَ مَنْ أَنَابَ إِليَّ**﴾(٢).

قال الإمام ابن القيم في بيان وجه الاستدلال بالآية: (وكل من الصحابة منيب إلى الله فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله)(٣).

وأخبرنا تبارك وتعالى عن رضاه عمن اتبعهم بإحسان وما أعده لهم من الثواب العظيم فقال: ﴿**والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرينَ والأَنْصارِ والَّذينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَها الأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيْهَا أَبَداً ذٰلِكَ الفَوْزُ العَظِيْمُ**﴾(٤).

وقال الرسول ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)(٥).

---

(١) في قوله ﷺ: (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)، وقد تقدم ص ٩٧.

(٢) سورة لقمان آية ١٥.

(٣) انظر: اعلام الموقعين ٤ / ١٦٨، (بتحقيق: عبد الرحمن الوكيل).

(٤) سورة التوبة آية ١٠٠.

(٥) د: كتاب السنة، باب لزوم السنة ٥ / ١٣ ـ ١٤، ح ٤٦٠٧.

=

وقال ﷺ في وصف الفرقة الناجية ـ وقد قيل له: من هي يا رسول الله؟ ـ: (ما أنا عليه وأصحابي)[1].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (من كان مُسْتَناً فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خيرَ هٰذه الأمة، وأبرَّها قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم، وطرائقهم، فهم كانوا على الهدي المستقيم)[2].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع)[3].

وما زال أئمة السنة وعلماء الأمة جيلاً بعد جيل يدعون إلى اتِّباع السلف الصالح والاقتداء بهم وسلوك طريقهم، من ذلك قول الإمام الأوزاعي (ت ١٥٧هـ): (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول)[4]، وقوله أيضاً: (. . . اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك)[5].

وما برح أهل السنة يستدلون على دينهم، وعقائدهم، بما جاء في كتاب الله عز وجل، وبما صح من سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يجدوا فبما ثبت وأُثر

= ت: كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ٥ / ٤٤، ح ٢٦٧٦. ابن أبي عاصم: السنة ١ / ١٨، ١٩، ٢٩، وقال الشيخ الألباني: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(١) تقدم تخريجه، انظر: ص ٤٨.

(٢) البغوي، شرح السنة ١ / ٢١٤.

(٣) انظر: اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٥٦.

(٤) الآجري، الشريعة ص ١٠٢. وقال الشيخ الألباني: إسناده صحيح. انظر: مختصر العلو ص ١٣٨.

(٥) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٥٤.

عن السلف الصالحين، من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين المعروف عنهم الإمامة في السنة والتقدم فيها، فيسلكون طريقهم ويقولون فيها بقولهم.

فانظر مثلاً إلى الإمام أبي القاسم اللالكائي وهو يوضح منهجه في الاستدلال على مسائل الاعتقاد في كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» قائلاً: (. . . ثم استدل على صحة مذاهب أهل السنة بما ورد في كتاب الله تعالى فيها، وبما روي عن رسول الله ﷺ، فإن وجدت فيهما جميعاً ذكرتهما، وإن وجدت في إحدهما دون الآخر ذكرته وإن لم أجد فيهما إلا عن الصحابة الذين أمر الله ورسوله أن يقتدى بهم ويهتدي بهم ويهتدي بأقوالهم ويستضاء بأنوارهم لمشاهدتهم الوحي والتنزيل، ومعرفتهم معاني التأويل احتججت بها، فإن لم يكن فيها أثر عن صحابي فعن التابعين لهم بإحسان الذين في قولهم الشفا والهدى. . .)[1].

وإلى قول الإمام ابن كثير وهو يجنح إلى اتباع السلف والقول بقولهم: (وأما قول تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾[2] فللناس في هٰذا مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هٰذا المقام مذهب السلف الصالح، مالك (٩٣ - ١٧٩هـ)، والأوزاعي، والثوريي (٩٧ - ١٦١هـ)، والليث بن سعد (ت ١٧٥هـ) والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق. . .)[3].

وقول الإمام ابن أبي العز شارح «الطحاوية»: (وقد أحببت أن أشرحها سالكاً طريق السلف في عباراتهم، وانسج على منوالهم متطفلاً عليهم لعلّي أنظم في سلكهم وأدخل في عدادهم. . .)[4].

---

(١) انظر: مقدمة شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ٢٧.

(٢) سورة الأعراف آية ٥٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٤٢٢، ط. الشعب.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٤.

وقال الإمام الذهبي في مقدمة كتابه القيم «العلو للعلي الغفار» بعد أن ذكر عدداً من آيات الإستواء والعلو: (فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف، فقف مع نصوص القرآن والسنن، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هٰذه الآيات، وما حكوه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم، وإما تسكت بحلم. . .)[1].

●ضرورة بيان مذهب السلف ومواقفهم من أهل البدع:

كان الناس على عهد رسول الله ﷺ وصدر القرن الأول على قول واحد وصراط مستقيم إلى أن أطلت الفتن، وبزغت قرون أهل البدع والخلاف، فخرجت الخوارج، وتشيعت الشيعة، وتجهمت الجهمية، واعتزلت المعتزلة، واستطار شرر المتكلمين في الأمصار يثير الشبهات.

وكان هٰؤلاء وأولئك يرون أنهم على حق وأنهم الفرقة الناجية، ويستدلون على أقوالهم ومذاهبهم بنصوص من الكتاب والسنة يُنزِّلونها على آرائهم، ويصرفونها عمَّا دلت عليه ظواهرها، كما ألمحنا إلى ذلك فيما سبق، ويدَّعون أنهم متبعون للكتاب والسنة، وربما التبس الأمر على عامة الناس، لما يظهره هٰؤلاء من الاستدلال بنصوص الشرع على مذاهبهم وأقوالهم.

فلما كان الأمر كذٰلك احتاج أهل السنة إلى بيان وإظهار مذهب السلف الصالح الذين لا يشك أحد في أنهم أهل السنة وأئمتها المعروفون بها، وبيان ما ذهبوا إليه في فهم هٰذه النصوص وما فسروها به؛ لأنهم أدق فهماً، وأصفى ذهناً، وأصدق تسننا وتدينا وأعمق علماً، وأقل تكلفاً، وأقرب إلى مشكاة النبوة، وشعاع الوحي، ما زال نورهما في قلوبهم مضيئاً يهديهم إلى القول الحق، والطريق المستقيم، ليقف الناس على أقوالهم ومذاهبهم فيتبين لهم مدى مخالفة أقوال ومذاهب تلك الفرق لأقوال السلف الصالح ومباينتها لها.

---

(١) ص ١٦.

ولذا نرى كثيراً من أئمة الإسلام إذ ذكر أمراً من أمور الاعتقاد يحرص على بيان قول السلف والأئمة المقتدى بهم المتفق على إمامتهم في السنة، ليُعلَمَ أن مُخالفهم سار على غير هديهم، فإما أن يكونوا على الهدى والصواب والسنة، أو يكون مخالفهم هو المصيب، ولا شك أنهم بالحق والصواب أولى؛ لما عرفنا من فضلهم وعلمهم وحرصهم على السنة والتمسك بها.

وذلك كقول الإمام أحمد بن حنبل في مقدمة رسالة «السنة» له: (هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها، المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع وخارج عن الجماعة زايلٌ عن منهج السنة وسبيل الحق)، ثم ذكر قولهم في مسائل الاعتقاد...[1].

وكذلك قول الإمامين أبي حاتم (ت ٢٧٧هـ)، وأبي زرعة (ت ٢٦٤هـ) الرازيين: (أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً، وعراقاً وشاماً، ويمناً، فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص...)[2].

وقول الإمام الأوزاعي: (كنا والتابعون متوافرون نقول إنّ الله عز وجل فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته)[3].

وهكذا كان أهل العلم من الأئمة يحرصون على أن يبينوا أن ما ذكروه وما قالوه في مسائل الاعتقاد هو قول من سبقهم من أئمة السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ليعلم أن ما خالف ذلك فليس هو من قولهم ولا من هديهم، وأنه من أقوال أهل البدع والخلاف.

---

(١) انظر: السنة ص ٣٣ ـ ٣٤، مع الرد على الجهمية.

(٢) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٧٦.

(٣) الذهبي، العلو ص ١٠٢، وقال: أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات.

وأهل البدع وإن كانوا يدَّعون اتباع الكتاب والسنة ويستدلون بالكثير من نصوصهما على ما يذهبون إليه على نحو ما ذكرنا، ويزعمون أنهم أهل الحق وربما تسمى بعضهم بأهل السنة، إلا أنهم لم يدعوا يوماً أنهم على مذهب السلف أو من أتباعهم أو قائلون بقولهم. بل يصرحون بمخالفتهم ومباينتهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (بل والطوائف المشهورة بالبدعة، كالخوارج والروافض، لا يدعون أنهم على مذهب السلف، بل هٰؤلاء يُكَفِّرون جمهور السلف، فالرافضة تطعن في أبي بكر وعمر وعامة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وسائر أئمة الإسلام، بل ويكفرونهم، فكيف يزعمون أنهم على مذهب السلف، ولكن ينتحلون مذهب أهل البيت كذباً وافتراء؟

وكذٰلك الخوارج قد كفروا عثمان وعلياً، وجمهور المسلمين من الصحابة والتابعين فكيف يزعمون أنهم على مذهب السلف؟

والمعتزلة أيضاً تفسق من الصحابة والتابعين طوائف، وتطعن في كثير منهم وفيما رووه من الأحاديث التي تخالف آراءهم وأهواءهم... وليس انتحال مذهب السلف من شعائرهم... - إلى أن قال -: فالمقصود هنا أن المشهورين من الطوائف بين أهل السنة والجماعة بالبدعة، ليسوا منتحلين للسلف... فعلم أن شعار أهل البدع هو ترك انتحال اتّباع السلف...

وأما متكلمة أهل الإثبات من الكلابية والكرامية والأشعرية، مع الفقهاء والصوفية وأهل الحديث فهٰؤلاء في الجملة لا يطعنون في السلف، بل قد يوافقونهم في أكثر جمل مقالاتهم، لكن كل من كان بالحديث من هٰؤلاء أعلم، كان بمذهب السلف أعلم وله أتبع، وإنما يوجد تعظيم السلف عند كل طائفة بقدر استنانها وقلة ابتداعها.

أما أن يكون انتحال السلف من شعائر أهل البدع، فهٰذا باطل قطعاً، فإن

ذلك غير ممكن إلا حيث يكثـر الجهل ويقل العلم.

يوضـح ذلـك: أن كثيراً من... اتباع أبي الحسن الأشعري يصرحون بمخالفة السلف، في مثل مسألة الإيمان، ومسألة تأويل الآيات والأحاديث، يقولون: مذهب السلف: أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص، وأما المتكلمون من أصحابنا فمذهبهم كيت وكيت[1]، وكذلك يقولون: مذهب السلف أن هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات لا تتأول، والمتكلمون يريدون تأويلها إما وجوباً أو جوازاً ويذكرون الخلاف بين السلف وبين أصحابهم المتكلمين. هذا منطوق ألسنتهم ومسطور كتبهم...)[2].

فلما كان هذا حال هذه الفرق والطوائف، تصريح بأن مذهبهم خلاف مذهب السلف، مع ادِّعاء اتباع الكتاب والسنة والاستدلال بهما والتسمي بأهل الحق، وأهل السنة والجماعة من قِبَلِ بعضهم. أظهر أهل السنة مذهب السلف وأبـرزوه وذكـروا أقـوال أئمة السلف من الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم والاتباع الذين هم أئمة السنة وأهلها بلا منازع ليبينوا أن من خالف قولهم فليس هو على السنة المحضة وإن أصاب بعضها في بعض أقواله وليتميز المحق في ادعـائـه من المبطل، فإن اتباع الكتاب والسنة كل يدعيه، والميزان هو اتباع وارتضاء طريقتهم، وانتهاج منهجهم؛ فإنهم كانوا على هدي مستقيم، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه[3]، وبذلك يظهر المحق من المبطل ويُمَيَّزُ بين أهل السنة وأهل البدعة الذين شعارهم مجانبة السلف ومخالفتهم.

---

(١) قارن بقول الرازي وهو من أئمة الأشاعرة: (الإيمان عندنا لا يزيد ولا ينقص، وعند المعتزلة: لما كان اسماً لاداء العبادات كان قابلاً لهما، وعند السلف: لما كان اسماً للإقرار والاعتقاد والعمل فكذلك). محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ٢٣٩.

(٢) انظر: الفتاوي ٤ / ١٥٣ - ١٥٧.

(٣) انظر قوله في هذا المعنى: ص ١٠٣.

● **جواز الانتساب إلى السلف والتلقب بـ «السلفية» والرد على من أنكر ذلك :**

كان للجهود التي بذلها الأئمة من أهل السنة، وعلى رأسهم إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل، والإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ)، والإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (٣٦٠هـ)، والإمام أبو عبد الله ابن بطة العكبري (٣٧٨هـ)، والإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي (٤١٨هـ)، والإمام أبو القاسم إسماعيل ابن محمد الأصبهاني (٥٣٥هـ)، ثم شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، وتلميذه الإمام ابن القيم (٧٥١هـ)، ثم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) رحمة الله عليهم جميعاً في الدعوة إلى السنة والعودة إلى طريقة السلف ومنهجهم، والاقتداء بهم، الأثر الكبير في ظهور اتجاه سلفي على مر التاريخ يستقي أسس دينه وعقيدته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسيرة سلفه الصالح من الصحابة والتابعين، والتابعين لهم من أهل القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية، ويقاوم كل تيار بدعي يخرج عن هذه الأسس، ويرتكز على علم الكلام والفلسفة في تقرير العقائد.

عُرف أتباع هذا المنهج بأنهم أتباع السلف؛ لشدة تمسكهم بآثارهم، وحرصهم على سلوك طريقهم، ومعرفة رأيهم: وقولهم وموقفهم في كل مسألة من مسائل الدين، فهل يسوغ أن يطلق على هٰؤلاء لقب (السلفيين) أو (السلفية) وهل يلقب الفرد منهم بـ «السلفي»؟

الواقع أننا إذا عرفنا: «أن الدعوة إلى اتباع السلف، أو الدعوة إلى السلفية كما يعبر البعض إنما هي دعوة إلى الإسلام الحق، وإلى السنة المحضة، دعوة إلى العودة إلى الإسلام كما أنزل على الرسول ﷺ وتلقاه عنه أصحابه الكرام رضوان الله عليهم». فلا شك أن هٰذه الدعوة دعوة حق، والانتساب إليها حق، فلا ضير في الانتساب إلى السلف والاعتزاء إليهم حينئذ.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً)[1] قال ذٰلك فيمن قال إنه على مذهب السلف.

وقد جاء في «الأنساب» للسمعاني (ت ٥٦٢هـ): (السلفي: بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء هٰذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذاهبهم على ما سُمعت منهم)[2].

وقال ابن الأثير: (ت ٦٣٠هـ) عقب كلام السمعاني السابق: «وعُرِفَ به جماعة»[3] وهٰذا يعني: أن التلقب بالسلفية والانتساب إليها أمر عرف في عصر الإمام السمعاني أو قبله.

وأطلق شيخ الإسلام ابن تيمية لقب «السلفية» في بعض مصنفاته[4]، على أولئك الذين قالوا بقول السلف في الفوقية، وفي عصرنا الحاضر أطلق هٰذه النسبة وهٰذا اللقب علماء أفاضل، عرفوا بالتمسك بالسنة والذب عنها، كالشيخ عبد الرحمن المعلمي (ت ١٣٨٦هـ) في كتابه «القائد إلى تصحيح العقائد»[5]. والشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني في كتابه «مختصر العلو»[6]، ومقدمته لشرح العقيدة الطحاوية[7] وكتابه: «التوسل»[8]، والشيخ العالم القدوة عبد العزيز بن عبد الله بن باز في رسالته «تنبيهات هامة على ما كتبه محمد على

---

(١) الفتاوى ٤ / ١٤٩.

(٢) انظر: الأنساب ٣ / ٢٧٣.

(٣) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٢ / ١٢٦.

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية ١ / ١٢٢.

(٥) انظر: ص ٤٧، ٥١، ٥٥، ١٩٩.

(٦) ص ١٢٢.

(٧) انظر: مقدمة شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٧.

(٨) انظر: ص ١٤٠.

الصـابوني في صفات الله عز وجل»(١)، ومن هٰؤلاء شيخي وأستاذي الفاضل الدكتور علي بن ناصر فقيهي في كتابه: «الفتح المبين بالرد على نقد عبد الله الغماري لكتاب الأربعين»(٢)، وغير هٰؤلاء كثير من أهل العلم المعاصرين.

فهٰؤلاء الأفاضل من أهل العلم لم يروا بأساً في إطلاق لقب «سلفي» أو «السلفيين» مشيرين به إلى أولئك السائرين على منهاج السلف وطريقتهم.

وقد عد بعض من كتب في المذاهب الإسلامية وتاريخها من المحدثين «السلفيين» طائفة متميزة عرفت بهٰذا الاسم، وذٰلك كصنيع الدكتور محمد أبي زهرة في كتابه «تاريخ المذاهب الإسلامية»(٣)، والدكتور مصطفى الشكعة في كتـابـه «إسـلام بلا مذاهب»(٤)، وقد أشارا إلى التطور التاريخي لمسيرة هٰذه الطائفة واتفقا على أنها امتداد لمدرسة الإمام أحمد بن حنبل، تجددت على يد شيخ الإسـلام ابن تيمية في القـرن السابع الهجري، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري، وزعما أن السلفيين هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب.

وسـواء صح أن دعاة العودة إلى مذهب السلف هم الذين أطلقوا على أنفسهم هٰذا اللقب، أم أطلقه عليهم غيرهم ثم عرفوا به. فإني لم أقف على من أنكـر عليهم ذٰلـك أو اعتـرض على إطلاق هٰذا اللقب عليهم من أهل العلم قديماً، أو حديثاً ممن عرف بالسنة والدعوة إليها، وأقل ما يقال في جواز التلقب بذٰلك والانتساب إليه. أنه اصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح ما دام المعنى صحيحاً وحقاً في أصله كما تقدم كلام شيخ الإسلام في ذٰلك، وأنه لا عيب

---

(١) انظر: ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) انظر: ص ٣٩، (ط. الأولى ١٤٠٨ ـ مطابع الرشيد).

(٣) انظر: ص ١٨٧، (ط. دار الفكر العربي).

(٤) انظر: ص ٤٩٩ ـ ٥٠٠.

على من أظهر مذهب السلف وانتسب واعتزى إليه؛ لأن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً.

وما كان الموضوع يستدعي الوقوف عنده والإطالة في تقريره لولا ما وقفت عليه من كلام للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه الجديد «السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي»، عد فيه (من الخطأ بمكان أن نعمد إلى كلمة «السلف» فنصوغ منها مصطلحاً جديداً طارئاً على تاريخ الشريعة الإسلامية ألا وهو «السلفية» فنجعله عنواناً مميزاً تندرج تحته فئة معينة من المسلمين. . .)[1]. بل عدَّ ذلك من البدع الطارئة على المسلمين فقال: (بل لا نعدوا الحقيقة إن قلنا: إن اختراع هذا المصطلح بمضامينه الجديدة التي أشرنا إليها بدعة طارئة في الدين لم يعرفها السلف الصالح لهذه الأمة والخلف الملتزمة بنهجه)[2].

وهو يرى في هذا الكتاب: أن الاقتداء بالسلف لا يكون باتباع آرائهم، وأقوالهم، ومواقفهم التي اتخذوها، وسلوك طريقتهم، فيقول: (فإن اتباع السلف لا يكون بالانحباس في حرفية الكلمات التي نطقوا بها، أو المواقف الجزئية التي اتخذوها؛ لأنهم هم أنفسهم لم يفعلوا ذلك وإنما يكون بالرجوع إلى ما احتكموا إليه من قواعد تفسير النصوص وتأويلها، وأصول الاجتهاد والنظر في المبادىء والأحكام)[3].

وإذا نحن أردنا أن نعرف ما هي هذه القواعد؟ ومتى وضعت؛ فإن فضيلته يجيب بوضوح: أن هذه القواعد هي قواعد أصول الفقه، وأنها تعتمد فيما تعتمد على طبيعة اللغة العربية وأساليبها وفهمها، وأن استنباط هذه القواعد تأخر إلى

---

(١) انظر: ص ١٣، (ط. الأولى ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨. نشر: دار الفكر ـ دمشق).

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر ص ١٢.

عصر الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ)[١] أول من وضع قواعد أصول الفقه. وإذا كان عصر الإمام الشافعي لا يمثل إلا الحلقة الثالثة من القرون الثلاثة التي هي خير القرون والتي تمثل بمجموعها السلف المقتدى بهم، كما سبق بيان ذٰلك، فأين القواعد التي اعتمد عليها الصحابة والتابعون قبل أن يضع الإمام الشافعي هٰذه القواعد، حتى يمكن أن نقول: لا نقتدي بالصحابة إلا على ضوئها ووفق قوانينها.

وليت فضيلته وقف عند الأصول والقواعد التي وضعها الإمام الشافعي، فالإمام الشافعي إمام من أئمة السلف يدعو إلى السنة على طريقة من سبقه من الأئمة، وإنما نراه يضع لنا منهجاً عاماً يرى أنه لا بد لمن يريد ممارسة الإسلام الصحيح أن يتبعه فيقول: (إن الإنسان لكي يمارس الإسلام يقيناً وسلوكاً لا بد أن يجتاز المراحل الثلاث التالية:

أ ـ التأكد من صحة النصوص الواردة والمنقولة عن فم سيدنا محمد ﷺ، قرآناً كانت هٰذه النصوص أم حديثاً، بحيث ينتهي إلى يقين بأنها موصولة النسب إليه وليست متقولة عليه.

ب ـ الوقوف بدقة على ما تتضمنه وتعنيه تلك النصوص، بحيث يطمئن إلى ما يعنيه ويقصده صاحب تلك النصوص منها.

ج ـ عرض حصيلة تلك المعاني والمقاصد التي وقف عليها وتأكد منها على موازين المنطق والعقل ـ قال ـ: ونعني بالمنطق هنا قواعد الدراية والمعرفة عموماً لتمحيصها ومعرفة موقف العقل منها)[٢].

ثم أخذ يفصل ويشرح أجزاء كل من هٰذه الثلاث المراحل التي تكون في مجموعها وبتفاصيلها المنهج العلمي الذي ينبغي اتباعه في فهم النصوص في

---

(١) نفس المصدر ص ١٩.

(٢) نفس المصدر ص ٦٣.

نظره.

وبإلقاء نظرة فاحصة على أجزاء هٰذا المنهج يتضح لنا بدون أدنى مواربة أن الحكم النهائي في تفسير النص، وقبوله أو رَدِّه؛ إنما هو للعقل والمنطق، وهٰـذا منهـج أهـل الكلام والبدع يعرضون النصوص على العقول فما أجازته وقبلتـه، أجيز وما لا فلا بد من التصرف فيه بالرد أو التأويل أو بإبطال مفعوله وإيقافه عن العمل في بعض الأبواب دون بعض، وما كان هٰذا المنهج في يوم من الأيام هو منهج السلف.

ولنسر مع الدكتور البوطي وهو يوضح موقف العقل من نصوص الشرع، بعد أن قسم الحديث إلى متواتر، وآحاد، وضعيف، فيقول في المتواتر: (وإنما موقف العقل منه هو القبول والإذعان، أياً كان هٰذا العقل، وأياً كان صاحبه ومهما كانت نحلته، فإن العقل الإنساني لا يرتاب في صحة خبر امتد إليه ابتداء من مصدره، عن طريق جموع غفيرة متصلة. . .).

ثم يقول في موقف العقل من خبر الآحاد: (هٰذا القسم الثاني من الأخبار يسمى صحيحاً، وموقف العقل منه هو الاطمئنان إليه والوثوق به على سبيل الترجيح لا الجزم، فإن العقل يظل يجيز احتمال أن يكون قد تسلل إلى الخبر شائبة وَهْم، من جهة نسيان، أو خطأ أو ذهول وقع من بعض رواته، ومهما كان هٰذا الاحتمال بعيداً؛ نظراً لتوافر شروط الصحة فيه، فإنه يظل احتمالاً وارداً. . .).

ولأجـل هٰذا الاحتمال البعيد، يضرب فضيلة الدكتور البوطي ومن قبله أصحـاب هٰذا المنهـج من أسلافه عن توفر شروط الصحة في حديث الآحاد صفحاً، ويقرر أن: (هٰذا القسم لا تتكون منه حجة ملزمة في نطاق الاعتقاد، بحيث يقع الإنسان في طائلة الكفر إن هو لم يجزم بمضمون خبر صحيح لم يرق إلى درجة التواتر وبقي في حدود الآحاد، بل يسعه أن لا يجزم به دون أن

يخدش ذٰلك في إيمانه وإسلامه وإن كان ذٰلك قد يخدش في عدالته ويستوجب فسقه).

ويعلل فضيلته هٰذا الاتجاه: (بأن الاعتقاد انفعال قسري وليس فعلاً اختيارياً؛ فإن وجد العقل أمامه ما يحمله على الانفعال واليقين بأمر ما، اصطبغ بذٰلك اليقين لا محالة دون أن يكون له في ذٰلك أي اختيار، وإن لم يجد أمامه ما يحمله على ذلك الانفعال واليقين لم يجد بداً من الوقوف عند درجة الريبة والظن. . .)(1).

وأي فضل لامرءٍ في إيمان أو اعتقاد لا خيار له فيه، وإنما وجد نفسه منفعلة به مقسورة عليه، على ماذا يثاب حينئذ؟ وهل كان إيمان الصحابة إلا تسليماً وتصديقاً بما جاء به الرسول ﷺ ـ وكذٰلك إيمان سائر السلف من بعدهم لم يكن قهراً ولا قسراً ولا وجدوا أنفسهم مضطرين إليه مقسورين عليه؛ إنما جاءهم كتاب ربهم وبلغتهم سنة نبيهم فآمنوا وسلموا تسليماً. وقالوا: ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ**﴾(2). فقبل منهم هٰذا الإيمان ووعدهم بالإثابة والأجر عليه فقال: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ . . .**﴾ (3). ولم يقبل الله عز وجل إيمان فرعون عندما آمن اضطراراً، ولم يصدق موسى عليه السلام إلا بعد أن وجد نفسه مقسورة على اليقين والإيمان منفعلة به، فلا ثواب، بل ولا قبول حينئذ. يقول عز وجل: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .**

---

(1) المصدر السابق ص ٦٦.

(2) سورة آل عمران آية ١٩٣.

(3) نفس السورة آية ١٩٥.

آلآنَ وقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾ ـ أي : لا ينفعك هٰذا الإيمان ؛ لأنه لم يكن إيمان تسليم وإنما إيمان قسر واضطرار. **﴿فاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وإنَّ كَثيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنا لَغَافِلُونَ﴾** [1].

وبعد: فهٰذا المنهج الذي يرى فضيلة الدكتور البوطي أنه مقياس اتباع الكتاب والسنة، وهو العنوان على مدى الاعتصام بحبل الله عز وجل [2].

وهو كما ترى منهج يقضي بتحكيم العقل في نصوص الشرع وتسليطه عليها وهو منهج أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة [3].

فانظر أيهما أهدى اتِّباع السلف الصالح وسلوك طريقهم ومنهجهم، واعتبار أقوالهم وفهمهم وتفسيرهم لنصوص الوحي، أم هٰذا المنهج الخلفي؟

٣) أهل الحديث:

من الأسماء التي ترد كثيراً معبراً بها عن «أهل السنة» «أهل الحديث» وهٰذا واضح في كلام كثير من الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره من أهل العلم قبله وبعده، يذكرون «أهل الحديث» و«أهل السنة» مبينين اعتقادهم، ولا يفرقون بين المصطلحين فهٰذا الإمام الصابوني (٣٧٢ ـ ٤٤٩)، يقول في عقيدته: (إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة حفظ الله أحياءهم، ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول الله ﷺ بالرسالة والنبوة. . . إلى أن يقول: وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف

---

(١) سورة يونس الآيات من ٩٠ ـ ٩٢.

(٢) انظر: السلفية مرحلة زمنية ص ٥٦.

(٣) وقد تصدى للرد على البوطي في هٰذا الكتاب أفاضل من أهل العلم، منهم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان في كتابه نظرات وتعقيبات، والشيخ عبد القادر حامد في مقالات له نشرتها مجلة البيان، العدد ٣٤ وما بعده.

والتكييف والتشبيه ومن عليهم بالتعريف والتفهيم)[1].

فعبر بكل من المصطلحين عن الآخر مما يدل على أنهما يترادفان ولا سيما إذا ذكرا في كتب الاعتقاد؛ لأن اعتقادهما واحد وهو ما جاء في الحديث والسنة وهما بمعنى واحد.

وشيخ الإسلام يقول مثلاً: (... مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة)[2].

وهٰذا كما ذكرت، كثير في كتبهم رحمهم الله وإنما ذكرت ذٰلك من باب التمثيل، فهل يعني ذٰلك أن المصطلحين مترادفان أو أن لكل منهما معنى؟

لكي نتبين ذٰلك لا بد أن نقف على معنى «السنة» و «الحديث» هل هما بمعنى واحد أو أن لكل منهما معنى؟

تقدم لنا تعريف السنة وأن معناها يختلف عند المحدثين عنه عند الفقهاء، عنه عند الأصوليين، وأن معنى السنة في عرف كثير من السلف مقابل للبدعة، فيقصدون بالسنة موافقة الكتاب وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، فيقال: فلان على السنة إذا كان عمله موافقاً للكتاب والسنة، وعمل السلف، وفلان على البدعة إذا كان عمله مخالفاً للكتاب والسنة...[3].

والسنة عند المحدثين مرادفة للحديث، فهما كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية[4].

وبهٰذا يتبين لنا أن السنة والحديث وإن كانا بمعنى واحد عند المحدثين

---

(١) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٣ ـ ٤ بتحقيق بدر البدر.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١ / ٢٠٣.

(٣) راجع: مبحث بيان معنى السنة ص ٣٢.

(٤) انظر: مبحث بيان معنى السنة ص ٣٠.

لكنهما عند غيرهم ليسا كذلك، ولا سيما عند السلف الذين يطلقون السنة في مقابل البدعة فتشمل الكتاب والسنة والشريعة، وليس ذلك لـ«الحديث».

فالحديث إذن مصطلح علمي فَنِّي أضيق من «السنة».

وعلى هذا: فهنالك فرق بين مصطلح «أهل السنة» و«أهل الحديث» وإنْ عُبِّرَ بأحدهما عن الآخر في أبواب الاعتقاد لما بينهما من التقارب في الغالب وإلَّا فقد يكون المرء من أهل السنة، وليس من أهل الحديث من الناحية الصناعية؛ أي: ليس بمحدث.

وقد يكون المرء من أهل الحديث صناعة وليس هو من أهل السنة فقد يكون مبتدعاً؛ ولذلك قال عبد الرحمن بن مهدي: (الناس على وجوه، فمنهم من هو إمام في السنة إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث، فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري)[1].

وقال الإمام ابن الصلاح وقد سُئِلَ عن الفرق بين السنة والحديث في قول بعضهم عن الإمام مالك إنه جمع بين السنة والحديث؛ قال: (السنة هنا ضد البدعة، وقد يكون الإنسان من أهل الحديث وهو مبتدع، ومالك رضي الله عنه جمع بين السنتين فكان عالماً بالسنة؛ ـ أي: لحديث ـ ومعتقداً للسنة ـ أي كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة ـ»[2].

لكن في الغالب أن أهل الحديث على السنة؛ لأنهم حملتها، وأقرب الناس إليها، وهم ورثة رسول الله ﷺ ونقلة سنته، والمبتدع فيهم قليل بل الغالب عليهم الاتباع.

فإذا قيل: «أهل الحديث» في كتب العقائد، فالمراد أهله رواية ودراية

---

(١) اللالكائي، شرح أصول السنة ١ / ٦٣.

(٢) فتاوى ابن الصلاح ١ / ٢١٣.

واتبــاعــاً، كمــا قال شيخ الإســلام ابن تيمية في بيان المقصــود بلفظ «أهــل الحـديث»: (ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته وروايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً واتباعه باطناً وظاهراً وكذلك أهل القرآن)[1].

وعلى هذا المعنى يصـح أن يعبر بمصطلح «أهل الحديث» عن «أهل السنة» وهو المراد عند الإطلاق ولا سيما في كتب الاعتقاد عن السلف. والله تعالى أعلم.

٤) **«الأثرية» أو «أهل الأثر»:**

وهٰذا الاسم يطلقه كثير من أهل العلم ويريدون به أهل السنة والحديث.

كما جاء في كلام أبي حاتم الرازي (١٩٥ ـ ٢٧٧هـ): (مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين. والتمسك بمذهب أهل الأثر مثل: أبي عبد الله أحمد بن حنبل).

وقال في موضع آخر: (... وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية) فاستعمل «أهل الأثر» بمعنى «أهل السنة»[2].

وكذٰلك ورد إطلاق ذٰلك في كلام أبي نصر السجزي[3]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[4]، والإمام السفاريني[5] وغيرهم من أهل العلم، وربما جعل بعضهم

---

(١) الفتاوى ٤ / ٩٥.

(٢) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٧٩، ١٨٠، ١٨١.

(٣) الرد على من أنكر الحرف أو الصوت ص ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٢٣.

(٤) انظر: «درء التعارض» (٦ / ٢٦٦).

(٥) انظر: لوامع الأنوار ١ / ٦٤.

هذا اللفظ علَما على مصنفاتهم في العقيدة[1].

وسموا بذٰلك؛ نسبة إلى «الأثر» وهو في اصطلاح أهل الحديث مرادف للحديث، وعند بعض الفقهاء هو بمعنى الموقوف على الصحابي[2].

يقال: أثرت الحديث بمعنى رويته، ويسمى المُحَدِّثُ أثرياً؛ نسبة للأثر[3].

ومعنى أهل الأثر كما يقول الإمام السفاريني: (أي: الذين إنما يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله جل شأنه في كتابه، أو في سنة النبي ﷺ، أو ما ثبت وصح عن السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم الفخام...)[4].

وهٰذا بمعنى «أهل السنة» في إطلاق السلف.

٥) الفرقة الناجية:

وذٰلك أخذاً من قوله ﷺ في حديث الافتراق: (... وإنَّ أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلَّا واحدة، وهي الجماعة)[5].

فأخبر ﷺ أن الفرق كلها هالكة إلَّا واحدة فهي ناجية وهي الجماعة، وفي رواية أخرى: (ما أنا عليه وأصحابي)[6].

---

(١) وذٰلك مثل: العين والأثر في عقائد أهل الأثر، للإمام عبد الباقي الحنبلي.
وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، للعلامة صديق حسن خان.

(٢) القاسمي: قواعد التحديث ص ٦١.

(٣) السيوطي، تدريب الراوي ١ / ٢٣.

(٤) لوامع الأنوار ١ / ٦٤.

(٥) جه: كتاب الفتن، باب افتراق الأمم ٢ / ١٣٢٢ح. وقال الألباني: «صحيح»، انظر: صحيح ابن ماجه ٢ / ٣٦٤.

(٦) تقدم ص ٤٨.

وهذا الوصف لا ينطبق إلاَّ على أهل الحديث والسنة فإنهم هم الذين على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. فهم الفرقة الناجية ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل ـ وقد ذكر حديث النبي ﷺ: «تفترق الأمة على نيف وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة»: إنْ لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم»[1].

وقال الإمام عبد القادر الجيلاني وقد ذكر أصول الفرق...: (وأما الفرقة الناجية: فهي أهل السنة والجماعة)[2].

ونجد كثيراً من أهل العلم قديماً وحديثاً «يجعل الفرقة الناجية» علماً على «أهل السنة» واسماً من أسمائها، ومن ذلك: صنيع شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة العقيدة الواسطة حيث قال: (أما بعد: فهٰذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة)[3].

ومن ذٰلك أيضاً صنيع الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حيث قال: (قول الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات هو...)[4].

وقد تقدم ادِّعاء كثير من الفرق أنهم الفرقة الناجية والرد على ذلك[5].

٦) الطائفة المنصورة:

وهٰذا اللقب مستفاد من قول المصطفى ﷺ في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم

---

(١) الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث ص ٢٥.

(٢) انظر: الغنية لطالبي طريق الحق ص ٨٥.

(٣) انظر: العقيدة الواسطية مع شرح الهراس ص ١٤، ط. الثالثة.

(٤) انظر: تعليق الشيخ على رسالة التنبيهات اللطيفة، للشيخ عبد الرحمٰن الناصر السعدي، ص ٧.

(٥) انظر: المبحث الثالث من التمهيد، ص ٤٨ وما بعدها.

ظاهرون)[1].

وفي حديث معاوية بن قرة عن أبيه: (لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)[2]. وقد بين السلف المراد بهٰذه الطائفة.

فقال عبد الله بن المبارك (١١٨ - ١٨١هـ): (هم عندي أصحاب الحديث)[3].

وقال يزيد بن هارون (١١٨ - ٢٠٦هـ): (إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم)[4].

وقال علي بن المديني (١٦١ - ٢٣٤هـ): (هم أصحاب الحديث)[5].

وقال الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١): (إن لم تكن هٰذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم)[6].

قال الحافظ ابن حجر: سنده صحيح[7].

وقال الإمام البخاري (١٩٤ - ٢٥٦هـ): (... وهم أهل العلم)[8].

---

(١) خ: كتاب الاعتصام بالسنة، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ١٣ / ٢٩٣، ح ٧٣١١.

(٢) ت: كتاب الفتن، باب ما جاء في الشام ٤ / ٤٨٥، ح ٢١٩٢، جه: مقدمة، باب اتباع سنة الرسول ﷺ ١ / ٤، ح ٦، وقال الألباني: «صحيح»، انظر: صحيح الترمذي ٢ / ٢٣٩، وصحيح ابن ماجه ١ / ٦.

(٣) الخطيب البغدادي: شرف أصحاب الحديث ص ٢٦.

(٤) نفس المصدر ص ٢٦.

(٥) انظر: جامع الترمذي ٤ / ٤٨٥.

(٦) انظر: الحاكم، معرفة علوم الحديث ص ٣.

(٧) الفتح ١٣ / ٢٩٣.

(٨) نفس المصدر.

وروى الخطيب البغدادي عنه بسنده أنه قال: (يعني: أصحاب الحديث)[1] ولا منافاة بين القولين، فإن أهل الحديث من أهل العلم.

وقال أحمد بن سنان (... - ٢٥٩): (هم أهل العلم وأصحاب الآثار)[2].

والمراد بأهل الحديث: أهله رواية ودراية، علماً وعملاً واتباعاً، إذ هم الذين يستحقون النصر والظهور لنصرتهم سنة رسول الله ﷺ وعملهم بها وذبهم عنها، فهم أولى الناس بأن يكونوا الطائفة المنصورة كما قال أبو عبدالله الحاكم بعد أن ذكر قول الإمام أحمد في الطائفة المنصورة السابق. قال: (فلقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هٰذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة، هم أصحاب الحديث، ومن أحق بهٰذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف الماضين، ودفعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أجمعين...)[3].

وأهل الحديث بهٰذا المعنى هم أهل السنة؛ ولهٰذا قال القاضي عياض (٤٧٦ - ٥٤٤هـ) عقب قول الإمام أحمد السابق: (إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث)[4].

فأهل الحديث، في تفسير السلف للطائفة المنصورة، هم أهل السنة والجماعة، فهم الطائفة المنصورة؛ ولهٰذا نرى كثيراً من أهل العلم يطلق اسم الطائفة المنصورة على أهل السنة والجماعة.

فهٰذا شيخ الإسلام ابن تيمية يقول في مقدمة العقيد الواسطية: (أما بعد:

---

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٢٧.

(٢) نفس المصدر.

(٣) معرفة علوم الحديث ص ٣٠.

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٣ / ٦٧، كتاب الإمارة.

فهٰذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة)[1]، ويقول في آخر هٰذه العقيدة أيضاً: (وهم ـ أي: أهل السنة ـ الطائفة المنصورة الـذين قال فيهم النبي ﷺ: «ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة»)[2].

وما ورد في بعض الروايات من أن هٰذه الطائفة هم أهل الشام، كما جاء في حديث سعد بن أبي وقاص؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة)[3].

قال الإمام أحمد بن حنبل: «هم أهل الشام»[4]، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنـه: «وهم بالشـام»[5]، فلا ينـافي تفسير الأئمـة بأنهم أهل الحديث، فالطائفة المنصورة هم أهل الحديث والسنة سواء كانوا في الشام أم في غيرها، ولا يمنع أن يكون أهل الشام في بعض الأوقات هم الطائفة المنصورة، أو أحق الناس دخولاً فيها لقيامهم بالسنة ودفاعهم عن حمى الإسلام والمسلمين، كما حدث زمن اجتياح التتار بلاد المسلمين في أواخر القرن السابع الهجري، فإن أهل الشام في ذٰلك الوقت كانوا هم الطائفة المنصورة لتمسكهم بالسنة وثباتهم عليها وذودهم عن بلاد المسلمين، ولنستمع لشيخ الإسلام ابن تيمية وهو شاهد حال عاصر الفتنة، وكان من المجاهدين فيها بلسانه وسنانه رحمة الله عليه، إذ يقول: (أما الطائفة بالشام ومصر ونحوهما، فهم في هٰذا الوقت المقاتلون عن دين الإسلام، وهم من أحق الناس دخولاً في الطائفة المنصورة التي ذكر النبي ﷺ بقـوله في الأحاديث الصحيحة المستفيضة عنه: (لا تزال طائفة من أمتي

---

(١) انظر: العقيدة الواسطية بشرح الهراس ص ١٤. وقد سبقت الإشارة لذٰلك ص ١٢١.

(٢) نفس المصدر ص ١٥٧.

(٣) م: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي...» ٣/١٥٢٥، ح ١٩٢٥.

(٤) انظر: الفتاوى لابن تيمية ٢٨ / ٥٣٢.

(٥) نفس المصدر والصفحة.

ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم، حتى تقوم الساعة. . . ومن يتدبر أحوال العالم في هٰذا الوقت يعلم أن هٰذه الطائفة هي أقوم الطوائف بدين الإسلام، علماً وعملاً، وجهاداً، عن شرق الأرض وغربها، فإنَّهم هم الذين يقاتلون، أهل الشوكة العظيمة من المشركين وأهل الكتاب، ومغازيهم مع النصارى، ومع المشركين من الترك، ومع الزنادقة المنافقين من الداخلين في الرافضة وغيرهم، كالإسماعيلية ونحوهم من القرامطة معروفة، معلومة قديماً وحديثاً)[1].

ثم ذكر رحمه الله أحوال أهل الأقطار الإسلامية، وما حل بهم من ضعف وعجز عن الجهاد، وبعد عن الكتاب والسنة، وتلبس بالبدع والضلال والفجور فيقول: (وذلك أنّ سكان اليمن في هٰذا الوقت ضعاف، عاجزون عن الجهاد، أو مضيعون له وهم مطيعون لمن ملك هٰذه البلاد، حتى ذكروا أنهم أرسلوا بالسمع والطاعة لهٰؤلاء. . . وأما سكان الحجاز فأكثرهم أو كثير منهم خارجون عن الشريعة، وفيهم من البدع والضلال والفجور ما لا يعلمه إلا الله، وأهل الإيمان والدين فيهم مستضعفون عاجزون. . . وأما بلاد إفريقية فأعرابها غالبون عليها، وهم من شر الخلق، بل هم مستحقون للجهاد والغزو، وأما المغرب الأقصى فمع استيلاء الأفرنج على أكثر بلادهم لا يقومون بجهاد النصارى هناك. . . فهٰذا وغيره مما يبين أن هٰذه العصابة التي بالشام ومصر في هٰذا الوقت، هم كتيبة الإسلام، وعزُّهم عِزُّ الإسلام، وذلهم ذل الإسلام، فلو استولى عليهم التتار لم يبق للإسلام عز، ولا كلمة عالية، ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها أهل الأرض تقاتل عنه)[2].

فهٰذه الصورة التي نقلها شيخ الإسلام لواقع المسلمين في عصره، تبين

---

(١) الفتاوى ٢٨ / ٥٣١ - ٥٣٢.

(٢) الفتاوى ٢٨ / ٥٣٣ - ٥٣٤.

في جلاء أن أكثر أهل الديار الإسلامية قد ابتعدوا عن الكتاب والسنة، ودبّ فيهم الضلال والفجور والبدع، مما جعلهم غير مؤهلين للدفاع عن بلاد الإسلام، وجهاد الأعداء، وأن أهل الشام كانوا في ذٰلك الوقت هم أهل السنة العاملين بها والذابين عنها قولاً وعملاً وجهاداً لأعدائها، فكانوا هم الطائفة المنصورة في عصرهم.

● **ثانياً: ألقاب أهل السنة عند خصومهم من أهل الأهواء والبدع:**

تقدم لنا في أول هٰذا المبحث أن خصوم أهل السنة نادراً ما يذكرونهم باسم أهل السنة، أو أهل الحديث، أو غير ذٰلك من الأسماء المرضية عند أهل السنة. وأنهم درجوا على الإشارة إليهم في كتبهم وأقوالهم بألقاب وأسماء ابتدعوها من عند أنفسهم، بقصد الحط والتشنيع عليهم وعلى مذهبهم كما قال إمام أهل السنة الإمام أحمد في كتاب «السنة» له: (وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة، يسمون بها أهل السنة، يريدون بذٰلك الطعن عليهم، والأزراء بهم عند السفها والجهال. . .)[1].

فكل فرقة أو طائفة تذكر أهل السنة بلقب أو أكثر، وربما اتّفق طائفتان أو أكثر على نبز أهل السنة ببعض الألقاب كما سيأتي، حتى أصبح من أبرز علامات أهل البدع وأظهر ما يميزهم هو الوقيعة في أهل السنة والأثر[2]، ونبزهم بالألقاب المنَفِّرة، المستكرهة. وهٰذه علامة أهل الباطل، إذا أعيتهم الحجة لجأوا إلى وصم أهل الحق ودعاته بأقبح الألقاب، وأحط الأسماء، كما فعل مشركوا مكة مع رسول الله ﷺ حيث اقتسموا القول فيه، فسماه بعضهم: ساحراً، وبعضهم كاهناً، وبعضهم شاعراً، وبعضهم مجنوناً، وبعضهم مفتوناً،

---

(١) ص ٤٠.

(٢) انظر: كلام أبي حاتم الرازي في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي ١ / ١٧٩.

وبعضهم مفترياً مختلقاً كذاباً، وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بريئاً، ولم يكن إلا رسولاً مصطفى نبياً قال الله عز وجل: ﴿**انْظُرْ كيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيْعُونَ سَبِيلاً**﴾[1] وكذٰلك المبتدعة. اقتسموا القول في حملة أخباره، ونقلة آثاره ورواة أحاديثه المقتدين به، المهتدين بسنته، المعروفين بأصحاب الحديث، فسماهم بعضهم حشوية، وبعضهم: مشبهة، وبعضهم نابتة، وبعضهم: ناصبة، وبعضهم: جبرية، وأصحاب الحديث عصامة من هٰذه المعايب، بريئة زكية نقية وليسوا إلا أهل السنة المضية والسيرة المرضية...[2].

وجميع هٰذه الألقاب والأسماء لا تلحق أهل السنة عند التحقيق، كما لم يلحق رسول الله ﷺ ما نبزه به الكفار من الأسماء والألقاب. وإنما نوردها هنا لأمور:

الأمر الأول: هو ما أشرنا إليه في مطلع المبحث وهو أن كتب الفرق والمقالات لا تذكر أهل السنة أو أهل الحديث، وإنما تذكر مذهب أهل السنة وأهل الحديث وتقول قال الحشوية، أو قال المشبهة، أو المجسمة، أو الناصبة ولا يريدون بهم إلا أهل السنة والحديث، فلا بد أن نذكر هذه الأسماء والألقاب ونبين المراد بها.

الأمر الثاني: لبيان من نبز بها أهل السنة وذٰلك بالرجوع إلى مصادرهم ما أمكنني ذٰلك.

والثالث: للرد عليها وبيان أنها لا تنطبق على أهل السنة، وأن غيرهم أحق بها.

فأول هٰذه الألقاب:

---

(١) سورة الفرقان آية ٩.

(٢) أبو إسماعيل الصابوني، عقيدة السلف أصحاب الحديث. (بتحقيق بدر البدر)، ص ١٠٦ - ١٠٧.

١) مُشَبِّهَةٌ :

وهٰذا اللقب من أشنع الألقاب التي نبزهم بها مخالفوهم في باب الأسماء والصفـات ـ من الجهمية ـ والمعتزلة، والأشاعرة، وذٰلك أن أهل السنة والأثر يصفون الله عز وجل بكل ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل، وعند هٰذه الطوائف والفرق أنه لا بد من تأويل النصوص الواردة في باب الصفات؛ لأن ظاهرها يوهم التشبيه عندهم، فلا بد من صرفها. لذا عَدُّوا كل من أثبت لله ما أَثْبَتَتْهُ النصوص من غير تأويل، مشبهاً.

فأما الجهمية: فإنَّ من أهم وأقدم ما وصل إلينا من النصوص التي تشير إلى نبزهم أهل السنة والأثر بلقب «مشبهة» ما رواه الإمام اللالكائي عن إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ) قال: (علامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل الجماعة وما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة. . .)[١].

ومـا أورده الإمـام أحمد بن حنبل في كتابه القيم: «الرد على الجهمية والـزنادقة» عن الجهم (ت ١٢٨هـ): (أنَّه زعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدّث عنه رسول ـ ﷺ ـ كان كافراً، وكان من المشبهة. . .)[٢].

وكذٰلك قول أبي حاتم (ت ٢٧٧هـ): (وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة)[٣].

وأما المعتزلة: فهم ورثة الجهمية الذين ورثوا عنهم القول بنفي الصفات، ونبـز من أثبتها بالتشبيه فهٰذا أبو موسى المردار (ت ٢٣٦هـ)، والذي يعد من علماء المعتزلة ومقدميهم ينقل عنه الخياط (ت بعد ٣٠٠هـ) أنه: (كان يزعم أن

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٧٩.

(٢) ص ١٠٤.

(٣) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٧٩.

من قال: إنّ الله يرى بالأبصار على أي وجه قال فمشبه لله بخلقه والمشبه عنده كافر. . .)[1].

ومعلوم أن من أصول مذهب أهل السنة إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الجنة.

ويقول القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ) بعد أن أول الاستواء وذكر استعمالات لفظة (استوى) في اللغة: (وإذا كانت اللفظة تستعمل على هٰذه الجهات، فكيف يصح للمشبهة التعلق بها؟)[2]، يقصد من يثبِتُ الاستواء لله عز وجل على عرشه.

ويذكر الإمام الرازي (ت ٦٠٦هـ): (أن جماعة من المعتزلة ينسبون التشبيه إلى الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ) ـ قال: وهٰذا خطأ منهم فإنهم منزهون في اعتقادهم عن التشبيه والتعطيل. . .)[3].

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: (أن جل المعتزلة تدخل عامّة الأئمة مثل مالك (ت ١٧٩هـ) وأصحابه، والثوري (ت ١٦١هـ) وأصحابه، والأوزاعي (ت ١٥٧هـ) وأصحابه، والشافعي (ت ٢٠٤هـ)، وأحمد (ت ٢٤١هـ) وأصحابه، وإسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ)، وأبي عبيد (٢٢٤) وغيرهم في قسم المشبهة)[4].

بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذٰلك: (فرمى الأنبياء صلوات الله وسلامه

---

(١) الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، (تحقيق د. البير نصري نادر)، ص ٥٥، وانظر أيضاً ص ٤٣.

(٢) انظر: متشابه القرآن (بتحقيق د. عدنان محمد زرزور)، ص ٧٤.

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٦.

(٤) الفتاوى ٥ / ١١٠.

عليهم بذلك، حتى قال ثمامةُ بن الأشرس (ت ٢١٣هـ) من رؤساء الجهمية[١]: ثلاثة من الأنبياء مشبهة موسى حيث قال: «إنْ هي إلا فتنتك»[٢] وعيسى حيث قال: «تعلم ما نفسي ولا أعلم ما في نفسك»[٣] ومحمد ﷺ حيث قال: «ينزل ربنا»[٤])[٥].

وأما الأشاعرة: فإنهم لَمَّا كانوا لا يثبتون إلا بعض الصفات[٦]، ويؤولون البعض الآخر، فقد نبزوا من يثبت لله جميع ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ بالتشبيه.

يقول الجويني (ت ٤٧٨هـ): (واعلموا أن مذهب أهل الحق أن الرب سبحانه وتعالى يتقدس عن شغل حَيِّز، ويتنزه عن الاختصاص بجهة.

وذهب المشبهة إلى أنه ـ تعالى عن قولهم ـ مختص بجهة فوق...)[٧].

ومعلوم أن أهـل السنة والجماعة يثبتون لله عز وجل ما أثبته لنفسه من الفوقية في قوله عز وجل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[٨]، ومن أثبت ذلك عند

(١) يريد المعتزلة، وكثيراً ما يطلق على المعتزلة لقب الجهمية لقولهم بقولهم في نفي الصفات.

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٥.

(٣) سورة المائدة آية ١١٦.

(٤) يشير إلى حديث النزول وهو حديث صحيح أخرجه خ: كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ٣ / ٢٩. وم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ١ / ٥٢١، ح ٦٨.

(٥) الفتاوى ٥ / ١١٠.

(٦) لا لأنها وردت في الكتاب والسنة؛ وإنما لأن العقل لا يحيلها، مثل صفة «الحياة، والعلم...، وغيرها من الصفات السبع التي يثبتونها ولو كانوا أثبتوها لورد النص بها، لما أولوا باقي الصفات مع ورود النصوص بها أيضاً.

(٧) انظر: الشامل ص ٥١١.

(٨) سورة النحل آية ٥٠.

الجويني يُعَدُّ مشبهاً.

ومن خلال هٰذا الغرض لهٰذه النماذج من أقوال الجهمية والمعتزلة والأشاعرة التي وصموا فيها أهل السنة بالتشبيه، يتضح لنا أن القوم يَعُدُّونَ إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ تشبيهاً، وكل من أثبتها مشبهاً.

والحق أن أهل السنة لم يزيدوا في هٰذا الباب على أن قالوا كما قال ربهم وخالقهم عن نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] فأثبتوا لله ما أثبت لنفسه من الصفات مع قطعهم بنفي المشابهة والمماثلة بين صفاته وصفات المخلوقات، فهم يصفون الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

والمشبَّهةُ هم الذين يمثلون صفاته بصفات خلقه، كما قال الإمام إسحاق ابن راهويه: «إنما يكون التشبيه لو قيل يد كيد، وسمع كسمع»[2]، أما إذا قيل: يد وسمع تليق بعظم الباري وجلاله من غير مشابهة أو مماثلة ليد وسمع المخلوق اللائق بعجزه وافتقاره فلا يعد ذٰلك تشبيهاً.

وأهل السنة من أشد الناس مقتاً للمشبَّهة والتشبيه لما قام في قلوبهم من جلال الخالق وعظمته، مع إثباتهم صفات الجلال والكمال التي ثبتت لله عز و جل، ولذلك يقول نعيم بن حماد (ت ٢٢٨هـ): (من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه)[3]؛ لأن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته.

وقال إسحاق بن راهويه: (من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من

---

(١) سورة الشورى آية ١١.

(٢) انظر: ابن حجر فتح الباري ١٣ / ٤٠٧.

(٣) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣ / ٥٣٢، ح ٩٣٦.

خلق الله؛ فهو كافر بالله العظيم . . .)[1].

وقد عقد الإمام اللالكائي باباً في «سياق ما روي في تكفير المشبهة»[2] نقل فيه من أقوال السلف في ذٰلك ما ذكرنا بعضه فكيف يقال بعد ذٰلك أنهم مشبهة؟ بل التشبيه بنفاة الصفات ومؤوليها أشبه.

كما ذكر الإمام البخاري عن بعض أهل العلم: (أن الجهمية هم المشبهة؛ لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، ولا يخلق، وقالت الجهمية: هو كذٰلك لا يتكلم ولا يبصر نفسه، وقالوا: إن اسم الله مخلوق. . .)[3].

وربّما شبهوه بالمعدومات بقولهم: ليس هو فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا داخل العالم، ولا خارجه، ولا هو ممازج له ولا منفصل عنه[4].

وسيأتي إنْ شاء الله زيادة تفصيل عند التعرض لمسائل الصفات وموقف المؤولة والنفاة والمشبهة منها.

٢) مُجْبِرَةٌ:

وهٰذا اللقب نبزهم به المعتزلة والقدرية، وذٰلك لأن أهل السنة والأثر يقولون: كل شيء بقدر الله، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وهٰذا القول عند القدرية جبر؛ لأنهم يرون أن أفعال العباد هم المُحدِثُون لها وليست مخلوقة لله، وأن أفعال الشر من الكفر والمعاصي تقع من العبد وهو المحدِث لها من غير إرادة من الله ولا تقدير لها.

---

(١) المصدر السابق ح ٩٣٧.

(٢) نفس المصدر ٣ / ٥٢٨.

(٣) خلق أفعال العباد ٣٥ ـ ٣٦.

(٤) انظر عن هٰذا القول: الذهبي، العلو ص ١٩٥.

وكل من قال إنها تقع بإرادة الله وقضائه وقدره عدوه جبرياً

نقـل الخياط المعتـزلى (ت بعـد ٣٠٠هـ) عن أبي موسى المردار (ت ٢٢٦هـ) أن: (من وصف الله بأنه يقضي المعاصي على عباده ويقدرها فمُسفِّهٌ لله في فعله، والمُسفِّه لله كافر به، والشاك في قول المُشَبَّه والمُجْبِر فلا يدري أحق قوله أم باطل، كافر بالله أيضاً. . .)[١]. فلم يكتف المردار أن يرمي مثبت القدر بالجبر حتى عدّه كافراً بل وعدَّى التكفيرَ إلى من شَكَّ في كفره.

وعـدَّ القـاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ) وهو من كبار مصنفي المعتزلة ومقرري أصولهم، كل من أثبت القدر مجبراً فقال: (والذين يثبتون القَدَرَ هم المجبرة فأمّا نحن فإنّا ننفيه، وننزه الله تعالى أن تكون الأفعال بقضائه وقدره. . .)[٢].

وعنده كل من قال إن الله خالق أفعال العباد. فهو مجبر، يقول في كتاب «متشابه القرآن»: (وإن سأل المجبر فقال: إن قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيْعاً**﴾، وفي الأرض الفساد والظلم وأفعال العباد، فيجب أن يدل ظاهـره على أنه الخالق لها. . . ـ ثم قال ـ: والجواب عن ذلك. . .)[٣] والشاهد أنه عَدَّ القولَ بخلق أفعال العباد من قول المجبرة.

وهكذا نرى المعتزلة لا يترددون في إطلاق لقب المجبرة على من يثبت وقوع الأفعال بقضاء الله وقدره، ولذلك عَدّ أئمةُ السلف من علامات القدرية «تسميتهم أهل السنة مجبرة» كما روى ذلك اللالكائي[٤] عن أبي حاتم، وقال الإمام أحمد: (وأما القدرية فيسمون أهل السنة مجبرة)[٥].

(١) الانتصار ص ٥٥.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ص ٧٧٥ ـ ٧٧٦.

(٣) ص ٧٥.

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٧٩.

(٥) انظر: السنة له ص ٤٠.

٣) نُقصانيَّةٌ، ٤) مُخَالِفَةٌ، ٥) شُكَّاك:

لمَّا كان المرجئة على اختلاف طوائفهم يرون أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان إذ الإيمان عند بعضهم «المعرفة فقط»، وعند فريق هو «النطق باللسان»، وعند أمثلهم هو «اعتقاد بالقلب ونطق باللسان»، قالوا: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولا يجوز الاستثناء فيه، فليس للمرء أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله، أو مؤمن أرجو، وإنما يقطع بإيمانه. وعدُّوا من أدخل الأعمال في مسمى الإيمان، وقال بزيادته ونقصانه وجوّز الاستثناء فيه، مخالفاً لهم. ومن ثم نبزوا أهل السنة والجماعة بالألقاب القبيحة، فقالوا: نقصانية: لقولهم إن الإيمان يزيد وينقص، وقالوا: مخالفة: لمخالفتهم لمذهبهم، وقالوا: شكاك: لقولهم بالاستثناء في الايمان.

روى الإمام اللالكائي عن أبي حاتم قوله: (. . . وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية)[1].

وقال الإمام أحمد في كتاب «السنة» له: (وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء قبيحة شنيعة، يسمون بها أهل السنة، يريدون بذلك الطعن عليهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال.

فأما المرجئة: فيسمون أهل السنة شكاكاً. . .)[2].

ويبين أبو حاتم الرازي[3] وجه نبز أهل السنة بـ (الشكاك) فيقول: (ويقال لهم الشكاك، لقبوهم بذلك لقولهم: إن الإيمان يزيد وينقص وأنهم لم يثبتوا الشهادة على من شهد الشهادتين أنه مؤمن حقاً، وشكوا في أمره، ويقولون:

---

(١) شرح أصول أهل السنة ١ / ١٧٩.

(٢) انظر: ص ٤٠. وتقدم أيضاً ص ١٢٦ من هذا البحث.

(٣) هو: أحمد بن حمدان الرازي صاحب كتاب الزينة ـ وهو غير أبي حاتم المشهور فهذا سني، والأول إسماعيلي.

نرجوا أن يكون مؤمناً، وإنما الواجب عليهم أن يقولوا إن إيمانه مثل إيمان محمد ﷺ، وإيمان جبريل، وأن يشهدوا عليه أنه مؤمن حقاً ولا يشكوا فيه)[1].

والحق أن أهل السنة لم يقولوا بالاستثناء في الإيمان، شكّاً منهم في إيمانهم، وإنما استثنوا مخافة تزكية النفس والشهادة لها، واحتياطاً؛ لأن الإيمان عند أهل السنة تدخل فيه الأعمال، والقطع بالإيمان يتضمن القطع بفعل جميع الطاعات وترك جميع المنهيات، وفي القطع بذلك تزكية للنفس والله عز وجل يقول: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾[2].

وقد صرح أئمة أهل السنة بأن استثناءهم ليس على معنى الشك، وإنما هو لمعاني أخرى كما روى الخلال عن محمد بن الحسن بن هارون قال: سألت أبا عبد الله عن الاستثناء في الإيمان فقال: (نعم الاستثناء على غير معنى شك، مخافة واحتياطاً للعمل، وقد استثنى ابن مسعود وغيره وهو مذهب الثوري وغيره، قال الله عز وجل: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾[3]. وقال النبي ﷺ: «إنِّي لأرجو أن أكون أتقاكم لله»[4]، وقال - في البقيع -: «عليه نُبعَثُ إن شاء الله»[5]) [6] وليس الاستثناء في شيء من ذلك على معنى الشك، فكذلك استثناؤهم في الإيمان[7].

---

(١) انظر: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ص ٢٦٨، (حققه د. عبد الله سلوم السامرائي)، ملحقاً بكتابه الغلو والفرق الغالية.

(٢) سورة النجم آية ٣٢.

(٣) سورة الفتح آية ٢٧.

(٤) م: كتاب الصيام، باب صحة صوم من يطلع عليه الفجر وهو جنب، ٢ / ٧٨١.

(٥) هذا بعض حديث. أوله: «إن الميت يصير إلى القبر» أخرجه جه: الزهد، باب ذكر القبر والبلى ٢ / ١٤٢٦، ح ٤٢٦٨.

(٦) انظر: السنة للخلال ص ٦٩٥ - ٦٩٦. رسالة دكتوراه (بتحقيق عطية عتيق الزهراني).

(٧) للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد دراسة موسعة في ذلك، تقدم بها لنيل درجة =

وبهٰذا يتبين أن نبز المرجئة أهلَ السنة بلقب «الشّكّاك» لا وجه له يصح، وإنما هو من باب التشنيع بغير حق.

٦) ناصبة:

وهو من الألقاب الشنيعة التي رماهم بها الرافضة، وهو لقب يطلقونه على كل من قَدَّم أبا بكر وعمر وعثمان على علي رضي الله عنهم في الخلافة والفضل، سُئل بعض أئمة الشيعة عن «الناصب» هل احتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه «الجبت» و «الطاغوت»[١] واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب: من كان على هٰذا فهو ناصب[٢].

وهو من المناصبة وهي المعاداة؛ يقال: (ناصبه الشَّرَّ والحربَ والعداوةَ مناصبة: أظهره له...)[٣].

وعند الرافضة كل من لم يبغض أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقد أبغض علياً؛ لأنه لا ولاء لعلي إلاَّ بالبراءة منهما، ثم جعلوا كل من أحب أبا بكر وعمر ناصبياً[٤].

ويبرز صاحب كتاب «الزينة» وجهاً آخر لإطلاق لقب «ناصبي» فيقول: (وروت الشيعة في قراءتهم أن جعفر بن محمد رضي الله عنه[٥] قرأ الآية في

= الدكتوراه بعنوان: الإيمان زيادته ونقصه والاستثناء فيه. وللدكتور أحمد بن عطية الغامدي دراسة بعنوان: الإيمان بين السلف والمتكلمين، وهي اطروحته لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى.

(١) يريد بالجبت والطاغوت: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كما هو ظاهر.

(٢) المامقاني: تنقيح المقال ١ / ٢٠٧، المقدمة. اقتبسه الشيخ محب الدين الخطيب في تعليقه على المنتقى، للذهبي ص ٦٤ حاشية ١.

(٣) ابن منظور، لسان العرب ١ / ٧٦١.

(٤) انظر: ابن تيمية، الفتاوى ٥ / ١١٢.

(٥) المأثور الترضى عن الصحابة، والترحم على من بعدهم.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصِبْ﴾[1] بكسر الصاد.

وقالوا: إذا فرغت من إكمال الشريعة فانصب لهم علياً إماماً... فقالت. الشيعة: لما أمر الله عز وجل بذلك نصب النبي ﷺ علياً وأشار إليه وأهله للإمامة، وقال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خدله، فمن نازعه في الإمامة، ودعا إلى مخالفته، ونصب إماماً بإزائه غيره؛ فقد ناصب رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنه نَصب علياً، وهذا نصب غيره، وخذل علياً وعاداه وترك نصرته، وصار مع عدوه حرباً عليه، فهو مناصب...؛ لأنه ناصب النبي ﷺ، ففعل مثل فعله)[2].

وقال الإمام الجيلاني في ذلك: (وتسميها الرافضة ناصبية، لقولها باختيار الإمام ونصبه بالعقد)[3]. والرافضة لا ترى ذلك وإنما تذهب إلى أن الأئمة قد نُصَّ عليهم.

وسواء كان وجه التسمية هذا أو ذاك، فإنه لا يقع على أهل السنة؛ لأنهم يعتقدون موالاة وحب أهل البيت، وجميع أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي اللهم عنهم، ولا يناصبون أحداً منهم العداء كما قال الإمام الطحاوي في عقيدته: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلَّا بخير، وحُبُّهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[4].

فقوم هذا اعتقادهم، في أصحاب رسول الله ﷺ بما فيهم أهل بيته، أيصح بعد ذلك أن يُرْموا بالنصب ومعاداة آل البيت. بل الأشبه أن يقع هذا

---

(١) سورة الشرح آية ٧.

(٢) أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، الزينة ص ٢٥٨.

(٣) انظر: الغنية ص ٨٥.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢٨.

اللقب على خصومهم الذين نبزوهم به؛ لأن الرافضة هم الذين ناصبوا أصحاب رسول الله ﷺ العداء، بل وقالوا بكفرهم وارتدادهم بعد وفاة النبي ﷺ عدى قلة منهم تعد على الأصابع كما سيأتي توضيح ذلك في موضعه بإذن الله.

٧) العامَّةُ، والجمهور:

العامَّةُ: خلاف الخاصة[١].

وهٰذا اللقب مما انفرد الرافضة بإطلاقه على أهل السنة، فيجعلون أنفسهم الخاصة، المؤمنين، ويعدون أهل السنة «عامة» لا خلاق لهم بل هم عندهم كفار ونجس، لا تحل ذبائحهم، وتستباح دماؤهم وأموالهم[٢].

وهٰذه بعض نصوص القوم من كتبهم توضح في جلاء إطلاقهم لقب «العامَّة» على أهل السنة.

نقل الخونساري في كتاب «روضات الجنات» عن صاحب «معالم العلماء» أنه قال في ترجمة أبي نُعيم: (الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني عامي إلا أنّ له منقبة الطاهرين ومرتبة الطيبين»، كما نقل عن محمد حسين الخاتون آبادي قوله: وممن اطلعت على تشيعه من مشاهير علماء العامَّةِ هو الحافظ أبو نعيم. . .)[٣]. يريد بقوله «عامي» و «من العامة» أنه من أهل السنة[٤].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ١٢ / ٤٢٦.

(٢) انظر: الخميني، تحرير الوسيلة ١ / ١١٨، و٢ / ١٤٦، ٢ / ١٣٦و١ / ٣٥٢، ط: الثالثة ١٣٩٧هـ.

(٣) ١ / ٢٧٣ - ٢٧٤. اقتبسه د. علي ناصر فقيهي، انظر: مقدمته لكتاب الإمامة لأبي نعيم ص ١٦١.

(٤) انظر: تعليق د. علي ناصر فقيهي على ذلك في مقدمته لكتاب الإمامة ص ٢٦١ حاشية (١).

وهٰذا علي أكبر الغفاري صاحب التعليقات على كتاب «الكافي» للكليني يصف من قدح في كتاب الكافي ومؤلفه بأنه من العامة، فيقول: (أقول: هٰذه مقالات أساطين العلم، وأعلام الدين وعمد المذهب في شأن الكليني... ومقامه الأسنى فلا يفتنك قول أناس من أصاغر المتأخرين الذين أسلسوا للعصبية المذهبية قيادهم من «العامَّةِ» في قدح الكليني والتحامل على كتابه «الكافي»...)[1]. ولا يريد بالعامة سوى أهل السنة.

وليس هٰذا شأن متقدمي الرافضة فحسب، بل سار على نهجهم متأخروهم ممن لهم فيهم مكانة عالية وتقدم في العلم والإمامة، ومن هٰؤلاء الآية العظمى عندهم، وأستاذ الحوزة والمرجع الديني الأعلى إمامهم خميني إذ يقول في تقسيمات التقية: (ومنها التقسيم بحسب المتقى منه، فتارة تكون التقية من الكفار وغير المعتقدين بالإسلام سواء كانوا من قبيل السلاطين والرعية، وأخرى تكون من سلاطين العامّة وأمرائهم، وثالثة من فقهائهم وقضاتهم ورابعة من عوامِّهم، وخامسة من سلاطين الشيعة أو عوامِّهم، إلى غير ذلك.

ثم إن التقية من الكفار وغيرهم قد تكون في إتيان عمل موافقاً للعامَّة كما لو فُرِضَ أنّ السلطان ألزم المسلمين على العمل بفتوى أبي حنيفة...)[2].

فأطلق لقب العامّة وأراد به أهل السنة الذين يُعَدُّ أبو حنيفة إماماً من أئمتهم المشهورين.

وقد أطلق الخميني لقب العامّة على أهل السنة في نصوص أخرى، لا نطيل بنقلها هنا[3].

---

(١) انظر: مقدمته لكتاب الكافي ١ / ٨.

(٢) انظر: الرسائل، رسالة في التقية ص ١٧٥، (ط. مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٨٥هـ).

(٣) انظر: كشف الأسرار ص ١٧١ ـ ١٧٢.

يقول الدكتور الصباغ: (ولو أردنا أن نناقش القائلين بهٰذه التسمية ونسألهم عن مسوغات إطلاق مثل هٰذا اللقب على من كان متبعاً لسنة رسول الله ﷺ لأعياهم الجواب، والحق أن هٰذه التسمية بهم ألصق؛ لأن العامي هو الذي يعطل عقله ويصدق كل ما يقال له ولو كان مما يصادم الحس[1]، كما تجد في أقوالهم التي يدعون بها العصمة لغير الأنبياء... وزعمهم أن هناك باطناً للنصوص الدينية غير الظاهر، وأن هٰذا الباطن لا يعرفه إلاَّ أئمتهم...

إنَّ هٰذا وأمثاله من العقائد والسلوك هو الذي يجعل المتصف به جديراً بأن يدعى عامياً)[2].

وأما لقب «الجمهور»، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عن الرافضة أنهم يسمون أهل السنة «الجمهور»[3]، والجمهور في اللغة: الرمل الكثير المتراكم، وجمهور كل شيء معظمه، وجمهور الناس جُلُّهم[4] والمراد به في إطلاق الرافضة عامة الناس وهم غير الأعيان والمتميزين فيهم، فهو بمعنى العامة عندهم ومرادف له.

والحق أنه لا مستند للرافضة في نبز أهل السنة بهٰذه الألقاب، إلا ما تُكِنُّه صدورهم من غل وحقد على أصحاب رسول الله ﷺ ومن اتبعهم بإحسان، وما أشبه قولهم هٰذا بقول أولئك القوم الذين قالوا: ﴿**لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾[5]، وهٰؤلاء قالوا: ليس عليهم في العامَّة سبيل واستباحوا منهم الأنفس والأموال والأعراض. يقول الخميني: (والأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في

(١) بل والنص أيضاً، فإن القوم لا عقل لهم صريح، ولا معهم نقل صحيح.

(٢) د. محمد لطفي الصباغ، أبو نعيم وكتابه الحلية ص ٤٩ حاشية (٢)، ط. الثانية ١٣٩٨هـ.

(٣) انظر: الفتاوى ٣ / ١٨٦، وبيان تلبيس الجهمية ١ / ٢٤٤.

(٤) ابن منظور: لسان العرب ٤ / ١٤٩.

(٥) سورة آل عمران آية ٧٥.

إباحة ما اغتنم منهم وتعلق الخمس به، بل الظاهر جواز أخذ ماله أين وجد وبأي وجه كان. . .)[1].

والناصب ـ عندهم ـ كما تقدم لنا هو كل من تولى أبا بكر وعمر وقال بإمامتهما وقدمهما في الخلافة والرتبة على علي رضي الله عنهم أجمعين، وهٰؤلاء هم أهل السنة وهم الذين يطلق عليهم الرافضة العامّة والجمهور.

٨) حَشْوِيَّةٌ:

وهٰذا اللقب من أشنع الألقاب التي نبزهم بها مخالفوهم، وهو بسكون الشين من:

الحشْو: وهو أن يُودَع الشيءُ وعاءً باستقصاء، يقال: حشوته أحشوه حشواً. . . ويقال: فلان من حشوة بني فلان أي: من رُذَالهم، وإنما قيل ذلك؛ لأن الذي تحشى به الأشياء لا يكون من أفخر المتاع، بل أدونِه[2].

وفي «اللسان»: (والحشو من الكلام: الفضل الذي لا يعتمد عليه، وكذٰلك هو من الناس، وحشوة الناس رذالتهم. . . وفلان من حِشوة بني فلان بالكسر: أي من رذالهم)[3].

وبفتح الشين من: حشَا: والحشا الناحية[4]، وحاشية كل شيء جانبه وطرفه[5].

وهو في اصطلاح من أطلقه يراد به أحد المعاني الآتية:

---

(١) تحرير الوسيلة ١ / ٣٥٢.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٢ / ٦٤.

(٣) ١٤ / ١٨٠.

(٤) ابن فارس: مجمل اللغة ١ / ٢٣٥، ومعجم مقاييس اللغة ٢ / ٦٥.

(٥) ابن منظور، لسان العرب ١٤ / ١٨٠.

١) يراد به العامة الذين هم حشو الناس[١]، ورذالتهم وجمهورهم، وهم غير الأعيان والمتميزين، وهم عند الشيعة والروافض السواد الأعظم من هٰذه الأمة، كما جاء في (فرق الشيعة: للنوبختي) حيث نبز كلَّ من لم يقل بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي ﷺ بأنه من أهل الحشو: «فلما قتل علي رضي الله عنه ـ التقت الفرقة التي كانت معه والفرقة التي كانت مع طلحة والزبير وعائشة ـ (رضي الله عنهم) ـ فصاروا فرقة واحدة مع معاوية بن أبي سفيان؛ إلا القليل منهم من شيعته[٢] ومن قال بإمامته بعد النبي ﷺ ـ وهم السواد الأعظم وأهل الحشو واتباع الملوك وأعوان كل من غلب؛ أعني الذين التقوا مع معاوية. . .»[٣].

٢) يراد به: رواة الأحاديث من غير تمييز لصحيحها من سقيمها:

قال ابن الوزير: (فإن الحشوية إنما سُموا بذٰلك؛ لأنهم يحشون الأحاديث التي لا أصل لها في الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ؛ أي: يدخلونها فيها وليست منها).

ونقل عن صاحب كتاب[٤] «ضياء الحلوم» قوله: (إن الحشوية سموا بذٰلك لكثرة قبولهم الأخبار من غير إنكار[٥]).

وقد بين ابن الوزير براءة أهل الحديث والسنة من هٰذا اللقب فقال: (. . . فأكثر عامة المسلمين لا يدرون مَنْ الحشوية؟ ولا يعرفون أنّ هٰذه النسبة غير

---

(١) انظر: ابن تيمية: منهاج السنة ٢ / ٤١٥ ـ ٤١٦، (بتحقيق محمد رشاد سالم، ط. المدني).

(٢) لم يكن في الصحابة شيعة بالمعنى المتعارف عليه عند الرافضة.

(٣) ص ٦، بتصحيح هـ. ريتر. (ط. الدولة ـ استانبول ١٩٣١م).

(٤) وهو: محمد بن نشوان بن سعيد الحميري. انظر: الروض الباسم ١ / ١٢٠، (ط. دار المعرفة ـ بيروت ١٣٩٩هـ).

(٥) انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ١ / ١٢٠.

مرضية . . . ومن كان له أدنى تمييز عرف أن نُقَّاد الحديث وأئمة الأثر هم أعداء الحشوية وأكره الناس لهٰذه الطائفة الغوية . . .)[1] .

وقال أبو حاتم ـ أحمد بن حمدان ـ الرازي : (ومن ألقابهم ـ أي : أهل السنة ـ الحشوية : لقبوا بذٰلك ؛ لاحتمالهم كل حشو رُوِيَ من الأحاديث المختلفة المتناقضة . . . حتى قال فيهم بعض الملحدين : يروون أحاديث ثم يروون نقيضها ، ولروايتهم أحاديث كثيرة مما أنكره عليهم أصحاب الرأي وغيرهم من الفرق في التشبيه[2] وغير ذٰلك . . . فلقبوهم الحشوية بذٰلك)[3] .

٣) يراد به معنى : التجسيم : كما نقل التهانوي عن السبكي أنهم سُمُّوا بذٰلك ؛ لأن منهم المجسمة أو هم هم . والجسم حشو[4] .

ونسب ابن القيم لجهلة الجهمية أنهم لقبوا أهل السنة بذٰلك ؛ لأنهم ـ بزعمهم ـ جعلوا ربهم حشو هٰذا الكون بإثباتهم له صفة الفوقية والاستواء وأنه في السماء[5] .

فهٰذه المعاني الثلاثة أو أحدها هي المسوغات التي اعتبرها مخالفوا أهل السنة وهم ينبزونهم بهٰذا اللقب الجائر .

فعند الرافضة كل من لم يقل بإمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الرسول ﷺ مباشرة فهو حشوي ؛ أي : من عامة الناس وسقطهم .

---

(١) انظر : الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ١ / ١٢٠ .

(٢) يريد أحاديث الصفات ، وأهل السنة لم يقولوا إلاَّ بما صح عندهم منها فآمنوا به واعتقدوا ما دل عليه ، وما أنكر ذٰلك عليهم إلا معروف ببدعة .

(٣) انظر كتاب : الزينة ، ملحق بكتاب : الغلو والفرق الغالية ، للدكتور عبد الله سلوم السامرائي ص ٢٦٧ .

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد علي الفاروقي ، (بتحقيق د . لطفي عبد البديع ٢ / ١٦٧ ، ط . المؤسسة المصرية للتأليف) .

(٥) راجع : النونية بشرح الهراس ١ / ٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

وعند المعتزلة كل من أثبت الصفات، وأثبت القدر فهو من حشو الناس وعامتهم فلا يعتد بكلامهم في العقيدة؛ لأنهم لم يتعمقوا تعمقهم في التأويل، ولا ذهبوا مذاهبهم في الإنكار والتعطيل، فكل من آمن بظواهر النصوص وأثبت ما دلت عليه، ولم يشتغل بصرفها، وتأويلها، فهو عندهم حشوي بعيد عن التحقيق.

وكذلك الأمر عند الأشاعرة والماتريدية فكل من أثبت الصفات الخبرية ولم يؤولها ويصرفها عن ظاهرها، عدوه حشوياً، كما سيتضح لنا ذلك من ذكر نماذج من أقوال الفرق التي نبزت أهل السنة والأثر بهذا اللقب.

● الفِرَقُ التي نبزت أهل السنة بلقب «الحشوية» ونماذج من أقوالهم:

يُعَدُّ هذا اللقب من أكثر الألقاب ذيوعاً ووروداً في كتب مخالفي أهل السنة، وذلك لكثرة الفرق التي رمت أهل السنة به، فلا أدري أهو مما تواصوا به، أم تشابهت قلوبهم، فاتفقت أقوالهم على وصم أهل السنة والأثر به؟ وسأورد فيما يأتي ذكر الطوائف والفرق التي رمتهم بذلك مع ذكر نماذج من أقوالهم التي يتضح منها أنهم يعتبرون القول بما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة في باب الصفات حشواً والقائلين بذلك حشوية.

١) المعتزلة:

وهم أول من تولى كبر ذلك، إذ أول من عرف أنَّه تكلم في الإسلام بهذا اللفظ عمرو بن عبيد[1] (٨٠ ـ ١٤٤هـ) رئيس المعتزلة ـ فقيههم وعابدهم ـ[2]

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٣.

(٢) وهناك رأي آخر يقول إن أول من أطلق لفظ «الحشوية» هو الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وأنه أطلقه على أناس كانوا يجلسون في حلقته فلما أنكر كلامهم قال: ردوهم إلى حشو الحلقة أو حشا الحلقة، وأقدم من وقفت عليه ذكر ذلك: ابن النجار (ت ٩٧٢هـ) في شرح الكوكب المنير ٢ / ١٤٧، ط. جامعة أم القرى، والسبكي فيما نقله عنه التهانوي في كشاف اصطلاحات =

فإنــه ذكـر له عن ابن عمـر[1] شيء يخـالف قولـه؛ فقـال: (كـان ابن عمـر حشوياً. . .)[2]، وقال ابن العماد في «ترجمته»: (وكانت له جرأة فإنه قال عن ابن عمر: هو حشوي. ـ قال ـ: فانظر هٰذه الجرأة والافتراء عامله الله بعدله)[3].

وذكر ابن جرير عن الخليفة العباسي المأمون (١٧٠ ـ ٢١٨هـ) الذي تبنى قول المعتزلة في خلق القرآن. أنه نبز مخالفيه بأنهم حشو رعاع فقال في كتابه إلى إسحاق بن إبراهيم[4] في امتحان القضاة والمحدثين: (. . . وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم، والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ممن لا نظر له ولا روية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته. . . ـ إلى أن قال ـ: وذٰلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن فأطبقوا مجتمعين، واتفقوا غير متعاجمين على أنه قديم أول لم يخلقه الله ويحدثه ويخترعه)[5].

وظـل المعتـزلة يتوارثون نبز أهل السنة والحديث بلقب «الحشوية» في مؤلفاتهم ومقالاتهم، فها هو القاضي عبد الجبار مؤلف أهم مصنفات المعتزلة التي وصلت إلينا بعد كتاب «الانتصار للخياط» يصم أهـل السنة بهٰذا اللقب

= الفنون ٢ / ١٦٧، لكن النص لم يبين لنا من هم هٰؤلاء الذين قال فيهم الحسن ذٰلك، ولا القول الذي قالوه حتى قال فيهم ما قال، وإن كان الكوثري ذكر أن هٰؤلاء الذين قال فيهم الحسن ذٰلك قوم من رعاع الرواة، وأنهم تكلموا بالسقط، ولا أدري من أين له ذٰلك؛ لأني لم أجد من ذكره غيره، لذا أعرضت عنه. انظر: تبيين كذب المفتري ص ١١.

(١) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابي الجليل.

(٢) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية ١ / ٢٤٤، وانـظر: منهاج السنة ٢ / ٤١٦، ط. المدني، والفتاوي ٣ / ١٨٦.

(٣) شذرات الذهب ١ / ٢١١.

(٤) وهو: إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي أمير بغداد، على يده امْتُحِنَ العلماءُ بأمرِ المأمون في خلق القرآن. مات سنة خمس وثلاثين ومائتين. الذهبي، سير أعلام النبلاء ١١ / ١٧١.

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٨ / ٦٣٢،(بتحقيق أبي الفضل إبراهيم، دار سويدان ـ بيروت).

كُلَّما عنت له سانحة فيقول في «شرح الأصول الخمسة»: (فقد ذهبت الحشوية والنوابت[1] من الحنابلة إلى أن هٰذا القرآن المتلو في المحاريب، والمكتوب في المصاحف غير مخلوق ولا محدث. . .)[2].

ويقول فيه أيضاً: (. . . فلسنا نقول في الصراط ما يقوله الحشوية من أن ذٰلك أدق من الشعر وأحد من السيف، وأن المكلفين يكلفون اجتيازه والمرور به، فمن اجتاز به فهو من أهل الجنة. . .)[3].

ويقول في كتاب آخر له: (وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[4] لا يدل على ما تقوله الحشوية في أنه تعالى يُرى يوم القيامة بأن يرفع عنه الحجب للمؤمنين فيروه. . .)[5].

ويقول في مصنف ثالث: (واعلم أن القوم على فرق، ففيهم من يجعل كلام الله هٰذا المسموع، وكذٰلك كلام أحدنا ما هو بهٰذه الصفة، ولكنه يقول في كلامه تعالى خاصة إنه غير مخلوق ولا محدث، ويَقِرُّ في كلامنا بذٰلك فهٰؤلاء هم الحشوية، وإلى ذٰلك ذهب أحمد بن حنبل. . .)[6].

فهٰذه أمثلة من كلامه في ذٰلك وإلَّا فالشواهد كثيرة، والمقصود بيان أنه يُطْلِقُ لقبَ «الحشوية» على «أهل السنة والجماعة»؛ لأنهم هم أصحاب الأقوال التي عدها حشواً.

---

(١) سيأتي تعريفها والكلام على نبز أهل السنة بذٰلك. انظر ص ١٥١.

(٢) ص ٥٢٧.

(٣) ص ٧٣٧.

(٤) سورة المطففين آية ١٥.

(٥) انظر: متشابه القرآن ص ٦٨٣، (بتحقيق عدنان زرزور، نشر: دار التراث بالقاهرة).

(٦) انظر: المحيط بالتكليف ص ٣٠٨، (بتحقيق عمر السيد عزمي، نشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر).

٢) الرافضة:

وقد تقدم نقل كلام النوبختي في ذٰلك، وكلام أحمد بن أبي حاتم صاحب كتاب «الزينة»[١].

٣) الأشاعرة:

فقد تلقوا هٰذه التركة عن المعتزلة، فنراهم يتابعونهم على ما درجوا عليه من نبز أهل السنة والأثر بهٰذا اللقب الجائر، وهٰذه ثُلَّةٌ من أقوالهم في ذٰلك:

يقول أبو المعالي الجويني: (وذهبت الكرامية وبعض الحشوية إلى أن الباري تعالى عن قولهم متحيز مختص بجهة فوق. . .)[٢].

وقصد بالحشوية من أثبت الفوقية لله عز وجل وهم أهل السنة والحديث كما أشار المحقق في الحاشية[٣].

وإن كان أهل السنة والحديث لم ينطقوا بلفظ التحيز والجهة نفياً ولا إثباتاً كما هو منهجهم، وإنما أثبتوا لله ما أثبته لنفسه من الفوقية.

وهٰذا الإمام الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ) يجعل من أثبت رؤية الله عز وجل في جهة حشوياً[٤].

والآمدي (٥٥١ ـ ٦٣١هـ) يعد من قال بقول أهل السنة في الإيمان حشوياً فيقول: (وبهٰذا يتبين فساد قول الحشوية: إنَّ الإيمان هو: التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان. . .)[٥].

---

(١) راجع ص ١٤٢، ١٤٣.

(٢) الإرشاد ص ٣٩.

(٣) نفس المصدر والصفحة حاشية رقم (٤).

(٤) انظر: الاقتصاد ص ٤٨.

(٥) انظر: غاية المرام في علم الكلام، (بتحقيق حسن محمود عبد اللطيف ص ٣١١، ط. القاهرة ١٣٩١هـ).

وعـد محققُ الكتاب الآمديَّ غيرَ موفق في تسمية أهل السنة والحديث بالحشوية[1]. وهو كما قال.

وهٰـذا حامـل لواء الأشعـرية في العصر الحديث محمد زاهد الكوثري (١٢٩٦ ـ ١٣٧١هـ) يقـول في تعليقـه على كتـاب «الـرد على أهـل الأهواء والبدع»، للملطي: نَفْيُ أن يكون الله متمكناً في السماء مذهب أهل الحق وكذا نفي الفوقية الحسية بخلاف معتقد الحشوية. . .)[2] يقصد أهل السنة فإنهم هم الذين يعتقدون الفوقية الحسية لله عز وجل.

وفي مقدمته لكتاب «السيف الصقيل» ينبز أئمة السلف ـ الذين يدعو ابن تيمية إلى تقرير عقيدتهم ـ بأنهم «حشوية»[3] وكلامه في ذٰلك كثير في تعليقاته على «السيف الصقيل» و«الرد على أهل الأهواء» و«تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري» لابن عساكر.

٤) **الماتريدية**:

وهي صنو الأشعرية، وشريكتها في إرث تركة المعتزلة، ورمي أهل السنة بألقـاب السوء، وها هو شيخ الماتريدية ومؤسسها الأول أبو منصور الماتريدي يصم من يعد الأعمال داخلة في مسمى الإيمان بأنه حشوي فيقول في تعريف الإرجاء: (ثم اختلف في المعنى الذي سمي به من سمى مرجئاً بعد اتفاق أهل اللسان على الإرجاء أنه التأخير. . .

قالت «الحشوية»: سميت المرجئة بما لم يسموا كل الخيرات

---

(١) نفس المصدر السابق والصفحة حاشية (٣).

(٢) انظر: الرد على أهل الأهواء والبدع ص ٩٧ حاشية (١).

(٣) انظر: السيف الصقيل للسبكي. مقدمة الكوثري ص ٥ قال فيها: «إلى أن نبغ في أواخر القرن السابع بدمشق حراني ـ يقصد: شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تجرد للدعوة إلى مذهب هٰؤلاء الحشوية. . .».

إيماناً. . .)[1].

٥) الخوارج:

نسب ذٰلك إليهم الإمام أحمد بن حنبل فقال في كتاب «السنة» في معرض حديثه عما أحدثه أهل الأهواء والبدع والخلاف من أسماء شنيعة قبيحة سموا بها أهل السنة؛ فقال: (وأما الخوارج فيسمون أهل السنة: نابتة وحشوية)[2].

وللرد على هٰؤلاء جميعاً نقول:

أولاً: إنَّ هٰذا اللقب لقب مبتدع ما أنزل الله به من سلطان فليس هو في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، ولا نطق به أحد من سلف الأمة وأئمتها نفياً ولا إثباتاً، فالذم به ذم للناس بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان بل هو من قبيل التنابز بالألقاب المنهي عنه[3].

ثانياً: إنَّ الطائفة إنما تتميز باسم رجالها أو بنَعْتِ أحوالها فالأول كما يقال: الجهمية، نسبة للجهم بن صفوان، والكلابية، نسبة لابن كلاب، والأشعرية، نسبة للأشعري، والثاني: كما يقال: الرافضة، لرفضهم زيد بن علي، والقدرية لقولهم بالقدر، والمرجئة لقولهم بالإرجاء في الإيمان، أما لفظ الحشوية فليس فيه ما يدل على شخص معين ولا مقالة معينة[4].

ثالثاً: أنكم نبزتم أهل السنة بهٰذا اللقب؛ لأنهم بزعمكم يرْوُون الأحاديث بلا تمييز ولا إنكار. وهٰذا خلاف الواقع، فإن أهل الحديث والسنة هم الذين اختصوا بالذب عن السنة، وميزوا صحيحها من سقيمها، ثم إنكم أيها

---

(١) انظر: كتاب التوحيد، لأبي منصور الماتريدي، ص ٣٨١ (بتحقيق د. فتح الله خليف، المكتبة الإسلامية ـ تركيا).

(٢) ص ٤٠.

(٣) راجع ابن تيمية، الفتاوى ٤ / ١٤٦.

(٤) راجع منهاج السنة ٢ / ٤١٤ بتصرف ط. المدني.

المخـالفـون أحق بهٰـذا اللقب؛ لأنكم تستشهـدون لمـذهبكم بما يؤيده من الأحـاديث وإن كان ضعيفاً أو موضوعاً عند أهل الفن؛ ولأنكم تحشون أقوالكم ومصنفاتكم بالكلام الذي لا تعرف صحته، بل يعرف بطلانه لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

رابعاً: أما معنى التجسيم الذي نبزتم أهل السنة بالحشو لأجله، فإنه ليس في قول أهل السنة تجسيم؛ لأنهم إنما أثبتوا لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من الصفات، مع نفي المشابهة والمماثلة للمخلوقات، ثم إن لفظ التجسيم عندهم من الألفاظ المبتدعة فلم ينطقوا به نفياً ولا إثباتاً.

خامساً: أنه ينبغي أن ينظر في الموسومين بهٰذا الاسم وفي الواسمين لهم به أيهمـا أحق. وقـد علم أن هٰذا الاسم مما اشتهر عن النفاة ممن هم مظنة الزندقة، كما ذكر العلماء ـ كأبي حاتم وغيره ـ أن علامة الزنادقة تسميتهم لأهل الحديث حشوية[1].

يكفي أن نعرف أن أول الواسمين به هو عمرو بن عبيد زعيم المعتزلة كما تقـدم، وأنّ أوَّلَ المـوسومين به هو (عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما) الصحابي الجليل. ثم أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة رحمة الله عليه. لتعلم منزلة الواسم والموسوم.

فعمرو بن عبيد رأس في البدعة والاعتزال، وعبد الله بن عمر صحابي ابن صحابي. من أكثر الصحابة رواية وحفظاً لسنة رسول الله ﷺ وبذٰلك نقم عليه ابن عبيد، وعَدَّه حشوياً لكثرة روايته؛ لأن المعتزلة أعداء الحديث والأثر، والإمام أحمد هو من هو في الإمامة والتقدم في العلم والسنة.

ثم وَرِثَ كلاً من الـواسم والموسوم اتْبَاعُه ومن هم على نهجه، فورث عمرو ابن عبيد في نبز أهل السنة بهٰذا اللقب، أهلُ البدعة والخلاف، وورث

(١) انظر: ابن تيمية، الفتاوى ٤ / ٨٨.

عبدَ الله ابن عمر والإمامَ أحمد أهلُ السنة والجماعة وأنى يستوي الأرثان[1] هٰذا إرث هدي وسنة، وذاك إرث ضلالة وبدعة.

٩) نابتة أو نوابت:

وهــو لغــة: من النبت، والنــابت من كل شيء: الـطَّرِيّ حين ينبت صغيراً. . . ونبتت لهم نابتة: إذا نشأ لهم نشأ صغار، وإنّ بني فلان لنابتة شر، والنوابت من الأحداث: الأغمار. . .[2].

واصطلاحاً: لقب أطلقه أهل الكلام على أهل السنة والأثر، يعنون أنهم أحداث أغمار: لا خبرة لهم بعلم الكلام ولا دراية لهم به، وأنهم نابتة شر نبتوا في الإسلام بأقوال بدعية[3] لقولهم بما دلت عليه الأحاديث والآثار. التي يزعم أهل الكلام أن القول بها يفضي إلى التشبيه والتجسيم.

من أطلق هٰذا اللقب:

هٰذا اللقب من الألقاب التي يُكْثِر أهلُ الكلام من رمي أهل السنة بها.

١) **فالمعتزلة**: من أولى الفرق التي وصمتهم به، يقول الخياط: (. . . إن أبا الهذيل لما صح عنده أنّ الله عالم في الحقيقة وفَسَدَ عنده أن يكون عالماً بعلم على ما قالته النابتة. . .)[4].

فجعل الذين يقولون: إن الله عالم بعلم، وهم أهل السنة «نابتة»[5].

٢) **الخوارج**: نسب إليهم الإمام أحمد في «السُّنة» أنهم سموا أهل السنة «نابتة»[1].

---

(١) انظر: شرح النونية للهراس ١ / ٣٣٥، (ط. الفاروق الحديثة ـ مصر).

(٢) انظر: لسان العرب ٢ / ٩٦.

(٣) وانظر: شرح النونية للهراس ١ / ٣٣٦.

(٤) انظر: الانتصار ص ٥٩.

(٥) ص ٤٠، وانظر: ص ١٤٩ من هٰذا المبحث.

١٠) غُثَاء، وغُثَراء:

فالغثاء: ما يحمله السيل من القمش. . . وهو أيضاً الزبد والقذر[١].

ويقال لسفلة الناس: الغثاء تشبيهاً بما ذكر[٢].

والغثراء: قال ابن فارس: الغين والثاء والراء. . . يدل على تجمع من ناس غير كرام، يقولون: الغثراء: سفلة الناس. . .[٣].

وهذا المعنى اللغوي لكل من اللفظين، هو ما لحظه أهل الكلام عندما نبزوا أهل السنة بهما، فعندهم أن أهل السنة سفلة الناس وسقطهم، فهم كالغثاء الذي لا نفع فيه.

وهٰذا معنى وملحظ مشترك بين كثير من الألقاب التي أطلقها أهل الكلام على أهل السنة والأثر كما تقدم.

وبعد؛ فكل هٰذه الألقاب ألقاب مبتدعة، ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يلحق أهلَ السنة والأثر شيء منها عند التحقيق، فإن أهل السنة هم خيار الناس وأفاضلهم لاتباعِهم في أمور دينهم سُنَّةَ نبيهم ﷺ وآثارَ السلف الصالح، وابتعادهم عن الابتداع والبدعة والقول في دين الله بغير دليل من كتاب أو سنة أو إجماع، بخلاف أهل البدع الواسمين لهم بهٰذه الألقاب؛ فإنهم أصحاب فرقة وخلاف وابتداع، ومن علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر والحَطُّ عليهم والنيلُ منهم بغير حق، للإزراء بهم والتنفير منهم. والله يحكم بين الجميع يوم لقائه، وسيعلم الذين ظلموا حينئذ أي منقلب ينقلبون؟

●●●●●

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب ١٥ / ١١٥ ـ ١١٦.

(٢) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٤ / ٤١٣.

(٣) نفس المصدر ٤ / ٤١٢.

الباب الأول

وسطية هٰذه الأمة

وفيه ثلاثة فصول :

ـ الفصل الأول : عدالة هٰذه الأمة .

ـ الفصل الثاني : خيريَّةُ هٰذه الأمة .

ـ الفصل الثالث : اعتدال هٰذه الأمة وتوسطها بين طرفي الإفراط والتفريط والغلو والتقصير .

بين يدي هٰذا الباب

قبـل بدء القول في فصول هٰذا الباب ومباحثه أود أن أوضح ثلاثة أمور يحسن أن نلقي الضوء عليها.

الأمر الأول: علاقة وسطية هٰذه الأمة بوسطية أهل السنة.

الأمر الثاني: معاني الأمة والمراد منها في موضوعنا.

الأمر الثالث: التذكير بمعنى الوسطية والتركيز على معنى الوسطية المثبتة لهٰذه الأمة.

فأما الأمر الأول: وهو العلاقة بين وسطية هٰذه الأمة ووسطية أهل السنة

فاعلم أن وسطية أهل السنة والجماعة في هٰذه الأمة، إنما هي في حقيقتها امتـداد لوسـطية هٰذه الأمـة وعـدالتها وخيريتها، بل إن أهل السنة الذين هم أصحـاب رسول ﷺ ومن تبعهم بإحسان من هٰذه الأمة على ما كانوا عليه من الهدي والتمسك بالكتاب والسنة هم النموذج لهٰذه الأمة، التي أثنى الله عليها خيراً فقال: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾[1].

وقال: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ**

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣.

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

فعند تَنَزُّل هٰذه الآية الكريمة، كان أصحاب رسول الله ﷺ هم الأمة. ولذٰلك قال السلف إن المراد بـ «الأمة» الصحابة عامة، أو بعض فئات منهم[2].

فالصحابة رضوان الله عنهم، ثم من اتبعهم واقتدى بهم واهتدى بهديهم ممن جاء بعدهم من القرون يمثلون الأمة الوسط المذكورة والمعنية في الآية الكريمة.

ثم لمَّا بدأ التفرق والخلاف في هٰذه الأمة في أواخر عهد الصحابة لعوامل كثيرة ـ سنعرض لها في موضعها إن شاء الله تعالى ـ انحرف أكثر فرق الأمة عن الصراط المستقيم، وأخذت بهم السبل ذات اليمين وذات الشمال. بين غال، وجاف، ومُفْرِط ومفَرِّط، فانحطت وسطية هٰذه الفرق بقدر إفراطها وتفريطها وغلوها وجفوها، وبقدر ما ابتعدت عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، على أنه لا يزال اسم الأمة يصدُقُ على الجميع لقوله ﷺ في حديث الافتراق: (وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)[3] فجعلهم جميعاً أمته مع تفرقهم وكونهم في النار إلا واحدة، كما أخبر ﷺ.

ولا يزال فيهم من الخير والوسطية والعدالة، أكثر مما في غيرهم من فرق الأمم السابقة، فعموم الوسطية ثابت لهم على غيرهم؛ لأن كل شر فيهم فهو في غيرهم من فرق الأمم السابقة أكثر وأعظم، وكل خير وفضل في فرق الأمم السابقة ففي فرق هٰذه الأمة ما هو خير منه وأعظم.

فالخيرية والوسطية ثابتة لهٰذه الأمة على سائر الأمم، وخير هٰذه الأمة

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠.

(٢) أخرج ذٰلك الإمام ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس وعمر بن الخطاب وعكرمة رضي الله عنهم (٧ / ١٠١ ـ ١٠٢).

(٣) تقدم تخريجه. انظر: ص ٤٨.

وأوسطها وأعدلها أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم لقوله ﷺ: (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[1]. فهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل)[2].

فكل خير وفضل وعدل ثبت لهٰذه الأمة فلأهل السنة والجماعة منه الحظ الأوفر والقدح المُعلَّى.

وعندما تثبت وسطية هٰذه الأمة، وخيرتها وعدالتها، فإنما نثبت كل ذٰلك لأهل السنة بطريق الأولى؛ لأنهم خير هٰذه الأمة وأوسطها. وهم الطائفة التي تتحقق فيها الوسطية المطلقة لهٰذه الأمة.

الأمر الثاني: معنى الأمة:

يأتي لفظ «أُمّة» في لغة العرب لعدة معاني:

أحدها: أنها بمعنى الشريعة والدِّين.

ومنه قوله عز وجل: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنا على أُمَّةٍ**﴾[3]، وقوله: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ**﴾[4].

الثاني: بمعنى: الرجل الذي لا نظير له:

ومنه قوله عز وجل: ﴿**إِنَّ إِبْراهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلهِ حَنِيفاً**﴾[5].

الثالث: بمعنى: الحين من الزمن:

---

(١) تقدم تخريجه. انظر ص ٩٧.

(٢) انظر: الفتاوى ٤ / ١٤٠.

(٣) سورة الزخرف آية ٢٢.

(٤) سورة البقرة آية ٢١٣.

(٥) سورة النحل آية ١٢٠.

ومنه قوله تعالى: ﴿وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[1]، قال الفراء: «أي: بعد حين من الدهر»[2].

الرابع: بمعنى: الجماعة من الناس وغيرهم:

فأما بمعنى الجماعة من الناس:

فمنه قوله عز وجل: **﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾**[3]، وقوله: **﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾**[4]. وقوله: **﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾**[5]، وقوله: **﴿وكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾**[6]، وقوله: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾**[7].

وأما الجماعة من غير الناس:

فمنه قوله عز وجل: **﴿ولاَ طَائِرٍ يَطِيْرُ بِجَناحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾**[8]، وقوله ﷺ: (لولا أنّ الكلاب أمّة من الأمم لأمرت بقتلها)[9][10].

---

(1) سورة يوسف آية ٤٥.

(2) ابن منظور، لسان العرب ١٢ / ٢٧.

(3) سورة القصص آية ٢٣.

(٤) سورة البقرة آية ١٢٨.

(٥) سورة البقرة آية ١٣٤.

(٦) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٧) سورة آل عمران آية ١١٠.

(٨) سورة الأنعام آية ٣٨.

(٩) ت: كتاب الأحكام والفوائد، باب ما جاء في قتل الكلاب ٤ / ٧٨، ح ١٤٨٦، من حديث عبد الله بن مغفل. وقال الترمذي: حديث عبد الله ابن مغفل حسن صحيح ٤ / ٧٩، وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح جامع الترمذي ٢ / ٨٥، ح ١٢٠١.

(١٠) انظر هٰذه المعاني في: لسان العرب ١٢ / ٢٢ ـ ٢٧ مادة: «أمم».

المراد بالأمة في الاصطلاح الشرعي:

يراد بالأمة في لسان الشارع. أحد أمرين:

الأول: أُمَّةُ الدعوة.

الثاني: أمَّةُ الإجابة.

يقول الإمام النووي رحمه الله: «لفظ الأمة يطلق على معان منها:

١) من صدّق النبي ﷺ، وآمن بما جاء به، وتبعه فيه وهٰذا هو الذي جاء مَدْحه في الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾، ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ**﴾، وكقوله ﷺ: (شفاعتي لأمتي)[١] وقوله: (تأتي أمتي غُرّاً محجلين)[٢] وغير ذٰلك.

٢) ومنها: مَنْ بُعِثَ إليهم النبي ﷺ من مسلم وكافر، ومنه قوله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هٰذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلَّا كان من أصحاب النار) رواه مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان[٣].»[٤].

فالمراد بالأمة الوسط في قوله عز وجل: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾ أُمَّة الإجابة، وهم كل من أجاب دعوة الرسول ﷺ، وآمن به واتبعه، على تفاوت بينهم في الإصابة من هٰذا الثناء كما تقدمَتْ الإشارة إلى ذٰلك.

---

(١) خ: كتاب التوحيد، باب المشيئة والإرادة ١٣ / ٤٤٧، ح ٧٤٧٤.

(٢) خ: كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء، والغر المحجلون من آثار الوضوء ١ / ٢٣٥، ح ١٣٦، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل ١ / ١٣٤، ح ٢٤٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: تهذيب الأسماء واللغات ٣ / ١١.

الأمر الثالث: معاني الوسطية المثبتة لهٰذه الأمَّة:

تقدم في أول التمهيد شـرح معنى الوسط والتوسط في اللغة، وفي لسان الشـرع. وأريد هنـا أن أبين معـاني الوسطية المثبتة لهٰذه الأمة في قوله تبارك وتعـالى: ﴿وكَـذٰلِـكَ جَعَلْنَـاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيْداً﴾[1].

فالذي يتلخص لنا مما تقدم[2] أن للوسطية المشار إليها في الآية الكريمة ثلاثة معان:

المعنى الأول: العدالة:

وهٰذا المعنى نَصّ عليه النبي ﷺ في تفسير هٰذه الآية فقال بعـد أن تلا الآية: (والوسط: العدل)[3]. وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾، قال: عدولاً)[4]. ورُويَ هٰذا التفسير موقوفاً عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما[5].

ولذٰلك جعل الله هٰذه الأمة شاهدة على الناس، ورتب هٰذه الشهادة على كونها وسطاً؛ أي: عدلاً. إذ العدالة من شروط قبول الشهادة.

والوسط في حقيقته يتضمن معنى العدل وإنما سمي العدل: «وسطاً»؛ لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين.

«فالوسط في الأصل: هو اسم للمكان الذي تستوي إليه المساحة من

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٢) انظر: ص ١٥ وما بعدها.

(٣) خ: كتاب التفسير، سورة البقرة ٨ / ١٧١ ح، وهو طرف من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وسيأتي بتمامه.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣ / ١٤٣، ح ٢١٦٨.

(٥) نفس المصدر ٣ / ١٤٤ ـ ١٤٥.

الجوانب في المدوَّر، ومن الطرفين في المطول، كمركز الدائرة ولسان الميزان من العمود، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط»[1].

فكما أن جميع الجهات تتساوى أبعادها بالنسبة للوسط. فكذلك العدل يتساوى لديه الخصمان ولا يميل إلى إحدهما. فإذا مال لم يكن عدلاً ولا وسطاً.

المعنى الثاني: الخَيْرِيَّةُ:

فمعنى قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾؛ أي: خياراً. قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: (يقول تعالى: إنما حَوَّلْناكم إلى قبلة إبراهيم علي السلام، واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل. والوسط هاهنا: الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسباً وداراً؛ أي: خيرها، وكان رسول الله ﷺ وسطاً في قومه؛ أي: أشرفهم نسباً...)[2] فالوسط من كل شيء خياره، وقد تقدم ذلك في معاني الوسط في اللغة في أول التمهيد[3].

وقد أخبر الله عز وجل عن خيرية هذه الأمة بقوله: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾[4].

المعنى الثالث: أن الوسط في الآية بمعنى الاعتدال والتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط:

وهذا المعنى اختاره الإمام ابن جرير الطبري في تفسير الآية فقال: (وأنا أرى أن «الوسط» في هذا الموضع، هو الوسط الذي بمعنى: الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل «وسط الدار» محرك الوسط مثقله، غير جائز في «سينه

---

(١) أبو البقاء، الكليات ٥ / ٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١ / ٢٧٥.

(٣) انظر: ص ١٥ وما بعدها.

(٤) سورة آل عمران آية ١١٠.

التخفيف» ـ قال: وأرى أن الله تعالى ذِكْرُه إنَّما وصفهم بأنهم «وسط»؛ لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدّلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذَبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها)[1].

وكل من هذه المعاني الثلاثة صحيح، والآية صالحة للجميع، وهي معان متلازمة مترابطة، فالعدول، لا يكونون إلَّا خياراً، بل لا تتوفر العدالة إلَّا في خيار الناس لا في فساقهم وسفلتهم فإنّهم ليسوا مظنة عدالة.

والخيار لا بد أن يتصفوا بالعدالة. فإذا كانوا ظلمة جائرين فليسوا بخيار. وأما التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وبين الغلاة، والجفاة، فإنه عدل واعتدال. وهو خير من الميل إلى أحد الطرفين المذمومين.

وهذه الأمة أمَّةٌ وسط بين الأمم بكل ما تدل عليه كلمة «وسط» من معنى، فهي خير الأمم وأفضلها وأشرفها وأكملها كما أخبر الله بذلك عنها، وهي أعدل الأمم ولذلك أعدها الله لتكون شاهدة على الناس، وهي آخذة بمركز الوسط بين الإفراط والتفريط والغلو والتقصير.

ولتفصيل هذه المعاني الثلاثة للوسطية، جعلت هذا الباب في ثلاثة فصول:

الأول: في عدالة هذه الأمة.

الثاني: في خيرية هذه الأمة وفضلها.

الثالث: في اعتدال هذه الأمة وتوسطها بين طرفي الإفراط والتفريط والغلو والتقصير.

---

(١) جامع البيان ٣ / ١٤٢.

الفصل الأول

عدالة هٰذه الأمة

وفيه أربعة مباحث:

ـ المبحث الأول: في وجوب العدل على هٰذه الأمة وصور من قيامها به.

ـ المبحث الثاني: وصف الله هٰذه الأمة بالعدالة، وشهادته لها بها.

ـ المبحث الثالث: اعتراف أعداء هٰذه الأمة بعدالتها وشهادتهم لها بذلك.

ـ المبحث الرابع: العدل عند أهل الكتاب.



المبحث الأول:

وجوب العدل على هٰذه الأمة وصور من قيامها به

●أولاً: وجوب العدل على هٰذه الأمّة:

العدل من الأسس والقيم التي جاءت بها جميع الشرائع السماوية، فأنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالبَيِّناتِ وأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ والمِيْزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ﴾[1]؛ أي: بالعدل.

فما من كتاب أُنزل، ولا رسول أرسل إلا أمر أمّته بالعدل، وأوجبه عليها، والأمم في ذٰلك ما بين طائع آخذ منه بنصيب، وحائد مائل عن العدل والقسط لجهل أو هوى. والرسل ما تزال ترسل تُجَدِّدُ ما اندرس، وتذكر الناس بما نسوا إلى أن خُتمت الرسالات بخاتم الأنبياء نبينا محمد ﷺ.

ولما كانت هٰذه الرسالة المحمدية خاتمة الرسالات، والنبي ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، وهٰذه الأمّة خاتمة الأمم، والأمّة التي جعلها الله شاهدة على الناس، قيّمة على البشرية، تبلغها دين الله، وتشهد لها بالإيمان أو عليها بالكفر والعصيان. ﴿وكَذٰلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلى النَّاسِ﴾ فقد كان العدل من أهم ما يجب على هٰذه الأمة، بل هو من أعظم ما يميزها عن الأمم.

ولم يكتف الحق تبارك وتعالى بإيجاب العدل على هٰذه الأمة، بل أراد

---

(١) سورة الحديد آية ٢٥.

منها أن تجعله خُلُقاً من أخلاقها، وصفة من صفاتها، وصبغة تصطبغ بها من دون الناس، فأمرها أن تكون قائمة بالعدل، بل قوّامة به بين الناس، لله عز وجل، لا لأيِّ شيء آخر، فلا تحابي فيه قريباً لقرابته، ولا تضار عدواً لعداوته: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**[1].

قال الإمام ابن جرير في تفسير هٰذه الآية: (يعني بذٰلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله، وبرسوله محمد ـ ﷺ ـ ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل، في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي، وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي، واعملوا فيه بأمري)[2].

وقال الحافظ ابن كثير: (أي: كونوا قائمين بالحق لله عز وجل، لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا شهداء بالقسط؛ أي: بالعدل لا بالجور، **﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾**؛ أي: لا يحملنّكم بغض قوم على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقاً كان أو عدواً)[3].

وقال في موضع آخر: «أي: لا يحملنكم بغض أقوام على ترك العدل، فإن العدل واجب على كل أحد في كل أحد في كل حال»[4].

فالعدل الذي أمرت به هٰذه الأمة، حق عام لكل أحد من الناس، لا يحجبه عن مستحقه شنآن ولا عداوة، ولا يحول دونه اختلاف لون ولا جنس بل

---

(١) سورة المائدة آية ٨.

(٢) جامع البيان ١٠ / ٩٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥٨.

ولا دين ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤدُّوا الأماناتِ إلى أَهْلِها وإذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بالعَدْلِ إنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إنَّ اللهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[1].

فالعدل حق لكل الناس جميع الناس، لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب، ولا عدلاً مع أهل الكتاب دون سائر الناس، وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه «إنسان» فهذه الصفة ـ صفة الناس ـ هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني، وهٰذه الصفة التي يلتقي عليها البشر جميعاً، مؤمنين وكفاراً، أصدقاء وأعداء، سوداً وبيضاً، عرباً وعجماً، والأمة المسلمة قيمة على الحكم بين الناس بالعدل ـ متى حكمت في أمرهم ـ[2].

العدل واجب على هٰذه الأمة ولو كان فيه مراغمة لعواطف البغض والعداوة، ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ على ألاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، وهو كذٰلك واجب ولو كا ن فيه مراغمة لكافة عواطف الحب والمودة والقرابة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِيْنَ بالقِسْطِ شُهَداءَ لِلهِ وَلَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ﴾[3]. والأمّة مأمور بأن تقوم بالعدل والقسط والشهادة لله وليس لأحد سواه، وأن يكون ذٰلك منها بدافع التقوى والخوف من الله عز وجل حتى . يصبح الجميع أمام العدل سواء بدون اعتبار لدوافع الحب والولاء والقرابة، أو البغضاء والشنئآن والعداوة؛ لأنها إنما تقوم بالعدل والقسط بين الناس لله وبأمر الله.

والعدل بهٰذه الصورة الشاملة، لم تعرفه البشرية قط إلاَّ على يد هٰذه الأمة، ولم تنعم به البشرية قط إلاَّ تحت حكم الأمة المسلمة.

● ثانياً: قيام هٰذه الأمة بالعدل:

لم يكن العدل في حياة هٰذه الأمة المحمدية الخاتمة مجرد مثُل عليا، أو

---

(١) سورة النساء آية ٥٨.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن ٢ / ٤١٤.

(٣) سورة النساء آية ١٣٥.

وصـايا تفخـر بها، دون ممارسة أو تطبيق، ولكنه كان واقعاً عاشته هٰذه الأمة ومارسته، وطبقته في واقع حياتها، على مرِّ تاريخها الطويل، على تفاوت في ذٰلك التطبيق يبين زمان وزمان، ودولة ودولة، وحسب اشتعال جذوة الإيمان في قلوب الحاكمين وخبوئها، غير أنّه مما يقطع به أنه لم يخل زمان ممن يقيم الحق والعدل ويقوم بالقسط ويحكم به من هٰذه الأمة.

وحسبنـا أن نذكـر فيمـا يلي صوراً من عدل هٰذه الأمة فيما بينها، ومع أعدائها وخصومها، وأهل ذمتها وسنختار هٰذه الصور من واقع الأمّة من خلال تاريخها الطويل. ليُعْلَمَ أن هٰذه الأمة لم تزل قائمة بالقسط بين الناس شاهدة به على الناس لله، وأنها جديرة بأن تكون الأمّة الوسط الشاهدة على البشرية.

وأولى هٰذه الصور نعيشها مع سيد الخلق وإمام العادلين نبينا محمد ﷺ، إمام هٰذه الأمّة ومعلمها الخير، وهو يضرب أروع الأمثلة ويلقن أمته أبلغ دروس العدل والإنصاف والمساواة.

فها هو ﷺ يقيد أحد أصحابه من نفسه في طعنة طعنها إياه بالقدح في بطنـه أثناء تسويته الصـف للقتال، روى ابن إسحاق أنه ﷺ: (عدّل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قِدْح[1] يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية[2]... وهو مستنتل[3] من الصف، قال ابن هشام: ـ ويقال: مُسْتَنْصِل[4] من الصف ـ فطعن

---

(١) القدح (بكسر القاف وسكون الدال): السهم. لسان العرب ٢ / ٥٥٦.

(٢) هو: سواد بن غزية الأنصاري من بني عدي بن النجار... المشهور أنه بتخفيف الواو وحكى السهيلي تشديدها، شهد بدراً، وأمره. النبي ﷺ على خيبر. انظر: ابن حجر، الإصابة ٢ / ٩٥، ترجمة ٣٥٨٢.

(٣) مستنتل: أي: متقدم؛ وهو بمعنى: خارج، يقال: استنتل؛ أي: خرج وتساتل الناس إذا خرجوا. انظر: لسان العرب ١١ / ٣٢٤، مادة (ستل).

(٤) مستنصـل: أي: خارج من نَصَـلَ؛ بمعنى: خرج. لسان العرب أيضاً ١١ / ٦٦٢ (نصل)، وابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٥ / ٦٦.

في بطنه بالقدح، وقال: استو يا سواد، فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: (استقد) قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هٰذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله! حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقاله، له)[1].

وجاء يهودي يشتكي إليه أحد أصحابه قائلاً: (يا محمد! إنَّ لي على هٰذا أربعة دراهم وقد غلبني عليها. قال: أعطه حقه. قال؛ ـ أي: الصحابي ـ: والذي بعثك بالحق؛ ما أقدر عليها، قال: أعطه حقه، قال: والذي نفسي بيده؛ ما أقدر عليها، قد أخبرتُه أنك تبعثنا إلى خيبر فأرجو أن تغنمنا شيئاً فأرجع فاقضيه. قال: أعطه حقه. وكان رسول الله ﷺ إذا قال ثلاثاً لم يراجع . . .)[2].

وكان ﷺ يقيم حدود الله على من وجب عليه ذٰلك في عدل وإنصاف لا تأخذه في الله لومة لائم ولا قرابة قريب أو مكانة شريف، فها هو ﷺ يقسم ـ وهو الصادق المصدوق البار في قسمه ـ: لو أن ابنته سرقت لأقام عليها الحد. لا يدرؤه عنها كونها ابنة محمد ﷺ. أخرج الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها: (أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ، فكلم رسول الله ﷺ فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام: فخطب فقال: يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله؛ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)[3].

---

(١) ابن هشام: السيرة ١ / ٦٢٦، (بتحقيق مصطفى السقا وزملائه).

(٢) حم ٣ / ٤٢٣.

(٣) خ: حدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ١٢ / ٨٧، ح ٦٧٨٨.

فإن قيل هٰذا محمد رسول الله ﷺ، ولا يستغرب منه مثل هٰذا العدل، ومن يعدل إنْ لم يعدل هو؟

قلنا: وهٰذا رجل من أصحاب رسول اللّٰه ﷺ عمر بـن الخطاب رضي الله عنـه، يهتدي بهدي رسول الله ﷺ، فيقيم العدل والقسط بين الناس يحكم بالحق لرجل يهودي على مسلم، ولم يحمله كفر اليهودي على ظلمه والحيف عليه. أخرج الإمام مالك من طريق سعيد بن المسيب[1]: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختصم إليه مسلم ويهودي، فرأى عمر أن الحق لليهودي فقضى له، فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق. . .)[2].

وكان رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه بالموسم، فإذا اجتمعوا قال: أيها الناس! إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم، ولا من أموالكم، إنَّما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فُعِلَ به غير ذٰلك فليقم، فما قام أحد إلاَّ رجل واحد قام فقال: يا أمير المؤمنين إنّ عاملك فلاناً ضربني مائة سوط. قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه، فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إنك إنْ فعلت هٰذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها من بعدك، فقال: (أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه قال: فدعنا فلنرضـه، قال: دونكم فارضوه، فافتدى منه بمائتي دينار كل سوط بدينارين)[3]، ولو لم يُرضوه لأقاده رضي الله عنه.

وجاءه رجل من أهل مصر يشكو ابن عمرو بن العاص واليه على مصر

---

(١) هو: سعيد بن المسيب بن حزن، عالم أهـل المدينة وسيد التابعين في زمانه، ولد لسنتين مضتـا من خلافة عمر رضي الله عنه وقيل: لأربع مضين منها بالمدينة. ومات سنة أربع وتسعين. الذهبي، سير أعلام النبلاء ٤ / ٢١٧.

(٢) ط: كتاب الأقضية، باب الترغيب في القضاء بالحق ص ٧١٩، ح ٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤. (نشر: دار صادر ١٤٠٥هـ).

قائلاً: (يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذاً قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين. فكتب عمر إلى عمرو ـ رضي الله عنهما ـ يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الألأمين، قال أنس ـ راوي القصة ـ: فضرب، فوالله؛ لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع على صِلعة عمرو. فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه. فقال عمر لعمرو: مذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني)[1].

فانظر إلى هٰذه الصورة الرائعة لعدالة هٰذه الأمة، رجل من عامة الناس وفي رواية أنه ذمي من أقباط مصر، يتظلم فَيُعْطَى حقه ويقاد من ابن الأمير يجاء به وبأبيه ليُعطَى الرجل حقه وينصف.

ثم انظر إلى الحاضرين من أصحاب النبي ﷺ كيف أحبُّوا ذٰلك وأيدوه (فوالله؛ لقد ضربه ونحن نحب ضربه) لا تَشَفِّياً منه، ولا شماته بعمرو وابنه، فالقوم فوق ذٰلك وأبعد ما يكون عن التشفي والشماتة، ولكنهم جيل أحب العدل وعاشه وتربى عليه على يد رسول الله ﷺ؛ لذا فهو لا يطيق رؤية الجور ولا يقره في الأمة ولو كان على رجل مخالف لها في الدين، ويسعد لرؤية العدالة تعم الأمة ليؤخذ لضعيفها من قويها.

فإن قيل: هٰذا الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر الفاروق، ومثله خليق بإقامة العدل في رعيته.

قلنا: إليك صورة أخرى بطلها ليس بخليفة ولا أمير، ولكنه رجل من عامة

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦، (بتحقيق عبد المنعم عامر، نشر: لجنة البيان العربي بمصر).

أصحاب رسول الله ﷺ هو الصحابي الجليل عبد الله ابن رواحة[1] يكل إليه النبي ﷺ خرص مزارع خيبـر التي تركها ﷺ بيد اليهود، فيحاول يهود رشوته ليخفف عليهم في الخرص. فيشتد غضبه رضي الله عنه أن ساوموه على أمانته وعدالته ويقول مخاطباً إخوان القردة والخنازير: (يا معشر اليهود! أنتم أبغض الخلق إليّ، قتلتم أنبياء الله عز وجل، وكذبتم على الله، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم، وقد خرصت عشرين ألف وسق من تمر، فإن شئتم فلكم وإن أبيتم فلي. فقالوا: بهٰذا قامت السمٰوات والأرض، قد أخذنا فأخرج عنا)[2]، وفي رواية أنه قال لهم: (لأنتم والله أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير)[3].

وأقر اليهود بعدله ونصفته، وأنه لم يَحِفْ عليهم كما ادَّعوا[4]. ولكنهم قوم بهت!.

فإن قيل هٰذا صحابي جليل تربى على يد الرسول ﷺ وشاهد التنزيل، فليس ببدع أن يعدل ويحكم بالقسط إذا وكل إليه الحكم في أمر من الأمور.

قلنـا: لنـدع جيل الصحـابـة رضوان الله عليهم، فإنهم، جيل فريد، الأصـل فيهم الخير والعـدالـة، ولنتجـاوزهم إلى غيرهم ممن جاء بعـدهم: فهٰذا شريح القاضي[5] يتحاكم إليه أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ورجل ذمي

---

(١) وهو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي الشاعر المشهور، أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدراً وما بعدها إلى أن استشهد بمؤته. ابن حجر، الإصابة ٢ / ٣٠٦.

(٢) حم: ٣ / ٣٦٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح ٤ / ٢٢.

(٣) البيهقي، كتاب المساقاة، باب المعاملة على النخل بشطر ما يخرج منها ٦ / ١١٤.

(٤) جاء في بعض الروايات أنهم اشتكوا إلى النبي ﷺ حيف عبد الله عليهم في الخَرْصِ، انظر: السنن الكبرى للبيهقي ٦ / ١١٤.

(٥) هـو: شريح بن الحارث بن قيس الكندي، قاضي الكوفة، كان يكنى أبا أمية، توفي سنة ثمان أو تسع وسبعين، وقد عاش مائة وثماني سنين. ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦ / ١٣١، =

فيحكم شريح يرحمه الله للذمي على أمير المؤمنين، فقد أخـرج البيهقي بسنده عن الشعبي؛ قال: خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إلى السوق، فإذا هو بنصراني[1] يبيع درعاً قال: فعرف علي رضي الله عنه الدرع، فقال: هٰذه درعي، بيني وبينك قاضي المسلمين، قال: وكان قاضي المسلمين شريح، كان علي رضي الله عنه استقضاه، قال: فلما رأى شريح أمير المؤمنين قام من مجلس القضاء وأجلس علياً رضي الله عنه في مجلسه، وجلس شريح قدامه إلى جنب النصراني، فقال له علي رضي الله عنه: يا شريح لو كان خصمي مسلماً لقعـدت معـه مجلس الخصم، ولكني سمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «لا تصـافحـوهم، ولا تبـدؤهم بالسـلام ولا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا عليهم، ولجوهم إلى مضايق الطرق، وصغروهم كما صغرهم الله[2]»، اقض بيني وبينه يا شريح. فقال شريح: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ قال: فقال علي رضي الله عنه: هٰذه درعي ذهبت مني منذ زمان قال: فقال شريح: ما تقول يا نصراني؟ قال: فقال: ما أكذب أمير المؤمنين الدرع هي درعي، فقال شريح: ما أرى أن تخرج من يده فهل من بينة؟ فقال علي رضي الله عنه: صدق شريح. قال: فقال النصـراني: أمـا أنـا أشهـد أن هٰذه أحكام الأنبياء. أمير المؤمنين يجيء إلى قاضيه، وقـاضيه يقضي عليه، هي والله يا أمير المؤمنين درعك. اتبعتك من الجيش وقد زلت عن جملك الأورق، فأخذتها. فإني أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله. قال: فقال علي رضي الله عنه: أما إذا أسلمت فهي لك، وحمله على فرس عتيق، قال فقال الشعبي: لقد رأيته يقاتل المشركين)[3].

= والحلية، لأبي نعيم ٤ / ١٣٢، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٠٠.

(١) وفي رواية: يهودي. انظر: الحلية لأبي نعيم ٤ / ١٣٩.

(٢) في قوله عز وجل: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾، سورة التوبة آية ٢٩.

(٣) السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب انصاف الخصمين ١٠ / ١٣٦.

وهٰذا النص يبين لنا كيف كان قضاة المسلمين يصدرون أحكامهم العادلة فيما يعرض عليهم من قضايا في حرية تامة، لا تأخذهم في إقامة العدل لومة لائم، الأمير والحقير، والقوي والضعيف كل أمام القضاء سواء.

لذا حكم شريح على أمير المؤمنين رضي الله عنه للنصراني بما رآه حقاً، وأمير المؤمنين رضي الله عنه يرضى بالحكم ويصدق شريحاً على صحة ما قضى به؛ لأنه حكم بمقتضى قواعد الشرع، فكان ذٰلك كله سبباً في إسلام النصراني واهتدائه، لِمَا رأى من قيام هٰذه الأمة في رعاياها وأهل ذمتها بالعدل والقسط الذي هو من أحكام الأنبياء والمرسلين.

●●●●●

المبحث الثاني:

وصف الله لهٰذه الأمة بالعدالة وشهادته لها بها

اصطفى الله هٰذه الأمة لحمل الرسالة الخاتمة، وألقى على عاتقها مهمة القيام بواجب البلاغ، وجعلها قيمة على ذٰلك إذ لا رسول بعد رسولها محمد ﷺ. لذٰلك أناط الله بهٰذه الأمّة مسئولية استمرار هٰذه الدعوة وإبلاغها للناس، وجعل هٰذه الأمة شاهدة وحجة على البشرية، تبلغهم وتشهد لهم بالإجابة، أو عليهم بالتمرد والعصيان.

ولَمَّا كان من شرط قبول الشهادة أن يكون الشاهد عدلاً خياراً مرضياً جعل الله هٰذه الأمة، خير أمة وجعلها عدلاً وسطاً بين الأمم **﴿وكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيْداً﴾**، فكما أنَّ الرسول ﷺ شاهد عدل على هٰذه الأمة، كذٰلك أمته من بعده شاهد عدل على البشرية، تشهد على الأمم السابقة كما تشهد على الأمم اللاحقة.

تشهد على الأمم السابقة حين تُنْكِرُ وتَتَنَكَّر تلك الأمم لرسل الله إليها وتفتري عليهم الكذب، وتدَّعِي أنه ما جاءها من بشير ولا نذير، فيسْتَشْهِدُ الرسل بهٰذه الأمة فتشهد لهم.

أخرج البخاري رحمه الله من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب! فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بَلَّغ، ويكون الرسول عليهم شهيداً، فذٰلك قوله جل ذكره: **﴿وكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيْداً﴾**، والوسط: العدل)[1].

---

(١) خ: كتاب التفسير، باب **﴿وكذٰلك جعلناكم أمَّةً وسطاً﴾** ٨ / ١٧١، ح ٤٤٨٧.

وهٰكـذا يشهـدون لجميع الأنبياء عليهم السلام على أممهم[1]، وقبول الشهادة دليل العدالة، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: «شهادة أمة محمد ﷺ على جميع الأمم يوم القيامة برهان على عدالة هٰذه الأمة وشرفها، ومضمون هٰذا أن هٰذه الأمة يستشهد بهم الأنبياء على أممهم، ولولا اعتراف أممهم بشرف هٰذه الأمة لما حصل الزامهم بشهادتهم»[2].

وشهادة هٰذه الأمة على الأمم شهادة حق وعدل؛ لأنها ما شهدت إلا بما علمت وإن كانت لم تشاهد ولم تحضر، لكنها شهدت بشهادة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ. شهدا لديها بصدق الرسل وتبليغهم أممهم دعوة ربهم، فشهدت بذٰلك. أخرج ابن ماجه من حديث أبي سعيد؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (يجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذٰلك وأقـل، فيقـال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم فَيُدْعَى قومُه، فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا. فيقال: من شهد لك؛ فيقول: محمد وأمته فتدعى أمة محمـد فيقـال: هل بلَّغَ هٰذا؟ فيقـولـون: نعم. فيقول: وما علمكم بذٰلك؟ فيقـولون: أخبرنا نبينا بذٰلك، أن الرسل قد بلغُوا فصدقناه. قال: فذٰلك قوله تعالى: ﴿وكَذٰلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسولُ عَلَيْكُم شَهِيداً﴾)[3].

وكمـا تشهـد هٰذه الأمة على الأمـم السالفة في الآخرة فتقبل شهادتها، كذٰلـك يشهـد بعضها على بعض، فتمضي وتعتبر عند الله عز وجل كما هي ماضية معتبرة عند خلقه؛ لأن الله جعلها شاهدة على خلقه.

---

(١) كما جاء في روايات أخرى. انظر: نفس الصفحة.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم ٢ / ٩.

(٣) جه: كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ ٢ / ١٤٣٢، ح ٤٢٨٤.

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: «صحيح». انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢ / ٤٢٥.

أخرج البخاري رحمه الله من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: وجبت ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: وجبت، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهٰذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض)[1].

وقال ﷺ: (أيُّما مُسْلِم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة ـ قال عمر ـ فقلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة. فقلنا: واثنان؟ قال: واثنان. ثم لم نسأله عن الواحد)[2].

وكان عمر رضي الله عنه إذا مَرَّتْ به جنازة وأثنى عليها الحاضرون خيراً قال: وجبت، وإذا أثنوا عليها شرًّا قال: وجبت. يصنع كما صنع النبي ﷺ[3].

لقد فهم عمر الفاروق رضي الله عنه أن شهادة هٰذه الأمة مقبولة عند الله، لفضلها.

● ● ● ● ●

(١) خ: جنائز، باب ثناء الناس على الميت ٣ / ٢٢٨، ح ١٣٦٧.

(٢) نفس المصدر والجزء ص ٢٢٩، ح ١٣٦٨.

(٣) خ: جنائز، باب ثناء الناس على الميت ص ٢٢٩، ح ١٣٦٨.

المبحث الثالث:

اعتراف أعداء هٰذه الأمة بعدالتها وشهادتهم لها بذلك

بلغت عدالة هٰذه الأمة يوم أن كانت في أوج قوتها ونفوذ سلطانها، وقدرتها على البطش والظلم إنْ أرادت حَدَّاً أذهل الأعداء والخصوم، وجعلهم يقفون مشدُوهين أمام عظمة هٰذه الأمة، والدين الذي تدين به وتدعو الأمم إليه. مما جعلهم ـ على ما في قلوبهم من غل وحقد وحسد ـ يشيدون بعدالة هٰذه الأمة، وسماحتها وقيامها بالقسط مع خصومها ومن يعيش في كنفها من أهل الديانات الأخرى قبل أبنائها ومواطنيها.

فنطقت ألسنتهم بما رأوا ولمسوا من العدل والإنصاف والسماحة التي عاشوها وعوملوا بها في رِحاب هٰذه الأمَّةِ وتحت سلطانها.

وحين تأتي الشهادة لهٰذه الأمة من الأعداء والخصوم، فهي شهادة غير مُتَّهَم، ولا مُحَابٍ، بل هي شهادة عدو، وخصم أنطقه واقع العدل الذي نَعُمَ به في جوار هٰذه الأمة، والرحمة التي أُسْبِغَتْ عليه مما لم يجد له مثيلاً حتى لدى بني جنسه ودينه.

وهي شهادة تفخر بها هٰذه الأمة، وإنْ كان بها عنها غني، وقديماً قيل: والفضل ما شهدت به الأعداء.

وهٰذه بعض اعترافات وشهادات الأمم وأهل الأديان الأخرى بعدالة هٰذه الأمة وسماحتها وإنصافها لمن عاش تحت حكمها منهم:

١) روى البلاذري من طريق سعيد بن عبد العزيز[1] قال: بلغني أنَّه لَمَّا

(١) وهو: سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي مفتي الشام، أحد الأئمة، ثقة حجة. مات سنة ١٦٧هـ. انظر: الذهبي ميزان الاعتدال ٢ / ١٤٩.

جمع هرقل[1] للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك، رَدُّوا على أهل حمص[2] ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: قد شُغِلْنا عن نصرتكم، والدفع عنكم، فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: (لَوِلايتُكُم وعدلُكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم[3]، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم...)[4].

وكان أهل حمص نصارى، صالحهم المسلمون على أن يدفعوا الجزية والخراج ويتكفل ولي أمر المسلمين بحمايتهم، ودفع الأعداء عنهم، وقد كانوا قبل حكم المسلمين تحت حكم الروم وهم على دينهم.

فلما رأى المسلمون أنهم غير قادرين على الوفاء لهم بشرط الحماية، ردُّوا عليهم ما أخذوا منهم.

فأكبر ذلك أهلُ حمص؛ لأنهم لم يعهدوا مِثْلَه في أمة غير المسلمين، وأشادوا بعدل المسلمين وحسن ولايتهم عليهم، وأنهم أحب إليهم من الروم مع كونهم على دينهم.

وهٰذه شهادة صريحة بعدالة هٰذه الأمة، نَبَعَتْ من واقع عاشه القوم تحت لواء المسلمين، لمسوا خلاله من العدالة، والرحمة، والسماحة ما لم يعرفوا من قبل.

٢) وهٰذا اعتراف آخر وشهادة أخرى من أهل وادي الأردن:

---

(١) هرقل: ملك الروم.

(٢) حمص (بكسر الحا المهملة). قال الحموي: بلد مشهور قديم بين دمشق وحلب، بناه رجل يقال له حمص بن المهْر بن جان. انظر: معجم البلدان ٢ / ٣٠٢.

(٣) الغشم: الظلم والغَصْبُ. انظر: لسان العرب ١٢ / ٤٣٧. مادة (غشم).

(٤) فتوح البلدان ص ١٤٣.

لقد كتبوا إلى قائد المسلمين آنذاك وهو أبو عُبيدَة عامر بن الجراح[1] رضي الله عنه مُعْرِبين له عن تمنيهم لحكم المسلمين لِمَا لمسوا من عدالتهم ووفائهم ورأفتهم بهم وأنهم يفضلونهم على الروم وإن كانوا على دينهم، قائلين: (يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا)[2].

٣) شهادة المستشرق توماس وآرنولد: [3].

يقول في كتابه «الدعوة إلى الإسلام» وهو يتحدث عن اضطهاد الفرس للمسيحيين. موازناً بين سلوكهم وسلوك المسلمين: (ولكن مبادىء التسامح الإسلامي حرَّمت مثل هٰذه الأعمال ـ التي كان يمارسها الفرس على رعاياهم من المسيحين التي تنطوي على الظلم ـ، بل كان المسلمون على خلاف غيرهم، إذ يظهر لنا أنهم لم يألوا جهداً في أن يعاملوا كل رعاياهم من المسيحيين بالعدل والقسطاس)[4].

وقال عن إيثار أهل القدس وفلسطين لحكم المسلمين واغتباطهم به:

---

(١) هو: أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، أحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم قديماً وشهد بدراً. مات شهيداً بطاعون عمواس سنة ثماني عشرة وله ثمان وخمسون سنة. ابن حجر. التقريب ١ / ٣٨٨.

(٢) فتوح الشام ص ٩٧.

(٣) تومس ووكر آرنولد (١٢٨٠ ـ ١٣٤٩هـ). مستشرق إنكليزي، تعلم في كمبردج، واشتغل بالتدريس في عدة جامعات بالهند وباكستان، ثم عاد إلى لندن ودرس في جامعتها، عين مديراً لمعهد الدراسات الشرقية. له عدة كتب بالإنجليزية عن العلوم الإسلامية. الزركلي، الأعلام ٢ / ٧٦ ـ ٧٧. وانظر: نجيب العقيقي، المستشرقون ٢ / ٨٤.

(٤) ص ٨٨، ترجمة الأستاذ حسن إبراهيم حسن وزملائه. (ط. الثانية ١٩٥٧، نشر: مكتبة النهضة).

(ومن المؤكد أن المسيحيين من أهالي هٰذه البلاد؛ ـ أي: القدس ـ قد آثروا حكم المسلمين على حكم الصليبيين)[1].

٤) شهادة واعتراف المستشرق الأمريكي: وول ديورانت:

بالرغم من أن هٰذا الرجل يهودي صهيوني دس في كتابه «قصة الحضارة» السم في الدسم، وأساء للإسلام ونبيه ﷺ كما أساء للمسيح عليه السلام كثيراً، مما يحتم على قارىء هٰذا الكتاب أن يتوخى الحذر، وأن يتنبه لذٰلك ويتوقى تلك الألغام[2] التي بثها الرجل في ثنايا مؤلفه هٰذا. ومع ذٰلك يأبى الله إلا أن يظهر الحق ولو على لسان عدو من أعدائه.

يقول ديورانت واصفاً حال أهل الذمة الذين يعيشون في ظل الخلافة الإسلامية: (ولقد كان أهل الذمة المسيحيون، والزرادشتيون[3]، واليهود، والصابئون[4] يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح، لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هٰذه الأيام فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر

---

(١) نفس المصدر ص ١١٦.

(٢) عن أصل هٰذه الكلمة ومعناها راجع، معجم الأخطاء الشائعة، لمحمد العدناني ص ٢٢٩ ط. الثانية.

(٣) الزرادشتيون: ابتاع زرادشت بن بورشب وهو رجل ظهر في أذربيجان في زمان الملك كشتاسب بن الهراست. وزعم أنه نبي، وله كتاب يسمى «زنداوستا»، زعم أنه أنزل عليه وكان يدعو إلى عبادة الله، والكفر بالشيطان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثم دخل التحريف الزرادشتيه وآلت إلى أن أصبحت ديانة ثنوية مجوسية. انظر: الشهرستاني، الملل ٢ / ٤١. والرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٦.

(٤) الصابئة: نوعان: حنفاء موحدون، وصابئة مشركون يعبدون الكواكب. انظر عنهم: ابن تيمية، الرد على المنطقيين ٢٨٨.

وذكر ابن أبي حاتم فيهم ثمانية أقوال في تفسيره تفسير القرآن العظيم ق١، البقرة ص ١٩٩، (ط. الأولى، بتحقيق د. أحمد الزهراني، نشر: مكتبات الدار، وابن القيم، وطيبة).

دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص، وأداء فرضة عن كل شخص، تختلف باختلاف دخله. . . ، ولم تكن هٰذه الضريبة[1] تفرض إلَّا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان، والنساء، والذكور الذين هم دون البلوغ، والأرقاء، والشيوخ، والعجزة، والعُمْيُ، والشديدوا الفقر.

وكان الذميون يُعفون في نظير هٰذه الضريبة من الخدمة العسكرية. . . ولا تفرض عليهم الزكاة. . . وكان لهم على الحكومة أن تحميهم)[2].

وهٰذا النص يثبت أن المسلمين في الأندلس عاملوا أهل ذمتهم وفق القواعد التي وضعها وحددها الإسلام، وهي قواعد تعطي أهل الذمة أكثر مما تأخذ منهم، توفر لهم الحماية والنَّصَفة، وعدم الظلم أو الهضم وتسبغ الرحمة والعطف على الفقراء وذوي الأعذار، توفر لهم حرية التدين، والاكتساب، وهٰذا غاية العدل، بل هو إلى الفضل أقرب.

٥) اعتراف المستشرق ستانلي لين بول:

نقل عنه صاحب «قصة الحضارة» العبارة التالية:

(لم تنعم الأندلس طول تاريخها بحكم رحيم، عادل، كما نعمت به في أيام الفاتحين العرب)[3].

---

(١) في الواقع ليس ما يؤخذ من الذميين بضريبة، وإنما هو الجزية تؤخذ في مقابل توفير المسلمين لهم الحماية والأمان حتى من أعدائهم الخارجيين، ولذٰلك لما لم يستطع المسلمون أن يفوا لأهل حمص بذٰلك ردوا عليهم ما أخذوا منهم كما تقدم. وهي أيضاً في مقابل تمتع الذمي بالخدمات العامة التي تقدمها الدولة.

(٢) قصة الحضارة ١٣ / ١٣٠ - ١٣١، (ط. الثالثة ١٩٧٤م. نشر: لجنة التأليف والنشر، ترجمة محمد بدران).

(٣) عن كتاب حكم المسلمين في اسبانيا، كما ذكر المترجم في حاشية قصة الحضارة ١٣ / ٢٩٢. على أنا لا نسلم له عبارة: «الفاتحين العرب» فهي من دس المستشرقين، فإن هٰذه البلدان =

ثم عقب عليه ديورانت ـ اليهودي ـ بقوله: (ذٰلك حكم يصدره مستشرق مسيحي عظيم). ـ ثم غلب عليه حقـده وخبثـه وأراد أن يقلل من شأن هٰذه الشهادة والإشادة مع اعترافه بصحة حكم استانلي، فيغمزها قائلاً ـ: (قد يتطلب تحمسه شيئاً من التقليل من ثنائه، لكن هٰذا الحكم بعد أن ننقص منه ما عساه أن يكون فيه من التحمس يظل مع ذٰلك قائماً صحيحاً)[1].

●●●●●

= وغيرها إنما فتحها المجاهدون المسلمون لنشر دين الله في أرضه وبين خلقه لا لشيء آخر.

(١) قصة الحضارة ١٣ / ٢٩٢.

المبحث الرابع :

العدل عند أهل الكتاب

كنت أود أن أستعرض مبدأ العدل عند الكثير من الأمم والأديان الأخرى إلَّا أني رأيت أن أكتفي بالحديث عن مبدأ العدل عند أهل الكتاب، اليهود والنصاري، لأمرين :

الأول: خشية الإطالة.

والثاني: أننا إذا تحدثنا عن العدل عند أهل الكتاب، وبيَّنا ما وصلوا إليه من ظلم وجور، وجنوح عن العدل والإنصاف، وهم قوم أنزل الله إليهم الكتب، وأرسل إليهم الرسل تترى، ومع ذلك حادوا عن الحق وحرَّفوا وظلموا وطغوا واستَبَدُّوا، فكيف بغيرهم من الأمم التي لم تحظ بما حظوا به من توالي الرسالات وكثرة الأنبياء.

وسنتحدث في هذا المبحث عن العدل عند اليهود أولاً فيما بينهم، ثم فيما بينهم وبين غيرهم من الأمم، ثم عن العدل عند النصارى كذلك فيما بينهم، وفيما بينهم وبين الأمم الأخرى.

● **أولاً : مبدأ العدل عند اليهود:**

أ) العدل فيما بينهم :

لقد أمرهم أنبياؤهم أن يقوموا بالعدل والقسط، وأن لا يتظالموا، ولا يظلموا أحداً، وأنزل الله عز وجل عليهم التوراة، فيها هدى ونور، وفصل لهم فيها الحدود والأحكام والقصاص العادل. كما أخبر الله بذلك في القرآن الكريم، حيث قال تبارك وتعالى : ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً**

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ . وكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بالنَّفْس والعَيْنَ بالعَيْنِ والأنفَ بالأنْفِ والأُذُنَ بالأُذُنِ والسِّنَّ بالسِّنِّ والجُروحَ قِصاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

وفيما بقي بين أيدي القوم من أسفار التوراة ـ مع تحريفهم وبتديلهم لها ـ أثـر ممـا ورد ذكره في القرآن الكريم. وسأورد فيما يلي بعض نصوص أسفار التوراة، التي توجب على اليهود الحكم بالعدل والقسط، وتحذرهم من الظلم والجور في القضاء والكيل والوزن، ففي «سفر الـلاويين» أن الرب كلم موسى عليه السلام قائلاً:

(لا ترتكبـوا جوراً في القضاء. ولا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير، بالعدل تحكم لقريبك)[2].

وفيه أيضـاً: (وإذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه، كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك؛ لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر. أنا الرب إلهكم. لا ترتبكوا جوراً في القضاء لا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل، ميزان حق وَوَزْنات حق وإيفَةٌ حق وهبن حق تكون لكم أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر فتحفظون كل فرائضي وكل أحكامي وتعملونها أنا الرب)[3].

وفيه أيضاً ما يدل على القصاص وأن النفس بالنفس: (وإذا أمات أحد إنساناً فإنه يقتل)[4]، (ومن قتل بهيمة يعوض عنها ومن قتل إنساناً يقتل، حكم

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) إصحاح ١٩ فقرة ١٥ . . .

(٣) إصحاح ١٩ فقرة ٣٣ ـ ٣٧.

(٤) لاويين: إصحاح ٢٤ فقرة ١٧.

واحد يكون لكم الغريب يكون كالوطني إني أن الرب إلهكم)[1].

وفي «سفر الخروج»: (من ضرب إنساناً فمات يقتل قتلاً)[2].

فقد دل إذن القرآن الكريم، وأسفار التوراة التي بقيت بأيديهم على وجوب العدل، عليهم والقصاص الحق عندهم، وتحريم الظلم والجور، فماذا فعل القوم؟ لقد حرفوا وبدلوا، وتلاعبوا بنصوص التوراة، ولم يقوموا فيما بينهم بالقسط والعدل. وفرقوا بين القوي والضعيف، والوضيع والشريف، ولم يساووا بين الناس في إقامة الحدود والقصاص، كما أخبرنا رسول الله ﷺ عنهم في حديث المخزومية التي سرقت فقطع يدها وغضب على من جاء يشفع فيها وقام فيهم خطيباً قائلاً: (أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد. . .)[3].

ومن الشواهد على هذا المسلك المشين ليهود ما أخرجه أبو داود وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

(كان قريظة[4] والنضير[5]، وكان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فُودِي بمائة وسق من تمر، فلما بعث النبي ﷺ قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فقالوا: ادفعوه لنا نقتله، فقالوا: بيننا وبينكم النبي ﷺ، فأتوه فنزلت: ﴿وإنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ﴾[6]، والقسط: النفس بالنفس، ثم نزلت:

---

(١) لاويين: إصحاح ٢٤ فقرة ٢١ ـ ٢٢.

(٢) إصحاح ٢١، فقرة ١٢.

(٣) تقدم بتمامه مخرجاً انظر: ١٦٨.

(٤) ، (٥) قريظة، والنضير: طائفتان من اليهود نزلتا أطراف المدينة.

(٦) سورة المائدة آية ٤٢.

﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[1])[2].

فانظر كيف حادوا عن حكم الله عز وجل وتلاعبوا بحدوده، فأقاموا الحد، والقصاص على الضعيف فيهم، وصرفوه عن ذي المكانة والقوة والمَنَعَة والعجب لا ينقضي من تمالُئهم على ذٰلك واتفاقهم عليه.

وهٰذا شاهد آخر على اختلال ميزان العدل عند يهود، ومبلغ ظلمهم وجورهم، وتعطيلهم لحدود الله عز وجل: أخرج الإمام البخاري رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (إنَّ اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم، ويجلدون. قال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يديك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، قالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة)[3].

وفي رواية عند مسلم: (أن اليهود حَمَّمُوا وجه الزاني وجلدوه ولما سألهم النبي ﷺ قائلاً: أهٰكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهٰكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهٰذا لم أخبرك نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف

---

(١) سورة المائدة آية ٥٠.

(٢) د: كتاب الديات، باب النفس بالنفس ٤ / ٦٣٤، ح ٤٤٩٤.

(٣) خ: كتاب الحدود، باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا للإمام ١٢/ ١٦٦، ح ٦٨٤١.

والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. . .)[1].

وفي «سفر التثنية» من التوراة جاء في شأن حد الزاني النص الآتي:

(ولكن إن كان هٰذا الأمر صحيحاً لم توجد عُذْرَةٌ للفتاة، يخرجون الفتاة إلى باب بيت أبيها ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت؛ لأنها عملت قباحة في إسرائيل بزناها في بيت أبيها، فتنزع الشر من وسطك.

وإذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة، فتنزع الشر من إسرائيل.

إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة فاضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وأرجموهما بالحجارة حتى يموتا، الفتاة من أجل أنَّها لم تصرخ في المدينة، والرجل من أجل أنَّه أذل امرأة صاحبه، فتنزع الشر من وسطك). [2].

ب) العدل عند اليهود بينهم وبين غيرهم من الأمم:

إذا كان اليهود لم يقيموا العدل فيما بينهم، وهم شعب واحد وأبناء عمومة، بل فرقوا بين ضعيفهم وقويهم، وشريفهم ووضيعهم ـ كما تقدم ـ فكيف بهم مع غيرهم من الأمم؟ إنّ نظرة اليهود إلى غيرهم من الأمم والشعوب نظرة تعال وازدراء، فهم يرون أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحِبَّاؤه كما أخبر الله عن مقالتهم هٰذه وأكذبهم فيها، فقال جل وعلا: **﴿وقَالَتِ اليَهُودُ والنَّصارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وأحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ولله مُلْكُ السَّماوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما وإلَيْهِ المَصِيْرُ﴾**[3].

---

(١) م: كتاب الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنى ٣ / ١٣٢٧، ح ١٧٠٠.

(٢) تثنية: إصحاح ٢٢، فقرة ٢٠ ـ ٢٥.

(٣) سورة المائدة آية ١٨.

وكـانوا يرون أن غيرهم من الأمم لا حق لهم في عدل ولا نَصَفَ، بل ويستحلون منهم الدماء والأنفس والأموال بحجة أن غير اليهود، كفار مشركون لا حرمة لهم. وقد نبّأنا الله خبرهم وقولهم هٰذا وعدهم كذبة مفترين في ذٰلك فقال عز وجل: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

ومـرادهم بالأميين العرب والمشركين وكل من ليس بيهودي. روى ابن جرير عن قتادة[2] رحمه الله في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾، قال: ليس علينا في المشركين سبيل، يعنون من ليس من أهل الكتاب[3].

وفي أسفار التوارة المحرفة ما يشي بهٰذا المسلك الذي انتهجه يهود تجاه الأمم الأخرى: ففي «سفر الخروج» ضمن الوصايا العشر التي يزعمون أن موسى عليه السـلام تلقاها من ربه: (لا تشهد على قريب شهادة زور، لا تشته بيت قريبـك لا تشتـه امـرأة قريبك، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً مما لقريبك)[4]. فمفهوم قوله «قريبك» في هٰذا النص، أنّ غير القريب يجوز لهم اشتهاء امرأته وبيته و و. . . ، وقد فهم اليهود هٰذا الفهم، ونص التلمود على حِلّ كلّ ذٰلك كما سيأتي ذكر نصوص منه.

وفي «سفـر التثنية» إباحة التعامل بالربا مع غير اليهودي، وتحريمه مع اليهـودي: (لـلأجنبي تقـرض بربـا ولكن لأخيك لا تقـرض بربا)[5] بل يمنع

(١) سورة آل عمران آية ٧٥.

(٢) هو: قتادة بن دعامة السدوسي الضّرير الأكْمَه، حافظ، مفسر، قال فيه الذهبي: حافظ العصر قدوة المفسرين. مات سنة ١١٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٦٩.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦ / ٥٢٢.

(٤) سفر الخروج: إصحاح ٢ فقرة ١٦ ـ ١٧.

(٥) خروج: إصحاح ٢٠ فقرة ١٦ ـ ١٧.

«التلمود»[1] إقراض غير اليهود إلَّا بربى : (غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلَّا بالربا)[2]، ولقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى أنه نهاهم عن أكل الربا وأكل أموال الناس بالباطل وأنهم لمَّا خالفوا وظلموا وأكلوا الربا حرم عليهم بعض الطيبات التي كانت حلالاً عقوبة لهم في الدنيا.

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذينَ هَادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبيلِ اللهِ كَثيراً وأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وأَكْلِهِمْ أَمْوالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ وأَعْتَدْنَا لِلكَافِرينَ مِنْهُمْ عَذاباً أَليماً﴾[3].

وهٰذه بعض نصوص «التلمود» التي تبيح لليهود أموال الأممين بل ودماءهم وأعراضهم، نسوق منها نماذج باختصار ليتبين مدى ظلم القوم وجورهم.

١) إباحة دماء غير اليهود:

يقول «التلمود»: (اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينجى أحداً من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها؛ لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين)[4].

(من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر؛ لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً لله)[5].

وكل من ليس بيهودي فهو كافر عندهم.

---

(١) التلمود: وهو الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية والتشريعات، يزعم اليهود أنَّ موسى عليه السلام عندما تلقى التوراة من الله مكتوبة تلقى منه كذلك التلمود مشافهة، وهو تفسير وتفصيل للتوراة وهو عندهم أقدس منها. (آي. بي. براناتيس، فضح التلمود ص ٢١).

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة د. يوسف نصر الله ص ٨٧.

(٣) سورة النساء. آية ١٦٠ ـ ١٦١.

(٤) الكنز المرصود في قواعد التلمود، (ترجمة د. يوسف نصر الله ص ٩٠).

(٥) المصدر السابق ص ٩١.

٢) إباحة عرضه :

يقول «التلمود» : (لا يخطىء اليهودي إذا تعدى على عرض الأجنبي ؛ لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد؛ لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل كبهيمة والعقد لا يوجد مع البهائم وما شاكلها)[١] .

قال ميموند[٢] : (إن لليهود الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات ؛ أي : الغير يهوديات)[٣] .

٣) إباحة ماله :

يقول «التلمود» : (إن الله حلل أموال باقي الأمم لبني إسرائيل لما رآهم قد خالفوا السبع الوصايا المختصة بعبادة الأوثان ، والزنا ، والقتل والسرقة ، وأكل لحم الحيوانات الغير مذبوحة ، وخصاء الإنسان وإيلاد الحيوان من غير جنسه)[٤] .

(إذا سرق أولاد نوح ـ أي : غير اليهود ـ شيئاً ولو كانت قيمته طفيفة جداً ، يستحقون الموت ؛ لأنهم قد خالفوا الوصايا التي أعطاها الله لهم . وأما اليهود فمصرح لهم أن يضروا الأمي ؛ لأنه جاء في الوصايا : (لا تسرق مال القريب) ، قال علماء «التلمود» مفسرين هٰذه الوصية : إن الأمي ليس بقريب ، وإن موسى لم يكتب في الوصية (لا تسرق مالي الأمي) فسلب ماله لم يكن مخالفاً للوصايا)[٥] .

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، (ترجمة د . يوسف نصر الله) ، ص ٩٥ .

(٢) هو: موسى بن ميمون ، الذي وضع الميشناه . راجع : التلمود ، لظفر الإسلام ص ٩٦ ، وفضح التلمود لـ . أي . بي . برانايتش ، ص ٣٨ .

(٣) الكنز المرصود ص ٩٥ .

(٤) نفس المصدر ص ١٥٢ .

(٥) نفس المصدر ص ٧٨ ـ ٧٩ .

وفي شأن رَدِّ الأموال المفقودة لغير اليهودي يقول «التلمود»: (إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأمي ماله المفقود، وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب)[1].

وبعد فهٰذه بعض نصوص «التلمود» وهي تفصح أن القوم لا يرقبون في غير اليهودي إلاً ولا ذمة، بل يظلمونه، ويستحلون دمه وعرضه وماله، ويعدون ذٰلك ديناً قاتلهم الله أنى يؤفكون، وعاملهم بعدله.

● ثانياً: العدل عند النصارى:

أ) العدل فيما بينهم:

النصارى يتبعون التوارة في الأحكام والتشريعات، وما أمر به اليهود من العدل في الأحكام والحدود، وإيفاء الكيل والوزن وخلاف ذٰلك فإنه يسري على أمة النصارى كذٰلك.

لكن لما بغى اليهود وقست قلوبهم، وأحلوا ما حرم الله، وأكلوا أموال الناس بالباطل، جاء المسيح عليه السلام ليردهم إلى الجادة، فلم يأمرهم بالعدل فحسب بل تجاوزه إلى الفضل، والعفو، وأمرهم ألا يقابلوا الإساءة بمثلها، وأن لا يعتدوا على من اعتدى عليهم بل قال لهم كما جاء في إنجيل «متى» الذي يزعمون إنه مما أُنزل على عيسى عليه السلام: (قد سمعتم أنه قيل: العين بالعين والسن بالسن، أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فخل له رداءك أيضاً، ومن سخرك ميلاً فامش معه اثنين، من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا تمنعه، قد سمعتم أنه قيل: أحبب قريبك وابغض عدوك، أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم، وصلوا

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود، (ترجمة د. يوسف نصر الله)، ص ٨٣.

لأجل من يعنتكم ويضطهدكم)[1].

لكن أمّة النصارى لم تهتد، بل حرّفت وبدّلت فضلت عن سواء السبيل، ولئن كان اليهود مغضوباً عليهم فإن النصارى ضالون، كما ثبت عن المصطفى ﷺ؛ أنــه قال في تفسير قولــه عز وجــل: ﴿**غَيْـرِ المَغْضُـوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّيْنَ**﴾[2]، قال: (إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى)[3].

وأول ضلالهم، وأعظم جورهم وبغيهم أن عدلوا بربهم غيره، وجعلوا له شركاء، إذ جعلوه ثالث ثلاثة، وتارة جعلوا المسيح عليه السلام هو الإله، وأُخرى ابن الإله؛ قال الله عز وجل عن كفرهم وضلالهم: ﴿**لَقَدْ كَفرَ الَّذينَ قَالُوا إنْ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾[4]، وقال في آية أُخرى: ﴿**لَقَدْ كَفرَ الَّذينَ قَالُوا إنَّ اللهَ هُوَ المَسْيحُ ابنُ مَرْيمَ وقَالَ المَسِيحُ يَا بَنِي إسْرَائيل اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَربَّكُمْ إنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ ومأواهُ النَّارُ وَمَا للظَّالِمينَ مِنْ أنْصَارٍ**﴾[5]، وقال عز وجل في آية أُخرى: ﴿**لَقَدْ كَفرَ الَّذينَ قَالُوا إنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَما مِنْ إلـهٍ إلاَّ إلهٌ واحِدٌ وإنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذينَ كَفرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ**﴾[6]. وقال سبحانه: ﴿**وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابنُ اللهِ**﴾[7].

والشرك بالله، واتخاذ غيره إلهاً معه، من أعظم الظلم كما أخبر الحق تبارك وتعالى على لسان العبد الصالح لقمان: ﴿**وإذْ قَالَ لُقْمَانُ لابنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ**

---

(١) إنجيل متى: الإصحاح السادس، فقرة ٣٨ ـ ٤٤.

(٢) سورة الفاتحة آية ٧.

(٣) حم: ٤ / ٣٧٨، من حديث عدي بن حاتم.

(٤) سورة المائدة ١٧.

(٥) المائدة آية ٧٢.

(٦) سورة المائدة آية ٧٣.

(٧) سورة التوبة آية ٣٠.

يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ باللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ﴾[1]، ولما نزل قوله عز وجل: **﴿الَّذينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾**[2]. شق ذٰلك على الصحابة رضي الله عنهم، فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: (إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا قول العبد الصالح: **﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**، إنما هو الشرك)[3].

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله عز وجل: **﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ﴾**؛ (أي: هو أعظم الظلم)[4].

فإذا كان القوم قد ارتكبوا أعظم الظلم والجور وظلموا أنفسهم بجعلهم لله أنداداً ومعه شركاء، فماذا نتوقع منهم وقد ضلوا وظلموا، غير الظلم والجور في جل حياتهم وشئونهم؛ لأنهم بنوا دينهم عليه.

فلم يكونوا قائمين بالعدل والقسط فيما بينهم، وقول الرسول ﷺ في قصة المخزومية التي سرقت: (. . . إنَّما ضَلَّ من كان قبلكم أَنَّهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد)[5]، يشملهم وإن كان هو في اليهود أظهر، وهٰؤلاء رهبانهم الذين هم عبادهم وعلماؤهم، وهم الصفوة فيهم والقدوة، والذين يفترض فيهم أن يكونوا أقرب القوم إلى العدل وعدم الظلم نجدهم ظلمة جائرين آكلين لأموال الناس بالباطل كما أخبرنا الله بذٰلك عنهم، وكما يدل عليه واقع الكنائس وسيرتها. يقول الله عز وجل: **﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ والرُّهبَانِ لَيأْكُلُونَ أَموالَ النَّاسِ بالباطِلِ ويَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ**

---

(١) سورة لقمان آية ١٣.

(٢) سورة الأنعام آية ٨٢.

(٣) حم ١ / ٣٧٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٦ / ٣٣٨.

(٥) تقدم تخريجه انظر: ص ١٦٩ هامش ٣.

الله﴾[1].

يقول الحافظ ابن كثير: (ذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس، يأكلون أموالهم بذلك)[2].

ولعل من أبرز مظاهر ذلك ما تمارسه الكنيسة من إصدار ما عُرِفَ بـ «صكوك الغفران»[3] وهي صكوك يصدرها أهل السلطة في الكنيسة من البابوات والمطارنة، والبطارقة، والقساوسة، باسم الكنيسة، يغفر بمقتضاها لحاملها ما اقترفه من الآثام والخطايا في حياته، مقابل أن يدفع مبالغ للكنيسة وهذا إلى جانب كونه أكلاً لأموال الناس بالباطل فهو أيضاً قول على الله بلا علم وافتراء عليه، وتعدٍ على ألوهيته عز وجل إذ لا يملك غفران الذنوب والعفو عنها إلا هو سبحانه، ولكن القوم ضلوا ضلالاً بعيداً.

ومن صور جور هذه الأمة وعدم عدلها. أن كل فرقة وطائفة منها، إذا تسلطت على الفرق الأخرى، أذاقتها ألواناً من الظلم والبطش والاضطهاد ولم ترقب فيها إلاًّ ولا ذِمَّةً. يقول د. أحمد شلبي: «تكرر في تاريخ المسيحية حدث عظيم لم يتخلف، وهو إلتجاء الجانب القوي إلى أعنف وأقسى وسائل الاضطهادات، والتعذيب، والتنكيل، والحرق، والإفناء يسلطها على الجانب الضعيف. . . والعجيب أن المسيحيين اضطهدوا من اليهود والرومان، ونزلت بهم الويلات في القرون الثلاثة الأولى، فلما بدأ جانبهم يشتد رأيناهم ينزلون نفس الويلات بمخالفيهم من أبناء دينهم، ومن اتباع الأديان الأخرى، ومن هنا فنيت مذاهب مسيحية كثيرة كان بعضها في وقتٍ ما، له الغلبة في العدد ولكن

---

(١) سورة التوبة آية ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٨٠.

(٣) للاطلاع على صورة وفحوى هذه الصكوك راجع كتاب محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة ص ١٧٢، ط. دار الفكر. والمسيحية، للدكتور أحمد شلبي ص ٢٥٤ ط. السادسة ١٩٧٨.

تنقصه القوة والسلطان، وكان فناء هٰذه المذاهب بسبب قسوة اليهود والرومان أحياناً، وأحياناً بسبب قسوة فرق مسيحية أخرى قويت واشتدت بالأباطرة وذوي النفوذ»[1].

وهٰذا مصداق قوله تبارك وتعالى: **﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصارَى أَخَذْنا مِيْثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ العَداوَةَ والبَغْضاءَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ وسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾**[2].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (... أي: فألقينا بينهم العداوة والتباغض لبعضهم بعضاً، ولا يزالون كذٰلك إلى قيام الساعة، وكذٰلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين، يكفر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، فكل فرقة تحرم الأخرى ولا تدعها تلج معبدها، فالملكية[3] تكفر اليعقوبية[4]، وكذٰلك الآخرون، وكذٰلك النسطورية[5].

---

(١) المسيحية ص ٢٣٧.

(٢) سورة المائدة آية ١٤.

(٣) الملكية، أو الملكانية: أصحاب ملكان الذي ظهر بأرض الروم، ومعظم الروم ملكانية، صرحوا بإثبات التثليث وقالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته. انظر عنها: الشهرستاني، الملل والنحل ٢ / ٢٧.

(٤) اليعقوبية: نسبة إلى يعقوب البراذعي، مصري ظهر في منتصف القرن السادس الميلادي. وهم الذين يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت. انظر: محاضرات في النصرانية ص ١٤٠، ١٥٩.

(٥) النسطورية: نسبة إلى نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، كان بطريرك القسطنطينية، يرى أن العذراء لم تلد إلٰهاً بل ولدت إنساناً، وهو يرى أن الأقنوم الثاني وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره من المثلثين. انظر: الشهرستاني، الملل ٢ / ٢٩، ومحاضرات في النصرانية، لأبي زهرة ص ١٥٧.

والآريوسية[1]، كل طائفة تكفر الأخرى. . .)[2].

وكمثال على ما ذكر من ظلم أمة النصارى وجور بعضهم على بعض، ما لاقاه أقباط مصر ـ وهم من الطائفة اليعقوبية ـ من ظلم واضطهاد على يد أبناء دينهم البيزنطيين الذين كانوا يحكمونهم قبل الفتح الإسلامي لمصر.

يقول المستشرق توماس آرنولد: (. . . فإن اليعاقبة ـ وهم الأقباط ـ الذين كانوا يكونون السواد الأعظم من السكان المسيحيين، قد عوملوا معاملة مجحفة من اتباع المذهب الأرثوذكسي[3] التابعين للبلاط، الذين ألقوا في قلوبهم بذور السخط والحنق اللذين لم ينسهما أعقابهم حتى اليوم.

كان بعضهم يعذب ثم يلقى بهم في اليَمِّ، وتبع كثير منهم بطْريقَهم إلى المنفى لينجـوا من أيدي مضـطهـديهم، وأخفى عدد كبير منهم عقـائـدهم الحقيقية، وتظاهر بقبول قرار خلقدونية[4].

---

(١) الأريوسية: هم أصحـاب آريوس وكـان قسيسـاً بالإسكندرية، ومن قوله: التوحيد، المجرد وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق وأنه كلمة الله التي بها خلق السماوات والأرض، ابن حزم، الفصل ١ / ٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٦٢.

(٣) وهم التابعون للكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، وأكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية. . . كروسيا والبلقان واليونان، وكان مقرها الأصلي القسطنطينية. انظر: شلبي، المسيحية ٢٣٨.

(٤) خلقـدونية: هو ثغـر منه المصيصه وطرطوس وأدنه في آسيا الصغرى على البسفور، وينسب إليه مجمع مسيحي عقد فيها سنة ٤٥١، حضره، ٥٢٠ اسقفاً، وقيل: أكثر، وكان من أهم قرارته:

١ ـ أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة وأن الألوهية طبيعة وحدها. والناسوت طبيعة وحده التقتا في المسيح.

٢ ـ لعن «ديسقورس» بطريرك كنيسة الإسكندرية ونفيه.

انظر: محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة ص ١٣٧.

وقد جلب الفتح الإسلامي إلى هٰؤلاء القبط ـ ذٰلك اللفظ الذي يطلق على المسيحيين من اليعاقبة في مصر ـ حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم ينعموا بها قبل ذٰلك بقرن من الزمان)[1].

وكثيراً ما كان الحكم الإسلامي مخلصاً لكثير من طوائف النصارى من حقد واضطهاد وظلم، وبجانب عامل العدل والتسامح الذي عرف به الفاتحون المسلمون، كان هٰذا من العوامل التي جعلت الكثير من المسيحيين يفضلون الحكم الإسلامي على حكم أبناء دينهم من أتباع الطوائف الأخرى. كما تقدم لنا شواهد ذٰلك في مبحث «شهادة الأعداء بعدالة الأمة الإسلامية»[2].

ب) العدل فيما بينهم وبين غيرهم من الأمم:

سبق لنا في بحث العدل فيما بينهم كيف أن المسيح عليه السلام، أمرهم بمقابلة السيئة بالحسنة وأن لا يردُّوا على من أساء إليهم، وتلك مثالية عالية لم تبلغها همم القوم، ولعل ما نزل بهم من ظلم يهود والرومان واضطهادهم المرير لهم أيام ضعفهم وذلتهم، ترك في أنفسهم الرغبة في الانتقام متى استطاعوا ذٰلك، بل والاعتداء إن قدروا.

وإن نحن استنطقنا تاريخ القوم أفصح لنا عن سوءات يتوارى المرء منها خجلاً، إذْ تُثْبِتُ الوقائع التاريخية أن القوم كانوا شديدي الظلم والاضطهاد لمن يقع تحت سلطانهم من أهل الأديان الأخرى، إذ ليس لأهل هٰذه الأديان بينهم مقام فإما التنصر وإما القتل أو الرحيل.

ولم يكن اضطهادهم للمخالفين عملاً فردياً يبدو حيناً ويختفي حيناً بل

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ١٢٣.

(٢) انظر: ص ١٧٨ وما بعدها.

كان سياسة ثابتة حاسمة تستهدف إفناء الخصوم ومحو آثارهم.

فكانت المذابح العامة تدبر وتنفذ بوحشية بالغة ترتكب خلالها فضائع وجرائم يندى لها جبين الإنسانية فضلاً عن أتباع نبي كان من تعاليمه ما ذكرنا.

ولعلّ من أبلغ الأمثلة الشاهدة على مبلغ ظلم القوم وحقدهم تلك المذابح التي ارتكبها الصليبيون ضد سكان بيت المقدس إبان استيلائهم عليها، عندما تخاذل عن الدفاع عنها العبيديون، إذ اكتفى واليهم آنذاك ـ افتخار الدولة ـ بتأمين نجاته مع حرسه الخاص، وترك المدينة للصليبيين يعيثون فيها فساداً، بعد أن دافع عنها دفاعاً هزيلاً، ذراً للرماد في العيون.

وسنعيش أحداث هٰذه المأساة مع قسيس صليبي هو «القس ريمند» وهو شاهد عيان يروي لنا ما فعله أبناء عمومته، وهو غير متهم بالمبالغة في تصوير المأساة إن لم يحاول إخفاء بعض المخازي. يقول: بعد دخوله بيت المقدس: (وشاهدنا أشياء عجيبة، إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين، وقتل غيرهم رمياً بالسهام، أو أرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق الأبراج، وظل بعضهم يعذبون عدة أيام، ثم أحرقوا في النار، وكنتَ ترى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأرجل، والأقدام، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل)[1].

ويقول المستشرق ستيفن رنسيمان في وصف ذٰلك:

(على أنه لم ينج من المسلمين بحياتهم إلاَّ هٰذه الفئة القليلة ـ وهم افتخار الدولة والي العبيديين على القدس وحرسه الخاص ـ إذ أن الصليبيين وقد زاد في جنونهم ما أحرزوه من نصر كبير بعد شقاء وعناء شديد، انطلقوا في شوارع المدينة، وإلى الدور والمساجد يقتلون كل من يصادفهم من الرجال

---

(١) انظر: وول ديوارنت، قصة الحضارة ١٥ / ٢٥.

والنساء، والأطفال دون تمييز، استمرت المذبحة طوال مساء ذٰلك اليوم وطوال الليل، ولم يكن عَلَمُ تانكرد[1] عاصماً للاجئين إلى المسجد الأقصى من القتل، ففي الصباح الباكر من اليوم الثاني اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين فأجهزت على جميع اللاجئين وحينما توجه ريموند آجيل في الضحى لزيارة ساحة المعبد أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه.

وفر يهود بيت المقدس جميعاً إلى معبدهم الكبير، غير أنه تقرر إلقاء القبض عليهم بحجة أنهم ساعدوا المسلمين فلم تأخذهم بهم الرحمة والرأفة، فأشعلوا النار في المعبد، ولقي اليهود بداخله مصرعهم محترقين.

ـ يقول ـ: وتركت مذبحة بيت المقدس أثراً عميقاً في جميع العالم، ليس معروفاً بالضبط عدد ضحاياها[2] غير أنها أدت إلى خلو المدينة من سكانها المسلمين واليهود)[3].

فانظر الفرق والبون الشاسع بين دخول الصليبين هٰذه المدينة المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين واليهود، وبين دخول القائد المسلم صلاح الدين.

وفي الأندلس عند أفول نجم الخلافة الإسلامية فيها وتَغَلُّب النصارى عليها ألحقوا بالمسلمين ضروباً من الظلم والأذى، يصور ذٰلك الدكتور توفيق الطويل في إيجاز فيقول:

(وقد استنفدت الكنيسة جهدها في إقناع المسلمين المقيمين في أسبانيا، لكي يرتدوا عن دينهم ويعتنقوا المسيحية ديناً، وعلى غير جدوى ما بذلت من جهود، فاستجمعت محكمة التفتيش كل قواها، واعتصمت بالجرأة والتعصب،

---

(١) تانكر: أحد قواد الصليبيين، كان المسلمون لما رأوه استسلموا ورفعوا علمه على المسجد.

(٢) ذكر ابن الأثير أنهم يزيدون على سبعين ألفاً. الكامل ٨ / ١٨٩.

(٣) انظر: تاريخ الحروب الصليبية ١ / ٤٠٤ ـ ٤٠٥، ط. الأولى ١٩٦٧م.

وصبت عذابها على المسلمين في غير رفق ولا عدالة، حتى اعتنق النصرانية من خار في ميدان الكفاح، وهاجر من حار بين التمسك بعقيدته، واحتمال آلام العذاب. وفي عام ١٦٠٩ و ١٦١٠م تم إجلاء ألوف المسلمين عن إسبانيا بعد أن أغرقوا بدمهم أرضها، وكتبوا بمقاومتهم أنصع الصفحات في تاريخ الجهاد في سبيل الله)[1].

ولعلّ من أقرب الشواهد إلى الذاكرة على ظلم النصارى ومبلغ اضطهادهم لمعتنقي الأديان الأخرى، ما اقترفه نصارى لبنان الموارنة ضد المسلمين الفلسطينيين في مخيمي «صبرا و شاتيلا» من مجازر ومذابح أودت بأرواح الآلاف من قاطني المخيمين مع ما صاحب ذلك من النهب والتدمير الشامل لمحتويات المخيمين وذلك عقب اجتياح الجيش اليهودي الصهيوني لمدينة بيروت وغيرها من المدن اللبنانية عام ١٩٨٢م ـ ١٤٠٢هـ.

يقول أحد شهود العيان: (. . . دفنت في يوم واحد عدداً إجمالياً مائة وثلاث عشرة جثة. . . وعندما دخلت المخيم رأيت اللحم ملزقاً على الحيطان، وتستطيع أن تقول كل أساليب القتل قد استخدمت: الساطور، البارودة، الرصاص، العصى، كاتم الصوت. . . وكان بين الضحايا من كان عمره تسعين سنة. . . ومن بين الذين دفناهم أطفال أعمارهم بين ٦ ـ ٧ سنوات ونساء من مختلف الأعمار، كانوا؛ ـ أي: النصارى ـ يقتلون كل شيء يتحرك قدامهم)[2]. [3].

---

(١) انظر: قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ص ٧١ ـ ٧٢.

(٢) عبد الله محمد الغريب، وجاء دور المجوس ٢ / ٥٨، ٥٩.

(٣) ولعل ما يحدث في وقتنا هذا ـ وقت إعداد هذه الرسالة للنشر ـ من المجازر والمذابح التي يرتكبها الصرب ضد مسلمي البوسنة والهرسك، على مرأى ومسمع من العالم خير شاهد وأكبر دليل على مبلغ ظلم النصارى واضطهادهم للمسلمين.

وبعد: فإنَّ النصارى ما كانوا في عدائهم عدولاً، ولا رحماء بمخالفيهم، كما هو شأن الإسلام، فقد كانت أفعالهم بخصومهم تفوق كل وصف، ولولا ما نقله شهود العيان مما أنزلوه بغيرهم من الظلم والعدوان لما استطاع المرء أن يتصور أن تَصْدُر هٰذه الأعمال الموغلة في الوحشية والشناعة، من قوم لا دين لهم، فضلاً عن قوم يَدَّعُون أنهم أتباع مَنْ قال لهم: (قد سمعتم أنه قيل: أحبب قريبك وأبغض عدوك، أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وصَلُّوا لأجل من يعنتكم ويضطهدكم)[1].

●●●●●

(١) انجيل متى، الإصحاح الخامس فقرة ٤٣ ـ ٤٤.

الفصل الثاني

في خيريَّةِ هٰذه الأمَّةِ

وفيه مبحثان :

ـ المبحث الأول : في إثبات خيريتها .

ـ المبحث الثاني : في أوجه خيريتها .

المبحث الأول:

في إثبات خيريتها

تقدم لنا في أول الباب[1]: أن الخيريَّة أحد المعاني المثبتة لهٰذه الأمة في قوله تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾[2]. فسّرها بذٰلك الحافظ ابن كثير وغيره.

وقد نصّ الله تبارك وتعالى على خيريّتها في قوله عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[3].

وقال ﷺ في تفسير هٰذه الآية: (إنّكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله)[4].

---

(١) انظر: ص ١٦١.

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٣) سورة آل عمران آية ١١٠.

(٤) ت: تفسير، سورة آل عمران ٥ / ٢٢٦، ح ٣٠٠١، وقال: «هٰذا حديث حسن».

جه: زهد، باب صفة أمة محمد ﷺ ٢ / ١٤٣١، ح ٤٢٨٨. وقال الألباني: حسن. صحيح ابن ماجه ٢ / ٤٢٦.

وقال الحاكم في المستدرك: هٰذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي ٤ / ٨٤، وقال الحافظ ابن حجر: «وهو حديث حسن صحيح»، وذكر من أخرجه. انظر: الفتح ٨ / ٢٢٥.

وفي حديث آخر قال ﷺ: (أُعطِيتُ ما لم يُعْطَ أحد من الأنبياء. فقلنا: يا رسول الله! ما هو؟ قال: نُصِرتُ بالرُّعْبِ، وأُعطِيتُ مفاتيحَ الأرض، وسميتُ أحمد، وجُعِلَ الترابُ لي طهوراً، وجُعلتْ أُمتي خيرَ الأمم)[1].

فهٰذه النصوص تدل على ثبوت عموم الخيريّة لعموم هٰذه الأمة، وإن كان قد وردت بعض الآثار تدل على أن المراد: الصحابة أو بعضهم، ولكن كلها آثار موقوفة أو مقطوعة، ذكرها الإمام ابن جرير الطبري[2]، ثم رجح أن المراد عموم الأمة. فقال عقب ذكره قول الحسن: (نحن آخرها وأكرمها) (وأولى هٰذه الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن)[3]، ثم ذكر حديث بهز ابن حكيم المتقدم[4]. وكذا رجح ابن كثير حمل الآية على العموم فقال: «والصحيح أن هٰذه الآية عامة في جميع الأمَّة كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، ثم الذين يلونهم. . .)[5].

ورجح ذٰلك الحافظ ابن حجر أيضاً[6]:

وما رجحه هٰؤلاء الأئمة هو الحق، فإن النصوص الصحيحة صريحة في العموم، وما جاء من الآثار في تخصيص ذٰلك ببعض الأمة كالصحابة أو بعضهم، لا يقوى على ذٰلك إذ ليس شيء منها مرفوعاً.

---

(١) حم: ١ / ٩٨، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وحسنه الحافظ ابن حجر ٨ / ٢٢٥، وقال ابن كثير: «تفرد به أحمد من هٰذا الوجه، وإسناده حسن» ٢ / ٧٨، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر: المسند بشرح أحمد شاكر ٢ / ١١٣، الثالثة، وعمدة التفسير ٣٢ / ٢١.

(٢) انظر: التفسير ٧ / ١٠٠ ـ ١٠٤.

(٣) نفس المصدر والجزء ص ١٠٤.

(٤) وهو قوله ﷺ: «إنكم تتمون سبعين أمة. . .».

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٧٧.

(٦) انظر: فتح الباري ٨ / ٢٢٥.

وعلى فرض أنها نزلت في الصحابة أو بعضهم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر في علم أصول التفسير.

على أن الصحابة رضوان الله عليهم أول الداخلين في هٰذا العموم، إذ هم خير هٰذه الأمة بعد نبيها ﷺ، كما يدل عليه قوله ﷺ: (خير أمتي قرني)[1] فهم، خيار الخيار، وهم الصفوة الأخيار.

إشكال وجوابه:

قد يشكل على البعض ما ورد من تفضيل الله عز وجل بني إسرائيل على العالمين، واختياره لهم، في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ على العَالَمِيْنَ**﴾[2]، وقوله: ﴿**ولَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلى عِلْمٍ على العَالَمِيْنَ**﴾[3]، فكيف تكون هٰذه الأمة خير الأمم، مع كون بني إسرائيل أفضل العالمين؟

ويزول الإشكال إذا علمنا أن المراد: بـ«العالمين» في قوله تعالى: ﴿**وأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلى العَالَمينَ**﴾، هم عالم زمانهم، وليس جميع العالمين الذين خلقهم الله، أخرج ابن جرير رحمه الله عن قتادة[4] ـ في قوله: ﴿**وأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلى العَالَمِينَ**﴾، قال: (فضلهم على عالم ذٰلك الزمان)[5]، كما أخرج أيضاً عن أبي العالية[6]: ﴿**وأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلى العَالَمِينَ**﴾ قال: (بما أعطوا من

---

(١) تقديم تخريجه. انظر: ص ٩٧.

(٢) سورة البقرة آية ٤٧، وآية ١٢٢.

(٣) سورة الدخان آية ٣٢.

(٤) قتادة: هو ابن دعامة السدوسي. تقدمت له ترجمة، انظر: ص ١٧٩.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢ / ٢٤.

(٦) أبو العالية هو: رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحي، ثقة كثير الإرسال. مات سنة تسعين وقيل: ثلاث وتسعين، وقيل: بعد ذٰلك، ابن حجر: تقريب ١ / ٢٥٢.

الملك والرسل والكتب على عالم من كان في ذٰلك الزمان، فإن لكل زمان عالماً)[1] وكذا عن مجاهد[2]: (قال: على من بين ظهرانيه)[3].

وإلى هٰذا المعنى ذهب ابن جرير[4]، وابن كثير[5] في تفسير الآية.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ـ في الجواب عن هٰذا الإشكال ـ: (قوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿وأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلى العَالَمِينَ﴾ لا يعارض قوله تعالى في تفضيل هٰذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية؛ لأنه المراد بالعالمين عالموا زمانهم بدليل الآيات والأحاديث المصرحة بأن هٰذه الأمة أفضل منهم، كحديث معاوية بن حيدة القشيري[6] في «المسانيد» و«السنن»؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله)[7].

ألا ترى أن الله جعل المقتصد منهم هو أعلاهم منزلة حيث قال: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وكَثِيرٌ مِنْهُم سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[8]، وجعل في هٰذه الأمة درجة أعلى من درجة المقتصد وهي درجة السابق بالخيرات حيث قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ

---

(1) جامع البيان ٢ / ٢٤.

(2) مجاهد هو: ابن جبر (بفتح الجيم وسكون الموحدة)، أبو الحجاج المخزومي مولاهم ثقة، إمام في التفسير وفي العلم. مات سنة ١، ٢، ٣، ١٠٤هـ، وله ثلاث وثمانون سنة. ابن حجر، التقريب ٢ / ٢٢٩.

(3) جامع البيان ٢ / ٢٤.

(4) جامع البيان ٢ / ٢٤.

(5) تفسير القرآن العظيم ١ / ١٢٦.

(6) وهو: معاوية بن حيدة بن معاوية بن كعب القشيري، صحابي، نزل البصرة، ومات بخراسان، وهو جد بهز بن حكيم. انظر: ابن حجر، التقريب ٢ / ٢٥٩.

(7) حم ٤ / ٤٤٧. وانظر: ص ٢٠٥.

(8) سورة المائدة آية ٦٦.

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ﴾[1])[2].

وهٰذا استدلال لطيف على تقدم هٰذه الأمة على بني إسرائيل في الفضل ألمح إليه الحافظ ابن كثير رحمه الله ﷺ تعالى في تفسيره قوله تعالى: **﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وكَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ﴾** حيث قال: (فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد، وهو أوسط مقامات هٰذه الأمة، وفوق ذٰلك رتبة السابقين، كما في قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بالخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللهِ ذٰلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ﴾**[3].

●●●●●

---

(١) سورة فاطر آية ٣٢.

(٢) انظر: دفع أيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص ٢١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٤٠ ـ ١٤١.

المبحث الثاني:

أوجه خيريَّة هٰذه الأُمَّةِ

لم تنل هٰذه الأمة هٰذه المكانة السامقة بين الأمم، مصادفة، ولا جزافاً ولا محاباة، فالله سبحانه وتعالى منزه عن أن يكون في ملكه شيء من ذٰلك، فكل شيء عنده بمقدار، وهو يخلق ما يشاء ويختار.

وهو سبحانه عندما أخبر أن هٰذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، بين وجه ذٰلك وعلته في نفس الآية فقال: **﴿تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾**، فبهٰذه الأمور الثلاثة العظيمة القدر كانت هٰذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، على أنَّ هٰذه الأمور ليست هي كل ما كانت به هٰذه الأمة خير أمة إذ هناك أمور وخلال كثيرة أهَّلَتْ هٰذه الأمة لهٰذه الخيريَّة، ولكن هٰذه الثلاثة أهمها وأعظمها، إذ لا تدوم ولا تستمر هٰذه الخيرية ولا تحفظ إلا بإقامتها وأدائها، فإن فقدت هٰذه الأمور في جيل من أجيال هٰذه الأمة لم يكن حرياً بهٰذه الخيرية التي حظيت بها هٰذه الأمة.

وسأعرض فيما يأتي لأهم أوجه هٰذه الخيرية، محاولاً الإيجاز وعدم الإطالة. فأقول: وبالله التوفيق.

الوجه الأول: إيمانها بالله عز وجل:

وهٰذا الوجه وإن كان يظهر للوهلة الأولى أنه لا اختصاص لهٰذه الأمة به، فغيرها من الأمم يشاركها فيه، فما من أمة من الأمم بعث إليها رسول من الرسل إلا ووجد فيها من آمن به وصدقه واتبعه. إلا أن إيمان هٰذه الأمة يتميز عن إيمان سائر الأمم بأنه إيمان عام شامل، يشمل جميع الرسل التي أرسلت، والكتب التي أنزلت على جميع الأمم التي خلت **﴿آمَنَ الرَّسولُ بما أُنْزِلَ إليهِ مِن رَبِّهِ والمُؤْمِنونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بينَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقالوا**

سَمِعْنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وإلَيْكَ المَصيرُ﴾[1]. وقال ﷺ في حديث جبريل المشهور في بيان حد الإيمان الواجب على هٰذه الأمة: (أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[2].

فحصل لهٰذه الأمة المحمدية من الإيمان بجميع الرسل، وجميع الكتب ما لم يحصل لغيرها باعتبار ما يأتي:

١) أن هٰذه الأمة هي آخر الأمم، كما قال النبي ﷺ: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة...)[3]، وقال في حديث آخر: (نكمل اليوم سبعين أمة نحن آخرها، وخيرها)[4]، وفي حديث آخر: (نحن آخر الأمم وأول من يحاسب)[5] فآمنت بجميع الرسل والكتب التي قبلها، مع إيمانها برسولها الخاتم، وكتابها المهيمن على جميع الكتب، ولم يقع ذٰلك إلَّا لها، فحق لها أن تكون خير الأمم؛ لأنها جمعت خير ما عندهم من الإيمان بالكتب والرسل.

٢) أن كثيراً من الأمم التي قبلها، لم تؤمن بمن كان قبلها من الرسل والكتب، بل كذَّبوا وكفروا بهم. وسيأتي لذٰلك زيادة إيضاح عند الكلام على وسطية هٰذه الأمة في باب أنبياء الله عز وجل إن شاء الله تعالى.

وهٰذا الوجه وإن جاء في الآية تقديمُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه لمعنى اختلف المفسرون في تحديده[6]، إلا أنه باتفاق الجميع هو الأساس

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥.

(٢) م: الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام ١ / ٣٦، ح ١.

(٣) خ: كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة ٢ / ٣٥٤، ح ٨٧٦.

(٤) جه: زهد، باب صفة أمة محمد ﷺ ص ١٤٣٣، ح ٤٢٨٧. وقال الألباني: «حسن» صحيح ابن ماجه ٢ / ٤٢٦.

(٥) جه: زهد، باب صفة أمة محمد ﷺ ص ١٤٣٤، ح ٤٢٩٠. وقال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات. وقال الألباني: «صحيح» صحيح ابن ماجه ٢ / ٤٢٧.

(٦) مما قيل في تعليل ذٰلك: =

الذي يبنى عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا لم يكن ثَمَّتَ إيمان على أساسه يتصور المعروف فيؤمر به، والمنكر فينهى عنه، فليس هناك أمر بمعروف ولا نهي عن منكر بالمعنى الشرعي.

الوجه الثاني: أنها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر:

وهٰذا من أعظم ما به كانت هٰذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، فهو من أظهر خصائصها، وأبرز ما تتميز به عن سائر الأمم، ولذٰلك قدمهما الله عز وجل في الذكر على الإيمان به تعالى، مع كونه ـ أي: الإيمان ـ متقدماً عليهما في الوجود والرتبة، فقال: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾، وقد أمر الله هٰذه الأمة بأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأن يكون فيها من يقوم بذٰلك فقال عز وجل: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ وَيأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ وأولٰئك هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾[1] كما أوجب النبي ﷺ ذٰلك على أمته على حسب الاستطاعة وهي مراتب فقال: (من رأى منكم منكراً فَلْيُغَيِّرْهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذٰلك أضعف الإيمان)[2].

= ١) أنه أخّر الإيمان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجوداً ورتبة؛ لأن دلالتهما على خيرّيتهم أظهر من دلالته عليها.

٢) وقيل: للتعريض بأهل الكتاب الذين كانوا يدعون الإيمان، ولا يقدرون على إدعاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهم كانوا في مجموعهم لا يتناهون عن منكر فعلوه فهما من خصائص هٰذه الأمة المميزة لها.

٣) ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سياج الإيمان، بهما يستمر نقاؤه وصفاؤه وتوهُّجه، بل واستمراره، وكلما ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ضعف الإيمان، ودخلت عليه البدع والمعاصي التي تحول دون تمامه وقوته. وراجع: تفسير أبي السعود ٢ / ٧١، وتفسير المنار ٤ / ٦٤، بتصرف.

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤.

(٢) م: إيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ١ / ٦٩، ح ٧٨.

قال الإمام النووي في شرحه لهٰذا الحديث: (وأما قوله ﷺ: (فَلْيُغَيِّرْه) فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تطابق على وجوب الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين ولم يخالف في ذٰلك إلَّا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم. . . ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف. . .)[1].

ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهٰذه المثابة، عدهما كثير من السلف شرطاً في استحقاق الخيريّة المشار إليها في الآية، مع الإيمان بالله عز وجل: كما روى ابن جرير رحمه الله بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أنه في حجة حجها قرأ هٰذه الآية ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية. ثم قال: (يا أيها الناس! من سرّه أن يكون من تلك الأمَّة فليؤد شرط الله منها)[2]. وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأخرج عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، يقول: (على هٰذا الشرط: أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله)[3].

ولقد كانت هٰذه الأمة أكثر الأمم قياماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل لم يكن في أمة من الأمم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثل ما في هٰذه الأمة، إذ كانت أعظم الأمم التي قبلنا وهم بنو إسرائيل مُفَرِّطين فيهما غير قائمين بهما كما قص الله عز وجل علينا خبرهم في قوله ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢ / ٢٢ ـ ٢٣. (ط. الثالثة ١٤٠٤هـ. دار إحياء التراث العربي).

(٢) جامع البيان ٧ / ١٠٢.

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة.

بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلى لِسَانِ دَاودَ وعِيْسَى ابن مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[١].

فلما قامت هٰذه الأمة بهٰذا الأمر مع تقصير غيرها من الأمم وتفريطها فيه، كانت جديرة بما أثبته الله ورسوله لها من الخيرية، إذ خير الناس آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر، كما جاء عن النبي ﷺ فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن درَّة[٢] بنت أبي لهب قال: (قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال: يا رسول الله! أي الناس خير؟ فقال ﷺ: خير الناس أقرؤهم، وأتقاهم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم)[٣].

الوجه الثالث: كونها خير الأمم للناس وأنفعها لهم:

وذٰلك أن هٰذه الأمة لما قامت بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان من أعظم المعروف الذي تأمر به الإيمان بالله عز وجل وعبادته وحده، ومن أنكر المنكر الذي تنهى عنه وتحذر الناس منه: الإشراك بالله وعبادة غيره من دونه، كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (تأمرونهم بالمعروف؛ أن يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلونهم عليه، و«لا إلٰه إلا الله» هو أعظم المعروف، وتنهونهم عن المنكر، والمنكر هو التكذيب، وهو أنكر المنكر)[٤]. إنما كانت في الواقع تدعو الناس إلى ما فيه نفعهم ونجاتهم، وتنهاهم عما فيه هلاكهم، باذلة في سبيل ذٰلك النفس والنفيس، ليس لها هدف إلَّا القيام بما أوجبه الله عليها من هداية الخلق إلى طريق النجاة، وإخراجهم

---

(١) سورة المائدة آية ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) وهي: دُرّة بنت أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية، ابنة عم النبي ﷺ، أسلمت وهاجرت. انظر: ابن حجر، الإصابة ٤ / ٢٩٧.

(٣) حم: ٦ / ٤٣٢.

(٤) ابن جرير الطبري، جامع البيان ٧ / ١٠٥.

من ظلمات الجهل والشك، والوثنيَّة، إلى نور التوحيد والإيمان، وتحريرهم من عبودية العباد إلى عبودية الخالق جلا وعلا، كما قال ربعي بن عامر[1] رضي الله عنه لرستم[2] قائد الفرس لما سأله: (ما جاء بكم؟ قال: (الله ابتعثنا، والله جاء بنا، لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذٰلك قبلنا ذٰلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبي قاتلناه، حتى نفضي إلى موعود الله، قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي . . .)[3].

لقد كان هٰذا الصحابي الجليل خير سفير لهٰذه الأمة إلى رستم وقومه، ترجم لهم مهمة هٰذه الأمة، وهدفها، وهو أنها لم تخرج لطلب مال، أو ملك، أو أرض، وإنما أخرجها الله، وابتعثها، كما قال عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ بالبناء للمجهول للدلالة على أنها لم تخرج بنفسها لهوى أو مصلحة ذاتية، وإنما أخرجت للناس، الله هو الذي أخرجها؛ لتدعو الخلق إلى عبادة الخالق دون المخلوق، ليس لها هدف سوى ذٰلك. فإن هو تحقق كان ذٰلك غاية ما تطمح إليه وتسعد به (فمن قبل منا ذٰلك، قبلنا ذٰلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا).

من أجل ذٰلك كانت هٰذه الأمة خيرَ الأمم للناس؛ لأنها تدعوهم إلى

---

(١) هو: ربعي بن عامر بن خالد، أَمَدَّ به عمرُ المثنى بنَ حارثة، وكان من أشراف العرب، وكان على مجنبة جيش أبي عبيدة إلى العراق، وله ذكر في غزوة نهاوند، وولاه الأحنف بن قيس لما فتح خراسان على طخارستان. قال ابن حجر: «وقد تقدم غير مرة أنهم كانوا لا يُؤَمِّرُون إلا الصحابة». الإصابة ١ / ٥٠٣.

(٢) وهو: رستم بن الفر خزاذ الأرمني، قائد الفرس في القادسية. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية ٧ / ٣٨.

(٣) ابن جرير، تاريخ الأمم والملوك ٣ / ٥٢٠. وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية ٧ / ٤٠.

الخير، ولا ترجو منهم ثمناً له، بل تجاهد من يحول بينها وبين تبليغ عباد الله دين الله، حتى يخلى بينهم وبينه، ثم بعد ذلك من شاء فليؤمن ومن شاء فاليكفر، إذا تبين للناس الرشد من الغي كما قال عز وجل: ﴿لا إِكْراهَ في الدِّيْن قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾[1]. ﴿وقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها وإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾[2].

لكن هٰذه الأمة بما أوتيت من حب الخير للغير، تكره للناس أن ينتهوا إلى هٰذا المصير الرهيب، وتجهد نفسها ـ في غير منٍّ ولا أذى ـ في سبيل أن تحول بينهم وبينه.

إن أمة تحمل للبشرية كل هٰذا الخير، غير مبالية بما تلقى من عنت، وسغب، ونصب، بما في ذٰلك القتل والقتال، وفراق المال والعيال. لهي بحق خليقة بأن تكون ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؛ لأنها تسعى لنفعهم وهدايتهم وإنقاذهم من العذاب والعقاب الذي ينتظرهم.

يقول الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه في هٰذا المعنى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: (خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلون في الإسلام)[3].

وكذا قال غير واحد من السلف كابن عباس[4]، ومجاهد، وعكرمة، والربيع بن أنس وغيرهم[5].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦.

(٢) سورة الكهف آية ٢٩.

(٣) خ: تفسير، باب ﴿كنتم خير أمّةٍ أُخرجت للنّاس﴾ ٨ / ٢٢، ح ٤٥٥٧ موقوفاً.

(٤) انظر: السيوطي، الدر المنثور ٤ / ٢٩٤.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢ / ٧٧.

الوجه الرابع: كونهم أكثر الناس استجابة للأنبياء:

أشار إلى هٰذا الوجه الإمام ابن جرير رحمه الله بقوله: (وقال آخرون إنما قيل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؛ لأنهم أكثر الأمم استجابة للإسلام، ثم روى عن الربيع[1] أنه قال في الآية: لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هٰذه الأمة فمن ثم قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2].

يدل لذٰلك ما جاء في الصحيح من كونه ﷺ أكثر الأنبياء تبعاً. كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (أنا أول شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد)[3] وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة)[4].

يوضح النبي ﷺ مبلغ هٰذه الكثرة فيقول في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما: (عرضت على الأمم، فجعل النبي والنَّبِيَّان يمرون معهم الرهط[5]، والنبي ليس معه أحد، حتى رُفِعَ لي سواد عظيم، قلت: ما هٰذا؟ أمتي هٰذه؟ قيل: بل هٰذا موسى وقومه. قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سواد يملأ الأفق. ثم قيل لي: انظر هاهنا، وهاهنا ـ في آفاق السماء ـ فإذا سواد قد ملأ الأفق، وقيل: هٰذه أمتك، ويدخل الجنة من هٰؤلاء سبعون ألفاً بغير

---

(١) هو: الربيع بن أنس البكري البصري ثم الخراساني. روى عن أنس بن مالك وأبي العالية. قال العجلي: صدوق، وقال أبو حاتم: صدوق، وهو أحب إلي في أبي العالية، وقال النسائي: ليس به بأس. توفي سنة ١٣٩، وقيل: ١٤٠هـ. ابن حجر، تهذيب التهذيب ٣ / ٢٣٨.

(٢) انظر: جامع البيان ٧ / ١٠٣.

(٣) م: الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة ١ / ١٨٨، ح ٣٣٢.

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة ح ٣٣١.

(٥) الرهط: عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة. وقال بعضهم: من سبعة إلى عشرة. وقيل: الرهط ما دون العشرة من الرجال. انظر: ابن منظور، لسان العرب ٧ / ٣٠٥، مادة (رهط).

حساب . . .)[1].

وهٰذه النصوص الصحيحة صريحة في بيان أن المؤمنين المتبعين للنبي ﷺ من هٰذه الأمة، أكثر من المتبعين لأي نبي من الأنبياء من الأمم السابقة، فهٰذه الأمة أقرب الأمم إلى الحق واعتناقه، وهٰذه علامة الخير والرشد، وبذٰلك كانت ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؛ لكون المؤمنين والمهتدين منها أكثر منهم في الأمم قبلها.

الوجه الخامس: كونها لا تجتمع على ضلالة:

وذٰلك أنها أُمَّة ورثت الرسل في القيام بهداية البشرية ودعوتها إلى ما دعا إليه سائر الرسل من الإيمان بالله وعبادته وحده، فهي ذات رسالة تبلغها، وتستمر في إبلاغها إلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليها.

ولذٰلك ما كان لهٰذه الأمة أن تضل عن مُهمَّتِها ورسالتها مهما طال عليها الأمد، وامتد بها الأجل؛ لأنها إن ضلت هي فلن يهتدي أحد، لانقطاع الوحي والرسالة.

وقد يضل بعض أفرادها وطوائفها عن الحق، بل قد يكفر ويلحد وينافق طوائف منها ولكنها لا تُجْمِع ولا تجتمع على ذٰلك أبداً. بذٰلك أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ، فقال فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: (إن الله قد أجار أمتي أن تجتمع على ضلالة)[2]، بخلاف من قبلها من الأمم، فإنه كان الحق يُغلَب فيهم حتى لا تقوم به طائفة منهم، فهٰؤلاء أهل الكتاب، اليهود منهم

---

(١) خ: كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو ١٠ / ١٥٥، ح ٥٧٠٥.

(٢) ابن أبي عاصم: السنة ١ / ٤١، وحسنه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بمجموع طرقه.

انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣ / ٣١٩ - ٣٢٠، ح ١٣٣١.

والنصارى، اندثر الحق والدين الصحيح بينهم وانقرضت الفرقة التي كانت على الحق أو انحرفت، وأصبحت فرقهم كلها على ضلال وكفر وشك وشرك. فهاهم اليوم بسائر فرقهم وطوائفهم قد أجمعوا على الضلالة والكفر وأعرضوا عما جاء به الإسلام من الحق فليس منهم رجل رشيد.

أما هٰذه الأمة فإنها والحمد لله لا تجتمع على ضلالة أبداً، بل لا بد أن يبقى منها طائفة على الدين الصحيح ظاهرة قائمة به، كما قال ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)[1]، وفي رواية أخرى: (لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)[2].

فأمة تثبت على الخير والإيمان، ولا يضمحل فيها نور النبوة والإسلام، بل يبقى مشتعلاً مضيئاً في يدها تحمله جيلاً بعد جيل إلى أن تلقى الله به آخر طائفة منها، لا شك أنها خير الأمم التي عرفتها البشرية، بما لم تُوغِلْ كما أوغل الكثير من الأمم قبلها في الكفر والضلالة، وبما بقيَ فيها من الخير والهدى ما لم يبق في غيرها من الأمم.

الوجه السادس: كون الكتاب الذي أنزل عليها خير الكتب السماوية:

وذٰلك من وجوه:

١) أنه الكتاب الذي وصفه الله بأنه أحسن الحديث الذي أنزله. فقال تعالى: **﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلودُ الَّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللهِ ذٰلِكَ هُدى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فما لَهُ مِنْ هادٍ﴾**[3].

---

(١)، (٢) تقدم تخريجهما انظر: ص ١٢٢.

(٣) سورة الزمر آية ٢٣.

قال الحافظ ابن كثير: (هٰذا مدح من الله ـ عز وجل ـ لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم)[1]، وهو نص في أن القرآن الكريم أحسن وأفضل من غيره من الكتب السماوية التي أنزلها الله عز وجل قبله.

٢) أنه الكتاب السماوي الوحيد الذي تكفل الله بحفظه وصيانته من الزيادة والنقصان ومن التحريف والتبديل. فقال جلا وعلا: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**[2] فالمراد بالذكر: القرآن، والضمير في قوله: **﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** راجع إليه على الصحيح.

قال فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: (... وهٰذا هو الصحيح في معنى هٰذه الآية، أن الضمير في قوله: **﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** راجع إلى الذكر الذي هو القرآن، وقيل: الضمير راجع إلى النبي ﷺ كقوله: **﴿واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾**[3] والأول هو الحق كما يتبادر من ظاهر السياق)[4].

وأخبر جلا وعلا: أن الباطل لا يتطرق إليه بحال، فقال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**[5]. فكتاب هٰذه الأمّة محفوظ بحفظ الله له، وقد مضى على نزوله الآن أربعة عشر قرناً من الزمان، ولا يزال كما أنزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، لم يستطع أحد أن يزيد فيه حرفاً، أو ينقص منه حرفاً، أو يبدل فيه حرفاً مكان آخر، فهو محفوظ في السطور والصدور، يحفظه عشرات الآلاف من المسلمين، ولو أراد مريد أن يزيد فيه حرفاً أو ينقصه منه لرد عليه صغار أبناء المسلمين قبل كبارهم وذٰلك من حفظ الله له.

(١) تفسير القرآن العظيم ٧ / ٨٤.

(٢) سورة الحجر آية ٩.

(٣) سورة المائدة آية ٦٧.

(٤) انظر: أضواء البيان ٣ / ١٠٧.

(٥) سورة فصلت آية ٤١ ـ ٤٢.

وهٰذه حقيقة ملموسة يعترف بها أعداء الإسلام فضلاً عن أبنائه.

يقول وليم ميمور في كتابه «حياة محمد»: ـ وهو معروف بتحامله على الإسلام ونبيه ﷺ ـ: (لم يمض على وفاة محمد ـ ﷺ ـ ربع قرن حتى نشأت منازعات عنيفة، وقامت طوائف، وقد ذهب عثمان ـ رضي الله عنه ـ ضحية هٰذه الفتن ولا تزال هٰذه الخلافات قائمة، ولكن القرآن ظل كتاب هٰذه الطوائف الوحيد، إن اعتماد هٰذه الطوائف جميعاً على هٰذا الكتاب تلاوة، برهان ساطع على أن الكتاب الذي بين أيدينا اليوم هو الصحيفة التي أمر الخيلفة المظلوم بجمعها وكتابتها، فلعله هو الكتاب الوحيد في الدنيا الذي بقي نصاً محفوظاً من التحريف طيلة ألف ومائتي سنة)[١].

ويقول وهيري في تفسيره للقرآن:

(إنّ القرآن أبعد الصحف القديمة بالإطلاق عن الخلط والإلحاق، وأكثر صحة وأصالة)[٢].

ويقول المستشرق لين بول (**١٨٣٢ ـ ١٨٩٥**)[٣]:

(إن أكبر ما يمتاز به القرآن أنه لم يتطرق شك إلى أصالته، إن كل حرف نقرؤه اليوم نستطيع أن نثق بأنه لم يقبل أي تغيير منذ ثلاثة عشر قرناً)[٤].

وذٰلك بخلاف الكتب السماوية السابقة، التي طرأ عليها الكثير من التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان، بل والضياع أيضاً، وكان من ذٰلك ما

---

(١) حياة محمد ص ٢٢ ـ ٢٣، ط. ١٩١٢. اقتبسه الشيخ أبو الحسن علي الحسن الندوي في كتابه النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ص ٢١٢، ط. دار القلم السادسة.

(٢) ج ١ / ٣٤٩، اقتبسه الشيخ أبو الحسن الندوي. المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) عالم في الآثار المصرية، له عدة مؤلفات، انظر: المستشرقون، لنجيب العقيقي ٢ / ١٦٤.

(٤) عن كتاب (النبوة والأنبياء، لأبي الحسن الندوي ص ٢١٣).

أشـار إليه الحق تبـارك وتعـالى في غير ما آية من كتـابه العزيز كقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقـولـه: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3].

وذٰلك لأن الله عز وجل لم يتكفل بحفظها، وإنما وكل ذٰلك إلى أهلها فضيعوا وحرفوا وبدلوا. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾[4].

قال الشيخ محمد الأمين ـ رحمة الله عليه ـ: (فإنْ قيل: ما الفرق بين التوراة والقرآن، فإن كلاً منهما كلام الله أنزله على رسول من رسله صلوات الله عليهم، والتوراة حرفت، وبدلت. . . والقرآن محفوظ من التحريف والتبديل، ولو حرف منه أحد حرفاً واحداً فأبدله بغيره أو زاد فيه حرفاً أو نقص منه آخر لرد عليه آلاف الأطفال من صغار المسلمين فضلاً عن كبارهم؟

قال: فالجواب: أن الله استحفظهم التوراة، واستودعهم إياها، فخانوا الأمانة ولم يحفظوها، بل ضيعوها عمداً، والقرآن العظيم لم يكل الله حفظه إلى

---

(١) سورة البقرة آية ٧٥.

(٢) سورة البقرة آية ٧٩.

(٣) سورة آل عمران ٧٨.

(٤) سورة المائدة آية ٤٤.

أحد حتى يمكنه تضييعه، بل تولى حفظه جل وعلا بنفسه الكريمة المقدسة كما أوضحه بقوله: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ وقوله: ﴿**لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ الآية إلى غير ذٰلك من الآيات)[1].

٣) أنه الكتاب المهيمن على الكتب قبله:

لما كان القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية المنزلة، وهو الكتاب الذي يحمل الصورة الأخيرة لدين الله، وهو المرجع الأخير في هٰذا الشأن، المرجع الأخير في عقائد الناس، وشرائعهم ونظام حياتهم[2]، فقد جعله الله الكتاب المهيمن على الكتب المنزلة قبله، فقال جل وعلا: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ**﴾[3]؛ أي: هو الشهيد والأمين والمؤتمن والرقيب والحاكم على كل كتاب قبله كما أثر ذٰلك عن ابن عباس وغيره[4]. يقول العلامة ابن كثير رحمه الله: (وهٰذه الأقوال كلها متقاربة في المعنى، فإن اسم «المهيمن» يتضمن هٰذا كله، فهو أمين، وشاهد، وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هٰذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهٰذا جعله شاهداً وأميناً عليها كلها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة فقال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[5])[6].

٤) أنه الكتاب الوحيد الذي تحدى الله البشر أن يأتوا بسورة من مثله:

---

(١) أضواء البيان ٢ / ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) انظر: سيد قطب في ظلال القرآن ٢ / ٧٤٧.

(٣) سورة المائدة آية ٤٨.

(٤) راجع: ابن جرير، جامع البيان ١٠ / ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(٥) سورة الحجر آية ٩.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣ / ١١٩.

القـرآن الكريم معجزة الله الخالدة، التي آتاها نبيه ﷺ، للدلالة على صدقه ونبوته، فتحدى به الجن والإنس، أن يأتوا بمثله فقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[1] وقال تعالى ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[2] ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله. فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[3] فلما لم يستطيعوا تحداهم أن يأتوا بسورة فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[4].

وهٰـذا التحـدي هو من خصائص هٰذا الكتاب العزيز، ولم يقع لكتاب قبله؛ لأن الله عز وجل لم يجعلها معجزة لأنبيائه، وإنما اختص كل نبي منهم بمعجزة رئيسـة من جنس ما برع فيه قومه، فكانت معجزة موسى عليه السلام «العصى» و«اليد» لبـروع قومه في السحر، وجعل معجزة عيسى عليه السلام إحياء الموتى، وإبراء الأكمة والأبرص لبروز قومه في الطب، ثم جعل معجزة نبينـا ﷺ هٰذا الكتـاب الكـريم المعجـز بنـظمه ومعناه فتحدى به العرب مع فصاحتهم وبلاغتهم التي عُرفوا بها.

يقـول ﷺ: (ما من الأنبياء نبي إلاَّ أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشـر، وإنَّما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله، فأرجو أن أكون أكثر تابعاً يوم القيامة)[5]. قال الإمام ابن كثير في معنى قوله ﷺ في الحديث «إنَّما كان الذي أوتيته وحياً»: (أي: الذي اختصصت به من بينهم هٰذا القرآن المعجز للبشر أن

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٨.

(٢) سورة الطور آية ٣٤.

(٣) سورة هود آية ١٣.

(٤) سورة يونس آية ٣٨.

(٥) خ: فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي ٩ / ٣، ح ٤٩٨١.

يعارضوه بخلاف غيره من الكتب الإلٰهية؛ فإنها ليست معجزة والله أعلم)[1].

وبعد: فهٰذا غيض من فيض من فضائل هٰذا الكتاب العظيم، الذي أنزل على هٰذه الأمـة، فهو الكتاب الوحيد الذي وصفه الله بأنه أحسن الحديث، والكتاب الوحيد الذي تكفل الله بحفظه وصيانته من بين سائر كتبه، وهو الكتاب الذي جعله الله مهيمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب، حاوياً لأفضل وأحسن ما جاء فيها، وزايداً عليها بفضائل كثيرة وهو الكتاب الوحيد الذي تحدى الله الجن والإنس أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة من سوره.

وإن اختيار الله عز وجل لكتاب بهٰذه العظمة وهٰذا الفضل ليكون الكتاب الذي ينزله على هٰذه الأمة لَيَدل على فضل هٰذه الأمة وخيريتها.

يقـول الإمام ابن كثير ـ بعد إيراده حديث بهز بن حكيم: (أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله)[2] ـ: (وإنما فازوا بهٰذا ببركة الكتاب العظيم القرآن الذي شرفه الله على كل كتاب أنزله وجعله مهيمناً عليه وناسخاً له وخاتماً له. . .)[3].

وقال الحافظ ابن حجر مبيناً مناسبة إيراد الإمام البخاري لحديث ابن عمر عن النبي ﷺ: (إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس ومثلكم ومثل اليهود والنصارى، كمثل رجل استعمل عمالاً، فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود، فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١ / ٨٩.

(٢) تقديم تخريجه. انظر: ص ٢٠٥ هامش ٤، وص ٢٠٨ هامش ٧.

(٣) انظر: ابن كثير، فضائل القرآن ص ٦١ (ط. مكتب مشرق لطباعة الأوفست ـ طنطا، نشر: مكتبة الصحابة).

قال: هل ظلمتكم من حقكم؟ قالوا: لا، قال: فذاك فضلي أوتيه من شئت)[1] في باب (فضـل القـرآن على سائر الكلام) قال: (ومناسبة الحديث؛ ـ أي: للباب ـ من جهة ثبوت فضل هٰذه الأمة على غيرها من الأمم وثبوت الفضل لها بما ثبت من فضل كتابها الذي أمرت بالعمل به)[2].

الـوجـه السابع: كون نبيها أفضل الأنبياء والرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام:

لقد بيَّن الله عز وجل في كتابه الكريم أنه فضَّل بعض الرسل والأنبياء على بعض، فقال: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**﴾[3]. وقال في آية آخرى: ﴿**وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً**﴾[4].

قال الإمام ابن كثير: (. . . ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء وأن أولي العـزم منهم أفضلهم، وهم الخمسـة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾[5]، وفي الشورى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾[6]، ولا خلاف أن محمداً ﷺ أفضلهم ثم بعده إبراهيم ثم موسى على المشهور)[7].

---

(١) خ: كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام ٩ / ٦٦، ح ٥٠٢١.

(٢) فتح الباري ٩ / ٦٧.

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٣.

(٤) سورة الإسراء آية ٥٥.

(٥) سورة الأحزاب آية ٧.

(٦) سورة الشورى آية ١٣.

(٧) تفسير القرآن العظيم ٥ / ٨٥.

فنبينا ﷺ أفضل الخلق قاطبة، وهو سيد البشر، كما أخبر عن ذٰلك ﷺ في قوله: (أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟)[1]، ثم بين ﷺ أنه يشفع للخلق يوم القيامة حين لا يشفع هٰذه الشفاعة العظمى غيره من الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وقال ﷺ في حديث آخر: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع)[2].

وهو ﷺ حين يقول ذٰلك ويخبر به لا يقوله من باب التفاخر والتعالي، فقد صرح بنفي الفخر في رواية أخرى فقال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)[3] وإنما قاله لوجهين:

أحدهما: امتثال قولـه تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[4].

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه ﷺ بما تقتضي مرتبته، كما أمرهم الله تعالى[5].

ولأنه لا يمكننا معرفة ذٰلك إلا بخبره ﷺ، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله[6].

---

(١) م: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة ص ١٨٤، ح ٣٢٧، وص ١٨٦، ح ٣٢٨.

(٢) م: كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ص ١٧٨٢، ح ٢٢٧٨.

(٣) جه: كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة ٢ / ١٤٤٠، ح ٤٣٠٨. وصححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ٢ / ٤٣٠، وشرح الطحاوية ص ١٧٠.

(٤) سورة الضحى آية ١١.

(٥) النووي، شرح صحيح مسلم ١٥ / ٣٧.

(٦) انظر: ابن أبي العز، شرح الطحاوية ١٧٤.

ولا يشكل على تفضيله ﷺ على غيره من الأنبياء والمرسلين، ما ورد من قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: (لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله)(١)، وقوله ﷺ في رواية أخرى: (لا تفضلوا بين الأنبياء)(٢)، وقوله ﷺ: (لا ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى)(٣).

فإن المراد بالنهي: التفضيل المؤدِّي إلى تنقص المفضول من الأنبياء وهٰذا غير لازم لتفضيل النبي ﷺ؛ لأنهم أفاضل وهو أفضلهم من غير نقص أو تنقص لمكانتهم صلوات الله وسلامه عليهم.

وقال بعض أهل العلم: (المراد بالنهي: التفضيل المؤدي إلى الخصومة والتنازع. وقال بعضهم: أنه ﷺ نهى عن تفضيله على موسى أو غيره من الأنبياء تواضعاً وتأدباً وإلاّ فهو أفضلهم)(٤).

عموم رسالته:

وإن من أعظم ما به فُضِّل نبي هٰذه الأمة صلوات الله وسلامه عليه، ما خصه الله به، من عموم البعثة، وشمول الرسالة لجميع الأمم، وليس ذٰلك لأحد قبله من إخوانه الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) خ: الأنبياء، باب وفاة موسى ٦ / ٤٤١، ح ٣٤٠٨.

(٢) هو رواية أخرى لحديث أبي هريرة قبله.

انظر: الفتح ٦ / ٤٤٤، وتخريج الألباني لشرح الطحاوية ص ١٧١.

(٣) خ: أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾، ٦ / ٤٥٠، ح ٣٤١٣.

(٤) انظر: تفصيل ذٰلك في المراجع التالية: فتح الباري ٦ / ٤٤٦، وشرح النووي على مسلم ١٥ / ٣٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٤٤٩، وشرح العقيد الطحاوية ص ١٧١ وما بعدها.

وفي بيان عموم رسالته يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيْعاً**﴾(1). قال الإمام ابن جرير في تفسيرها: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿**قُلْ**﴾ يا محمد للناس كلهم ﴿**إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**﴾ لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض. فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم»(2).

وقال الإمام ابن كثير: (﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، ﴿**إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيْعاً**﴾؛ أي: جميعكم وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة، ثم ذكر بعض الآيات الدالة على ذلك وقال: والآيات في هذا كثيرة، كما أنَّ الأحاديث في هذا أكثر من أن تُحْصَرَ.

وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنَّه صلوات الله وسلامه عليه رسول إلى الناس كلهم)(3).

ومن الآيات الدالة على عموم رسالته ﷺ قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيْراً وَنَذِيْراً**﴾(4)، وقوله عز وجل: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلعَالَمِيْنَ**﴾(5). ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله؛ أن رسول الله ﷺ قال: (أُعْطِيتُ خمساً لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيَّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي،

(1) سورة الأعراف آية ١٥٨.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣ / ١٧٠.

(3) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٤٨٨.

(4) سورة سبأ آية ٢٨.

(5) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)[1].

وكل الأنبياء والرسل قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة دون غيرهم. كما أخبر الله عز وجل، فقال عن نوح: **﴿إِنَّا أَرْسَلْنا نُوْحاً إِلى قَوْمِهِ﴾**[2]. وقال: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ﴾**[3]. وقال عن هود عليه السلام: **﴿وإِلى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾**[4]، وقال عن صالح عليه السلام: **﴿وإِلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾**[5]، وقال عن لوطٍ عليه السلام: **﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾**[6] وقال عن شعيب عليه السلام: **﴿وإِلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾**[7]، وقال عن موسى عليه السلام: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ . إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِ﴾**[8]، وقال عن عيسى عليه السلام: **﴿وَرَسُولاً إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ . . .﴾**[9]. وقال في حق محمد ﷺ: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾** لجميع الناس، بل والجن أيضاً فقد ثبت أنه ﷺ مرسل إليهم أيضاً، وقد بلغهم ﷺ كما أخبر المولى بذلك في قوله: **﴿وإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِيْنَ . قَالُوا يَا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلى الحَقِّ**

---

(١) خ: التيمم، ١ / ٤٣٥ - ٤٣٦، ح ٣٣٥. م: المساجد، ٢ / ٦٣.

(٢) سورة نوح آية ١.

(٣) سورة الأعراف آية ٥٩.

(٤) سورة الأعراف آية ٦٥.

(٥) سورة الأعراف آية ٧٣.

(٦) سورة الأعراف آية ٨٠.

(٧) سورة الأعراف آية ٨٥.

(٨) سورة هود آية ٩٦ - ٩٧.

(٩) سورة آل عمران آية ٤٩.

وإلى طَرِيْقٍ مُسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنا أَجِيْبُوا دَاعِيَ اللهِ وآمِنوا بهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيْمٍ﴾[1] .

قال الإمام البيهقي : (فبان بقوله : **﴿يَا قَوْمَنا أجِيْبُوا دَاعِيَ اللهِ﴾** أنهم عرفُوا أَنَّهُ مبعوث إليهم ، وسمعوا دعوته إياهم والذين لم يحضروه من جملتهم فلذٰلك قالوا : يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به ، فقالوا : آمنا به)[2] ، كما دل على ذٰلك قوله عز وجل : **﴿قُلْ أُوْحِيَ إليَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً . يَهْدِي إلى الرُّشْدِ فَآمنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً﴾**[3] .

وقـال الإمام ابن كثير في تفسيره لآية «الأحقاف» : (فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً صلوات الله وسلامه عليه إلى الثقلين الإنس والجن حيث دعاهم إلى الله وقرأ عليهم السورة التي فيها خطابُ الفريقين وتكليفهم وَوَعْدُهم ووعيدُهم ، وهي سورة الرحمن . ولهٰذا قال : **﴿أَجِيْبُوا دَاعِيَ اللهِ﴾**[4] .

ختم النبوة به :

وممـا يدل على مبلغ فضله ﷺ وعلو مقامه ، أنّ الله ختم به النبوات ، وبـرسالته الرسالات ، فلا تحتاج البشرية بعده إلى نبي ، ولا بعد رسالته ودينه الكامل الشامل إلى رسالة أو دين . يقول عز وجل : **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ ولَكنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾**[5] .

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الأحقاف آية ٢٩ ـ ٣١ .

(٢) الجامع لشعب الإيمان ، (ط. الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م . نشر : الدار السلفية ، بومباي ـ الهند) ، ٤ / ١٠٤ .

(٣) سورة الجن آية ١ ـ ٢ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧ / ٢٨٦ .

(٥) الأحزاب آية ٤٠ .

قال: (إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلَّا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هٰذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين)(١).

وبعد: فإن هٰذه الأمة إنما حازت قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد ﷺ، فإنَّه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله، بعثه الله بشرع كامل عظيم، لم يعطه نبياً قبله ولا رسولاً من الرسل، فالعمل على منهاجه وسبيله، يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه(٢).

ولأمة يختار الله لها أفضل رسله، وأعلاهم مكانة ومنزلة عنده وأحبهم إليه فيبعثه فيها هادياً ونبياً ورسولاً. لهي أمة حرية بأن تكون خير أمة؛ لأنها أمة خير الخلق والرسل منه تعلمت وعلى يديه تربت وبه بَذَّتْ الأمم.

الوجه الثامن: تقديمها على الأمم في الحشر والحساب يوم القيامة ودخول الجنة مع كونها آخر الأمم:

إنَّ مما يدل على فضل هٰذه الأمة، وكونها خير الأمم ما خصها الله به من التكريم والتشريف وتقديمها على سائر الأمم يوم القيامة في الحشر والحساب، كما قال ﷺ: (نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيها؟ فنحن الآخرون والأولون)(٣).

وفي «الصحيح» أنه ﷺ قال: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هٰذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غد)(٤).

---

(١) خ: كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ٦ / ٥٥٨، ح ٣٥٣٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢ / ٧٨.

(٣) تقدم تخريجه، انظر ص ٢١١.

(٤) خ: كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة ٢ / ٣٥٤، ح ٨٧٦.

يقول الحافظ ابن حجر في «شرحه» : (أي : نحن الآخرون زماناً السابقون منزلة . قال : والمراد أن هٰذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية ، فهي سابقة لهم في الآخرة بأنهم أوَّلُ من يحشر وأوَّلُ من يحاسب وأوَّلُ من يقضي بينهم ، وأوَّلُ من يدخل الجنة .

وقيل : المراد بالسبق : احراز فضيلة اليوم السابق بالفضل وهو يوم الجمعة ، ويوم الجمعة وإن كان مسبوقاً بسبت قبله أو أحد لكن لا يتصور اجتماع الأيام الثلاثة متوالية إلا ويكون يوم الجمعة سابقاً)[1] .

وظاهر الحديث يشمل الأمرين ، فقد نص على سبقها يوم القيامة ، كما هو نص في سبقها في الاهتداء لأفضل الأيام الذي هو يوم الجمعة مع تأخرها عن اليهود والنصارى في الزمان والله تعالى أعلم .

وهي كذٰلك أول الأمم دخولاً الجنة ، مع كونها آخر الأمم زماناً ، وذٰلك من تكريم الله لها ، وتفضيله إياها ، يقول ﷺ في ذٰلك : (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة)[2] .

الوجه التاسع : كونها أكثر أهل الجنة :

لَمَّا كانت هٰذه الأمة أكثرَ الأمم استجابة للرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، حتى كان ﷺ أكثر الأنبياء تابعاً ، امتازت بأنها أكثر من يدخل الجنة من الأمم . وفي ذٰلك دلالة جلية على فضلها وخيريتها .

يقول ﷺ : (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا : نعم . قال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا : نعم . قال : أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قلنا : نعم . قال : والذي نفس محمد بيده ؛ إني لأرجوا أن تكونوا

---

(١) فتح الباري ٢ / ٣٥٤ .

(٢) م : كتاب الجمعة ، باب هداية هٰذه الأمة ليوم الجمعة ص ٥٨٥ ، ح ٢٠ (٨٥٥) .

شطر أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر»[1].

●●●●●

---

(١) خ: كتاب الرقاق، باب كيف الحشر ١١ / ٣٧٨، ح ٦٥٢٨.

الفصل الثالث

اعتدال هٰذه الأمة وتوسطها بين طرفي الإفراط والتفريط والغلو والتقصير

وفيه تمهيد ومبحثان:

- المبحث الأول: وسطيتها واعتدالها في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته.
- المبحث الثاني: وسطيتها في باب أنبياء الله ورسله.



تمهيد:

تقدم في أول هٰذا الباب أن الاعتدال والتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط هو أحد معاني الوسطية المثبتة لهٰذه الأمة في قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾[1]. وهو المعنى الذي مال إليه الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية كما تقدم، على أن اختياره له، لا ينافي المعاني الأخرى الثابتة في معنى الوسطية، والتي تقدم الكلام عليها في الفصلين السابقين من هٰذا الباب.

وإن المتأمِّل في دين هٰذه الأمة واعتقادها، وعبادتها ومعاملاتها، ومواقفها بعامة؛ ليدرك أن الاعتدال والتوازن والتوسط أحد الخصائص الهامة التي تميزت بها هٰذه الأمة.

فهي وسط بين الأمم، آخذة بزمام الاعتدال والتوازن، بعيدة عن طرفي الإفراط والغلو، والتفريط والتقصير والجفاء إذ كلاهما مذموم غير محمود، وغاية البعد عنهما هو التوسط بينهما، إذ هو نقطة التوازن والاعتدال.

ولعل من أهم مظاهر اعتدالها وتوسطها؛ كونها وسطاً بين الأمم في الجوانب التالية:

١) في توحيد الله وصفاته:

فهي وسط في ذٰلك بين اليهود والنصارى.

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣.

فاليهود: وصفوا الرب بصفات النقص التي يختص بها المخلوق، وشبهوا الخالق بالمخلوق، فقالوا: إنَّه بخيل، وإنه فقير، وإنه لما خلق السماوات والأرض تعب فاستراح يوم السبت. إلى غير ذٰلك من قبيح قولهم.

والنصارى: وصفوا المخلوق بصفات الخالق التي يختص بها، فشبهوا المخلوق بالخالق، حيث قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، وإن الله ثالث ثلاثة، وقالوا: المسيح ابن الله، وقالوا: إنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب.

والمسلمون: وحَّدُوا الله عز وجل، ووصفوه بصفات الكمال، ونزهوه عن جميع صفات النقص، وأن يشابهه أو يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات، وقالوا: ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته[1].

٢) في أنبياء الله ورسله:

فهٰذه الأمة في هٰذا الباب أيضاً وسط بين اليهود والنصارى.

فاليهود: قتلوا الأنبياء والذين يأمرون بالقسط من الناس، ورموهم بارتكاب الكبائر، وكذَّبوهم، وجفوهم، واستكبروا عن اتباعهم.

والنصارى: غلوا فيهم فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم.

وأما المسلمون: فأنزلوهم منازلهم وعزروهم ووقروهم، وصدقوهم ولم يكذبوهم وأحبوهم وأطاعوهم وآمنوا بهم جميعاً عبيداً لله رسلاً مبشرين ومنذرين. ولم يعبدوهم أو يتخذوهم أرباباً من دون الله.

---

(١) راجع: شيخ الإسلام ابن تيمية، منهاج السنة ٥ / ١٦٨ - ١٦٩، والوصية الكبرى ص ١٤.

٣) **في الشرائع:**

فاليهود: منعوا الخالق أن يبعث رسولاً بغير شريعة الرسول الأول، وقالوا: لا يجوز أن ينسخ ما شرعه، أو يمحو ما يشاء ويثبت.

والنصارى: جوزوا لأحبارهم وأكابر علمائهم وعبادهم أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شاءوا، وينهوا عما شاءوا، كما ذكر الله ذٰلك عنهم؛ بقوله: **﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾**[1]، جاء في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال بعد هٰذه الآية: (أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه)[2].

والمسلمون: قالوا: لله الخلق والأمر، يمحوا ما يشاء ويثبت، وقالوا: إن الله يحكم ما يريد، وأما المخلوق فليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى، مهما بلغت منزلته وعظم قدره.

٤) **في أمر الحلال والحرام:**

هي في ذٰلك أيضاً متوسطة معتدلة، وهي وسط بين اليهود والنصارى.

فاليهـود: حُرِّم عليهم كثير من الطيبات، مما حرمه إسرائيل على نفسه **﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ﴾**[3]، ومما حرمـه الله عليهم جزاء بغيهم وظلمهم، كما قال تعالى: **﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً . وأَخْذِهِمُ**

---

(١) سورة التوبة آية ٣١.

(٢) ت: كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة ٥ / ٢٧٨، ح ٣٠٩٥. وقال الترمذي: هٰذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. وقال الألباني: «حسن» صحيح الترمذي ٣ / ٥٦، ح ٢٤٧١.

(٣) سورة آل عمران آية ٩٣.

الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وأَكْلِهِمْ أَمْوالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ﴾[1].

والنصارى: أسرفوا في الإباحة، وأحلوا ما نصت التوراة على تحريمه، ولم يأت المسيح بإباحته، فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات، كالميتة والدم ولحم الخنزير، حتى إنهم يتعبدون بالنجاسات كالبول والغائط ولا يغتسلون من جنابة، ولا يتطهرون لصلاة، وكلما كان الراهب عندهم أبعد عن الطهارة وأكثر ملابسة للنجاسات كان مُعَظَّماً عندهم[2].

والمسلمون: أحلوا ما أحله الله ورسوله لهم من الطيبات، وحرموا ما حرم عليهم من الخبائث، واتبعوا في ذٰلك **﴿الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ في التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بالمَعْرُوفِ ويَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ﴾**[3].

٥) في العبادة:

وهم وسط في ذٰلك بين:

اليهود: الذين أعرضوا عن العبادات، واستكبروا عن عبادة الله، واشتغلوا بالشهوات، وعبَّدُوا أنفسهم للمادة، واشتغلوا بدنياهم عن دينهم وآخرتهم، حتى إنك تكاد لا تجد فيما بين أيديهم من كتابهم ذكراً للجزاء الأخروي على الأعمال والعبـادات، وإنما يجعلون جزاء ذٰلك في الدنيا، من زيادة في المال والرزق ومعافاة في الجسد والبدن، وإن وجد ذكر لذٰلك وهو قليل، فعمل القوم على خلافه.

---

(١) سورة النساء آية ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) انظر: ابن تيمية، كتاب الصفدية. بتصرف ٢ / ٣١٣، (بتحقيق د. محمد رشاد سالم، ط. الثانية ١٤٠٦هـ).

(٣) سورة الأعراف من آية ١٥٧.

والنصارى: غلوا في الرهبنة، وتعبدوا ببدع ما أنزل الله بها من سلطان، ولا أمـرهم بهـا نبي ولا رسـول، فاعتـزلوا الناس، وانقطع عبادهم في الأديرة والخلوات والزموا أنفسهم ما لم يلزمهم الله به مما يشق على النفس والجسد، ويغالب الفطرة البشرية ويضادها، فلم يستطيعوا الوفاء بما ألزموا أنفسهم به من ذٰلك كما قال عز وجل عنهم: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ فَمَا رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها فَآتَيْنا الَّذينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرهُمْ وكَثِيرٌ مِنْهُم فَاسِقُونَ**﴾[1].

والمسلمـون: عبـدوا الله وحده بما شرع، ولم يعرضوا ويستكبروا عن عبادته كما فعل اليهود. ولم يبتدعوا في عبادتهم ما لم يأذن به الله، كما فعل النصارى.

ولم يقصـروا فيمـا فرض عليهم من العبـادات، وأمروا به من الفرائض والنوافل ولم يفْرطوا في التعبد فيحملوا أنفسهم **ما** لا يطيقون، بل كانوا بين ذٰلك على صراط مستقيم، فصـاموا وأفطروا، وقاموا الليل، وناموا، وتزوجوا النساء وجـاهـدوا في سبيل الله بأمـوالهم وأنفسهم ولم ينسوا نصيبهم وحظوظهم من الدنيا، قدوتهم في ذٰلك نبيهم ﷺ.

وبعد:

فجوانب وسطية هٰذه الأمة كثيرة ومظاهر ذٰلك يتعذر علينا حصرها، بَلْه تفصيلها، فليس ذٰلك بمستطاع في مثل هٰذا المقام، ولكن سنكتفي بما سبق أن أجملنا ذكره من ذٰلك، وسنعرض بشيء من التفصيل للمظهر الأول والثاني في المبحثين الآتيين، وبالله التوفيق.

●●●●●

---

(١) سورة الحديد من آية ٢٧.

المبحث الأول:

وسطيتها في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته

إنَّ المتأمل في كتاب الله تبارك وتعالى وما جاء فيه عن دعوات الرسل وما أُنزل عليهم من الكتب ليخرج بحقيقة واحدة، أطبق عليها جميع الرسل، وأُنزلت بها جميع الكتب السماوية. هٰذه الحقيقة هي: الدعوة إلى توحيد الله وعبادته دون سواه. فهي أُسُّ الرسالات وعمودها الفقري، وهي القاسم المشترك بينها. وإن اختلفت بعد ذٰلك الشرائع والمناهج فما من نبي أرسل ولا كتاب أنزل إلَّا وكان أول ما يدعو إليه هو توحيد الله تبارك وتعالى.

يقول الله عز وجل في تقرير هٰذه الحقيقة: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيْرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِيْنَ**﴾[1]، وفي آية أخرى يقول: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[2].

وإذ استعرضنا القرآن الكريم في حديثه عن رسل الله عليهم الصلاة والسلام نجد أن كل رسول قال لقومه: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾[3]. ابتداء من أولهم نوح عليه السلام، وانتهاء بخاتمهم نبينا محمد ﷺ.

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام دينهم واحد، وهو الإسلام، وشرائعهم مختلفة كما قال المصطفى ﷺ: (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا

---

(١) سورة النحل آية ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء آية ٢٥.

(٣) انظر مثلاً: سورة المؤمنين آية ٢٣، والأعراف آية ٦٥، ٧٣، ٨٥، والعنكبوت آية ١٦، والمائدة آية ٧٢.

والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[1].

قال الحافظ ابن حجر: (ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع. وقيل المراد: أن أزمنتهم مختلفة)[2].

وقال الحافظ ابن كثير في معنى الحديث: (أي: القدر المشترك بينهم وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم لقوله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**﴾[3])[4].

وكل الأنبياء أخبروا بأنهم مسلمون ودعوا قومهم للإسلام[5]؛ لأنه الدين الحق الذي لا يقبل الله غيره ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ وَما اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ إلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جاءَهُمُ العِلمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بآياتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيْعُ الحِسَابِ**﴾[6]، ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيْناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرِيْنَ**﴾[7].

وهٰذا يدل على أن دين جميع الأنبياء واحد وهو الإسلام ودعوتهم واحدة وهي الدعوة لتوحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، على هٰذا مضى رسل الله والمسلمون من أممهم.

ولكن قومهم غيروا وبدلوا بعدهم، وحرفوا وأدخلوا في دين الله ما لم يأذن

---

(١) خ: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿**واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها**﴾ ٦ / ٤٧٨، ح ٣٤٤٣.

(٢) فتح الباري ٦ / ٤٨٩.

(٣) سورة المائدة آية ٤٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧ / ١٨٣.

(٥) انظر مثلاً الآيات: ٦٧، ٥٢، من سورة آل عمران، والآيات ١٢٨، ١٣٢ من سورة البقرة. وسورة المائدة آية ١١١، والآيات ٣١، ٤٢، ٤٤، ٩١، وسورة يونس آية ٨٤.

(٦) سورة آل عمران آية ١٩.

(٧) سورة آل عمران آية ٨٥.

به الله، وشمل التحريف والتبديل أساس دعوة الرسل، وهو التوحيد. وما يتعلق بذات الله عز وجل من الأسماء والصفات فتفرقت الأمم في ذٰلك ما بين مُفْرِط، ومُفَرِّط، وغال ومقصر، لإعراضهم عن هدي المرسلين واتباعهم غير سبيل المؤمنين.

ومن أعظم الأمم اختلافاً وضلالاً في هٰذا الباب، أمتا اليهود والنصارى؛ فاليهود غلب عليهم التقصير والتفريط والجفاء، وإن كان لديهم غلو وإفراط، والنصارى غلب عليهم الغلو والإفراط وإن كان وقع منهم تفريط وتقصير في جوانب.

والمسلمون اتَّبَعوا الرُّسل، فهدوا لأقوم السُّبُل، فكان قولهم هدى بين ضلالتين، وحقاً بين باطلين، فهو كلَبَنٍ سائغٍ يخرج من بين فرث ودم.

وفي هٰذا المبحث سنبين ما ذهب إليه كل من هٰذه الأمم الثلاث في هٰذا الباب بعون الله تعالى.

● أولاً: موقف أمة اليهود:

عرفنا مما تقدم أن أمة يهود، أمة غلب عليها طابع، التفريط، والتقصير في هٰذا الباب، بل هو الغالب عليهم في أكثر الأبواب.

ولعل من أبرز مظاهر تفريطهم وتقصيرهم في هٰذا الباب أمرين:

الأول: اتخاذهم الأنداد لله عز وجل، وعبادة الأصنام.

والثاني: إغراقهم في تشبيه الخالق بالمخلوق، ووصف الله عز وجل بالنقائض التي لا تليق إلا بالمخلوق.

فأما الأمر الأول: وهو اتخاذهم الأنداد وعبادة الأصنام:

فإنَّ القوم، لما أنقذهم الله من عدوهم فرعون وجنوده، وجاوز بهم البحر مع موسى عليه السلام، وأغرق عدوهم على مشهد منهم، ومروا على قوم

يعكفون على أصنام لهم. مالت نفوسهم إلى الوثنية وطالبوا موسى عليه السلام أن يجعل لهم مثلها. يقول الله جل وعلا في ذلك: ﴿وَجاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ البَحْرَ فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا يا مُوسَى اجْعَل لَنا إِلٰهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَومٌ تَجْهَلُونَ﴾[1]، ثم بين لهم موسى عليه السلام ضلال أولئك وبطلان عملهم، وأن الإله الحق هو الله الذي فضلهم على العالمين فقال: ﴿إِنَّ هٰؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ وَباطِلٌ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ . قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلى العَالَمِينَ﴾[2].

اتخاذهم العجل في زمن موسى:

لم يلق نصح موسى عليه السلام وتذكيره ووعظه من القوم قلباً واعياً أو أذناً صاغية، فما إن تركهم عليه السلام وذهب إلى ربه يناجيه، حتى اتخذوا العجل من بعده إلٰهاً من دون الله قال تعالى: ﴿واتَّخَذَ قَومُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ ولا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾[3]. ﴿وإِذْ واعَدْنا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[4].

ثم بيَّن تعالى من تولى كبر إضلالهم وصناعة العجل لهم. فقال: ﴿قالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ. . .﴾ - إلى قوله: - ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا هٰذا إِلٰهُكُمْ وإِلٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾[5].

فبيَّن تعالى أن الذي عمل لهم العجل هو السامري. ومن العجيب أن

---

(١) سورة الأعراف آية ١٣٨.

(٢) سورة الأعراف آية ١٣٩ - ١٤٠.

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٨.

(٤) سورة البقرة آية ٥١.

(٥) سورة طه الآيات من ٨٥ - ٨٨.

كتاب العهد القديم ينسب هذا العمل الشنيع إلى هارون عليه السلام كما جاء في «سفر الخروج»[1] كما سيأتي الكلام على ذلك في المبحث الثاني إن شاء الله[2].

ولقد تكرر من القوم، اتخاذ الأصنام وعبادتها بعد موسى عليه السلام. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأهل الكتاب معترفون بأن اليهود عبدوا الأصنام مرات. . .)[3].

وفي كتاب العهد القديم، إشارات كثيرة لعبادتهم الأوثان والأصنام، من ذلك:

١) ما جاء في «سفر الملوك الثاني» عن عودتهم لعبادة العجل في عهد رَحُبْعام[4]. يقول السفر: (. . . وعمل عجلي ذهب وقال لهم: كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم هو ذا ألهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ووضع واحداً في بيت أيل، وجعل الآخر في دان)[5].

٢) عبادتهم الأفعى وبعض التماثيل:

يذكر «سفر الملوك الثاني» عن الملك حزقيال أنه: (أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى؛ لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها. . .)[6].

---

(١) انظر: العهد القديم، سفر الخروج إصحاح ٣٢ فقرة ١ ـ ٦.

(٢) انظر: ص ٢٦٣.

(٣) الجواب الصحيح ٣ / ٢٤٧.

(٤) وهو: رَحُبْعام بن سليمان عليه السلام. ملك بعد أبيه. انظر: سفر الملوك الأول إصحاح ١١ فقرة ٤٣، وانظر: محمد عزة دروزه، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، (ط ١٣٨٩هـ. نشر: المكتبة العصرية ـ بيروت)، ص ١٧٧.

(٥) سفر الملوك الأول، إصحاح ١٢ فقرة ٢٨ ـ ٢٩.

(٦) إصحاح ١٨ فقرة ٤.

على أن موسى عليه السلام لم يعمل تمثالاً نحاسياً للحية، وإنما كانت عصاه تنقلب إلى حيَّة تسعى معجزة له، ثم تعود سيرتها الأولى بعد ذٰلك عصا يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه، لكن لعل بني إسرائيل عملوا ذٰلك ونسبوه إلى موسى عليه السلام لتروج عند الناس ويعظموها ويعبدوها. والله تعالى أعلم.

وأما الأمر الثاني: وهو قولهم بالتشبيه ووصف الخالق بصفات المخلوق:

وهٰذا أمر مشهور عنهم، حتى عدّه الشهرستاني[1] من طباعهم الملازمة لهم، فإنّ القوم أسرفوا في تشبيه الله عز وجل بالمخلوق، ووصفوه جل وعلا بالنقائص التي تختص بالمخلوق.

ولقد سجل القرآن الكريم عليهم صوراً من ذٰلك. وكتابهم الذي بين أيديهم ينضح بالكثير من ذٰلك. ونحن نذكر فيما يلي نماذج من أقوالهم التي شبهوا فيها الخالق عز وجل بخلقه:

١) فمن ذٰلك: (وصفهم الله بالفقر).

وهو صفة لا تليق بخالق البشر، ولكن القوم لا عقول لهم ولا حياء عندهم. يقول عز وجل في ذٰلك: **﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيْرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيْقِ﴾**[2].

٢) ومن ذٰلك: (وصفهم له بأن يده مغلولة).

قال عز وجل ذاكراً قولهم هٰذا: **﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ. . .﴾**[3].

---

(١) انظر: الملل والنحل ١ / ١٠٦.

(٢) سورة آل عمران آية ١٨١.

(٣) سورة المائدة آية ٦٤.

٣) وصفوه بأنه: (يحزن، ويندم على أفعاله). تعالى عن ذٰلك علواً كبيراً.

يصفه «سفر التكوين» بذٰلك فيقول: (ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه، فقال الرب: امحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء؛ لأني حزنت أني عملتهم)[١].

٤) ووصفوه: (بالتعب والاستراحة) تعالى عن ذٰلك.

جاء في «سفر الخروج»: (أذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملاً أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك، ونزيلك الذي داخل أبوابك؛ لأن في ستة أيام صنع الرب الأرض والسماء والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذٰلك بارك الرب يوم السبت وقدسه. . .)[٢].

وفي «سفر التكوين»: (فأكملت السماوات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل)[٣].

٥) وقالوا: (بأنه إنسان وأنه صارع يعقوبَ عليه السلام إلى الفجر).

ففي «سفر التكوين»: (فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني؛ لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب. فقال: لا يدعى اسمك في ما بعد

---

(١) إصحاح ٦ فقرة ٥ ـ ٨.

(٢) إصحاح ٢٠ فقرة ١ ـ ١٧.

(٣) إصحاح ٢ فقرة ١ ـ ٢.

يعقوب بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. . . فدعا يعقوب اسم المكان فينئيل قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي)[1].

٦) وصفوه بما يفيد أنه؛ (لا يعلم الغيب ويحتاج علامات يميز بها بني إسرائيل من غيرهم، فوضع الدم علامة على بيوت بني إسرائيل ليميزها عن بيوت المصريين حتى لا يهلكهم).

ففي «سفر الخروج»: (أن الرب كلم موسى عليه السلام وقال له فيما قال: فإني أجتاز في أرض مصر هٰذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم، وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين أنا الرب، ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر)[2].

٧) أنهم: (جعلوا له أبناء كما أن للمخلوق أبناء).

جاء في «سفر التكوين»: (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا)[3].

وحكى الله عز وجل عنهم أنَّهم جعلوا له ابناً فقال: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ. . .**﴾[4].

ثانياً: موقف النصارى:

لقد ضلت أمة النصارى في هٰذا الباب ضلالاً بعيداً، ولعل أمة من الأمم لم تضـل في دينها وربها وإلٰهها كما ضل الذين قالوا إنا نصارى. ولا عجب

---

(١) إصحاح ٣٢ فقرة ٢٤ ـ ٣٠.

(٢) سفر الخروج، إصحاح ١٢ فقرة ١٢ ـ ١٣.

(٣) إصحاح ٦ فقرة ١ ـ ٢.

(٤) سورة التوبة آية ٣٠.

فالضلالة صفتهم المميزة لهم، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في قوله: (اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضلال)[1]. قال ذلك في تفسير قول الله عز وجل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[2].

ولعل من أعظم ضلالهم في باب توحيد الله وصفاته أنهم:

١) شبهوا المخلوق بالخالق:

وأضفوا عليه من الصفات والخصائص ما لا يليق إلا بالله عز وجل. ولا يصلح إلّا له سبحانه. فوصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به، فقالوا: (إنه يخلق، ويرزق، ويغفر، ويرحم، ويتوب على الخلق وثيب ويعاقب)[3] إلى غير ذلك من خصائص الربوبية، وصفات الألوهية التي لا تكون إلا لله سبحانه.

وذلك أن هذه الأمة الضالة، جعلت المسيح عليه السلام هو الله، كما ذكر الله عز وجل قولهم هذا وأكفرهم به فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾[4].

وتارة جعلوه ابناً لله سبحانه وتعالى عما يقول المبطلون، وعن قولهم هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[5].

---

(١) ت: كتاب التفسير، باب ومن سورة الفاتحة ٥ / ٢٠٤، ح ٢٩٥٤، من حديث عدي ابن حاتم رضي الله عنه.

(٢) سورة الفاتحة آية ٧.

(٣) ابن تيمية، الوصية الكبرى، (ط. الأولى ١٤٠٧هـ. بتحقيق أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود، نشر: مكتبة ابن الجوزي)، ص ١٤.

(٤) سورة المائدة آية ١٧.

(٥) سورة التوبة آية ٣٠.

وقالوا تارة أخرى أنه شريك لله وجزء من ثلاثة يتكون منها الإلٰه كما ذكر الله قوله هٰذا وكفرهم به أيضاً. فقال: **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قَالُوا إنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إلٰهٍ إلاَّ إلٰهٌ وَاحِدٌ وإنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ﴾**[1].

فألَّهُوا المسيح عليه السلام وجعلوه شريكاً لله، وعبدوه من دونه، بل وصفوه بأخص صفات الألوهية والربوبية من الخلق والرزق والإحياء، والإماتة؛ وبذٰلك فارقوا عباد الأصنام والأوثان الذين قالوا في معبوداتهم: **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى﴾**[2]، ولم يضيفوا إليها شيئاً من خصائص الربوبية كالخلق والرزق ونحو ذٰلك، بل أقروا بكل ذٰلك لله وحده كما قال عز وجل: **﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾**[3]، **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾**[4]، **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾**[5]، **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾**[6].

أمَّا هٰؤلاء فلئن سألتهم عن شيء من ذٰلك ليقولن المسيح، فهو عندهم الإلٰـه الخالق الرازق المحيي المميت، باعث الرسل، ومنزل الكتب، حكى

---

(١) سورة المائدة آية ٧٣.

(٢) سورة الزمر من آية ٣.

(٣) سورة يونس آية ٣١.

(٤) سورة العنكبوت آية ٦١.

(٥) سورة العنكبوت آية ٦٣.

(٦) سورة لقمان آية ٢٥.

الإمام ابن القيم عنهم أنهم قالوا: (وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة (هٰكذا) بنبي ولا عبد صالح، بل هو رب الأنبياء وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم، ومؤيدهم ورب الملائكة)[1]. ونقل عنهم أنهم يقولون في صلواتهم ومناجاتهم: (أنت أيها المسيح اليسوع تحيينا وترزقنا وتخلق أولادنا وتقيم أجسادنا وتبعثنا)[2].

وفي قرارهم الـذي قرروه في «مجمع نيقيه»[3] الذي عقدوه سنة **٣٢٥م** وسموه بـ «الأمانة» ونصوا فيه على ألوهية المسيح عليه السلام، صرحوا بأنه هو الذي سينزل للقضاء بين الناس يوم القيامة ومحاسبتهم ومجازاتهم فقالوا: (وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء)[4].

يقـول أحـد قساوستهم في رسالة إلى أبي عَبِيدة الخزرجي[5]، مصرحاً بألوهية المسيح وأنه خالق السماوات والأرض: (أما بعد حمد الله الذي هدانا لدينه، وأيدنا بيمينه، وخصنا بابنه ومحبوبه، ومد علينا رحمته بصلبه المسيح إلهنا، الذي خلق السماوات والأرض وما بينهن، والذي أمدنا بدمه المقدس ومن

---

(١) هداية الحيارى، (ط. الأولى ١٤٠٨هـ. بتعليق مصطفى أبو النصر الشلبي، نشر: مكتبة السوادي ـ جدة)، ص ٢٦٩.

(٢) نفس المصدر ص ٢٧٠.

(٣) سمي بذٰلك؛ نسبة إلى مدينة نيقية من أعمال اصطنبول التي اجتمع بها عدد من علماء النصارى، وكان من أهم قرارته القول بإلٰهيـة المسيح عليه السلام. انظر: ابن القيم، هداية الحيارى ٣٢٣، والنصرانيـة، لأبي زهرة ١٢٤، وانظر عن نسبته: الحموي، معجم البلدان ٥ / ٣٣٣.

(٤) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل ٢ / ٢٨.

(٥) هو: أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عَبِيدة (بفتح العين المهملة، وكسر الباء الموحدة)، الأنصاري الخزرجي الساعدي نسبة إلى سعد بن عبادة الصحابي، فقيه أندلسي، ولد في قرطبة عام ٥١٩هـ، كان مشهوراً في شبابه بالذكاء والنبل، حافظاً للحديث. مات بفاس سنة ٥٨٢هـ. عن حاشية محقق كتاب بين المسيحية والإسلام ص ٤٧.

عذاب جهنم وقانا. . .)[1].

وقال مخاطباً أبا عَبيدة داعياً إياه للإيمان بألوهية المسيح الخالق: (وما عقائدكم كلها إلا حسنة، وكان عندكم عدل كثير في أصل دينكم، وخير شامل؛ فلو آمنتم بالمسيح وقلتم: إنه هو الله خالق السماوات والأرض لكمل إيمانكم)[2].

وهٰكذا نرى النصارى يصفون المسيح عليه السلام بصفات الربوبية المختصة برب العالمين عز وجل، وهٰذا أمر انفردوا به من بين العالمين.

ولم يقتصر الأمر على المسيح عليه السلام، بل جعلوا لغيره من الخلق بعض صفات الله تبارك وتعالى. فجعلوا مريم عليها السلام آلهة؛ لأنها أم الله بزعمهم، ووصفوها بالجلوس على العرش مع الله عز وجل، وسألوها ما لا يسأل إلا من الله عز وجل، يقول الإمام ابن القيم: (وأما قولهم في مريم: فإنهم يقولون إنها أم المسيح ابن الله ووالدته في الحقيقة. . . وأنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها، وابنها عن يمينه. قال: والنصارى يدعونها، ويسألونها سعة الرزق وصحة البدن وطول العمر ومغفرة الذنوب)[3].

وهٰذه أمور لا يملكها إلا الله عز وجل ولا يُسْألها إلا هو سبحانه. ولقد أشار القرآن الكريم إلى قول النصارى بألوهية مريم في قوله تبارك وتعالى مخاطباً عيسى عليه السلام: **﴿وإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيْسَى ابنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إلٰهَيْن مِنْ دونِ اللهِ قَالَ سُبْحانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ**

---

(1) أبو عَبيدة الخزرجي، بين المسيحية والإسلام. (ط. مطبعة المدني القاهرة. نشر: مكتبة وهبة، بتحقيق وتعليق د. محمد شامة)، ص ٧٢.

(2) نفس المصدر ص ٨٧.

(3) هداية الحيارى ص ٢٦١.

عَلَّامُ الغُيُوبِ﴾[1].

بل وخصوا كنائسهم وبابواتهم ومطارنتهم ببعض خصائص الله عز وجل كمغفرة الذنوب ودخول الجنة والحرمان منها.

ففي المجمع الثاني عشر من مجامعهم المعقود في سنة ١٢١٥م، قرروا: (أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء)[2] وبناء على هٰذا القرار قامت الكنيسة بإصدار ما يُسَمَّى بِ (صكوك الغفران».

يقول أحد قسسهم في هٰذا: (وقد جعل الله في أيدي المطارين ما لم يجعله في يد أحد، وذٰلك أن كل ما يفعلون في الأرض يفعله الله في السماء، فإذا أذنبنا فهم الذين يقبلون التوبات ويعفون عن السيئات بأيديهم صلاح الأحياء والأموات)[3] ماذا أبقوا لله عز وجل؟!

٢) ومن ضلالهم في هٰذا الباب أيضاً أنَّهم سَبُّوا الخالق عز وجل وتنقَّصوه:

وذلك من وجهين:

الأول: قولهم إنه اتخذ ولداً. حيث قالوا: إن المسيح ابن الله، كما قال تعالى: **﴿وَقَالَتِ النَّصارى المَسِيحُ ابنُ اللهِ﴾**[4] وقد نزه الله عز وجل نفسه عن اتخاذ الصاحبة والولد فقال: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحانَهُ بلْ لهُ ما في السَّماواتِ والأرْضِ كُلٌّ لهُ قَانِتُونَ﴾**[5]، وقال سبحانه: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً . تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأرْضُ وَتَخِرُّ**

---

(١) سورة المائدة آية ١١٦.

(٢) أبو زهرة: النصرانية، ص ١٤٨. ود. أحمد شلبي، المسيحية، ص ١٩٧.

(٣) أبو عبيدة الخزرجي، بين المسيحية والإسلام، (بتحقيق د. محمد شامة)، ص ٩١.

(٤) سورة التوبة من آية ٣٠.

(٥) سورة البقرة آية ١١٦.

﴿... الجِبَالُ هَدّاً . أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً . وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً . إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ والأَرْضِ إِلَّا آتي الرَّحْمٰنِ عَبداً﴾[1]، فأنكر قولهم، ونزه نفسه عن أن يكون له ولد.

وبيَّنَ سبحانه في آية أخرى أن الولد لا يكون إلا من صاحبة، وهو سبحانه لا صاحبة له. فقال عز وجل: ﴿بَدِيْعُ السَّماواتِ والأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ﴾[2].

قال ابن كثير في تفسير هٰذه الآية: (أي: كيف يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة؟ أي: والولد إنما يكون متولداً عن شيئين متناسبين، والله لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه؛ لأنه خالق كل شيء، فلا صاحبة له ولا ولد...)[3].

وقد بيَّن سبحانه في الحديث القدسي، أن من نسب إليه اتخاذ الولد فقد شتمه وسبه بقوله ذٰلك. ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذٰلك، وشتمني ولم يكن له ذٰلك، فأما تكذيبه إياي؛ فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله: لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً)[4].

الثـاني: زعمهم أن الله سبحانه وتعالى عن قولهم علواً كبيراً (نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنساناً وحُبِلَ به وولد من مريم البتول وقتل وصلب)[5].

---

(١) سورة مريم آية ٨٨ ـ ٩٣.

(٢) سورة الأنعام آية ١٠١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٠٢.

(٤) خ: كتاب التفسير، باب ﴿وقالوا اتَّخذ الله ولداً سبحانه﴾ ٨ / ١٦٨، ح ٤٤٨٢. ورواه من حديث أبي هريرة في باب ﴿قل هو الله أحد﴾ ٨ / ٧٣٩، ح ٤٩٧٤.

(٥) هٰذا نص ما جاء في أمانتهم المشهورة. انظر الشهرستاني، الملل والنحل ٢ / ٢٨.

وقـال القس القـوطي في رسـالتـه إلى أبي عبيدة الخزرجي يشرح فيها مذهبه: (. . . فهبط بذاته من السماء والتحم في بطن مريم العذراء البتول أم النور فاتخذ لنفسه منها حجاباً كما سبق في حكمته. . .)[1].

يقـول الإمام ابن القيم: (. . . إن هٰذه الأمة ـ أي: النصارى ارتكبت محذورين عظيمين، لا يرضى بهما ذو عقل ولا معرفة:

أحدهما: الغلو في المخلوق، حتى جعلوه شريك الخالق وجزءاً منه، وإلهاً آخر معه، وأنفوا أن يكون عبداً له.

والثاني: تنقص الخالق وسبه ورميه بالعظائم، حيث زعموا أنه سبحانه وتعالى عن قولهم علواً كبيراً ـ نزل من العرش عن كرسي عظمته، ودخل في فرج امرأة وأقام تسعة أشهر يتخبط بين البول والدم والنجو[2]، وقد علته أطباق المشيمة والرحم، والبطن، ثم خرج من حيث دخل، رضيعاً صغيراً يمص الثدي. . . . ثم صار إلى أن لطمت اليهود خديه، وربطوا يديه، وبصقوا في وجهه، وصفعوا قفاه، وصلبوه جهراً بين لصين، وألبسوه إكليلاً من الشوك، وسمروا يديه ورجليه، وجرعوه أعظم الآلام، هٰذا هو الإلٰه الحق الذي بيده أتقنت العوالم وهو المعبود المسجود له.

ولعمر الله إن هٰذه مسبة لله سبحانه ما سبه بها أحد من البشر قبلهم ولا بعدهم. . .)[3].

وذكَر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أنه قال فيهم: (أهينوهم ولا

---

(١) أبو عبيدة الخزرجي، بين المسيحية والإسلام ص ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) النجو: ما يخرج من البطن من ريح وغائط. انظر: لسان العرب ١٥ / ٣٠٦.

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (نشر: شركة مكتبة ومطبعة الحلبي بمصر، بتحقيق محمد سيد كيلاني)، ٢ / ٢٧٨.

تظلموهم، فلقد سَبُّوا الله عز وجل مَسبّة ما سبّه إياها أحد من البشر)[1].

وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من قول معاذ بن جبل رضي الله عنه[2].

ثالثاً: موقف المسلمين:

أما هٰذه الأمة المسلمة فقولها في هٰذا الباب هو ما جاء به المرسلون من توحيد الله وإفراده بالعبادة.

فآمنت بأنه لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، لا إلٰه غيره، ولا رب سواه، هو رب العالمين، وخالق الكون، ومدبره، **﴿لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تبارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِيْنَ﴾**[3].

ونزهوه سبحانه عن الأنداد، واتخاذ الصاحبة والأولاد، تصديقاً لقوله تعالى عن نفسه: **﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ ولَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهُ عَمَّا يَصِفُونَ﴾**[4]، وقوله: **﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾**[5]، وقالوا كما قال مؤمنوا الجن: **﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنا ما اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلداً﴾**[6].

ووصفوه سبحانه بصفات الكمال والجلال، ونزّهوه عن جميع صفات النقص، كما نزّهوه عن أن يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات...[7].

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٢٧٨.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٢ / ٥٢.

(٣) سورة الأعراف آية ٥٤.

(٤) سورة المؤمنون آية ٩١.

(٥) سورة الإخلاص.

(٦) سورة الجن آية ٣.

(٧) شيخ الإسلام ابن تيمية، منهاج السنة ٥ / ١٦٩.

ولم يصفوه إلاّ بما وصف به نفسه سبحانه، أو وصفته به رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، من غير تعطيل ولا تمثيل.

فلم يشبهوه بشيء من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ـ كما فعل اليهود ـ بل قالوا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ البَصِيْرُ﴾[1].

ولم يشبهوا شيئاً من خلقه به، لا في ذاته ولا في شيء من صفاته، ولم يجعلوا له نظيراً أو ندّاً أو مثيلاً أو شريكاً في شيء من خصائص ألوهيته وربوبيته ـ كما صنع النصارى ـ، بل نزّهوه سبحانه عن الشبيه والنظير والكفء، والند والمثيل.

●●●●●

---

(1) سورة الشورى آية ١١.

المبحث الثاني

وسَطِيَّتُها واعتدالُها في باب أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام

لقد كان من أعظم نعم الله عز وجل على عباده أن بعث فيهم رسلاً منهم، يعرفون نسبهم وأخلاقهم، اختارهم من خيارهم واصطفاهم من أوسطهم مكانة ونسباً. يدعون قومهم إلى خير ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، ويحذرونهم وينهونهم عن كل ما فيه هلاكهم وضررهم في دنياهم وأخراهم، يدعونهم إلى عبادة الله وحده واتباع أوامره واجتناب نواهيه ويحذرونهم من الشرك بالله ومعصيته، ومخالفة أوامره وارتكاب نواهيه. فما من أمة إلا خلا فيها نذير، وبُعث إليها رسل أو رسول، وذلك رحمة من الله بعباده، ولئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير. يقول في ذلك تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾[1].

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ والنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وإِسْحاقَ ويَعْقُوبَ والأَسْباطِ وَعِيْسَى وأَيُّوبَ ويُونُسَ وَهارُونَ وَسُلَيْمانَ وآتَيْنا دَاوُدَ زَبُوراً . وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً . رُسلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وكَانَ اللهُ عَزِيْزاً حَكِيماً﴾[2].

فبيَّن سبحانه أنه أرسل رسله إلى عباده مبشرين ومنذرين، مبشرين من أطاعهم بعظيم الأجر والمثوبة، ومنذرين من عصاهم بأليم العذاب والعقوبة، لئلا يحتج من كفر بالله وعبد الأنداد أو ضلّ عن سبيله بأن يقول إن أراد الله

---

(١) سورة النحل آية ٣٦.

(٢) سورة النساء آية ١٦٣ ـ ١٦٥.

عقابه: ﴿لَوْلا أَرْسَلتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[1].

ولقد بلَّغ الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ما أرسلوا به، ونصحوا لأممهم غاية النصح، وبينوا لهم أوضح بيان وأجلاه، ما يجب عليهم في دينهم ودنياهم، وما أعدّ الله لأهل طاعته من ثواب، ولأهل معصيته من عذاب، وسلكوا في تبليغ قومهم رسالات ربهم كل مسلك، فدعوهم ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، لم يسألوهم على ذٰلك أجراً، بل تحملوا في سبيل نصحهم وهدايتهم الوان الشدائد وضروب المتاعب، والأذى.

ولقد تباينت مواقف الأمم تجاه أنبيائهم ورسلهم، ما بين مؤمن بهم متبع لهم، وبين كافر بهم مؤذٍ لهم، وبين غالٍ فيهم منزل لهم فوق المنزلة التي أنزلهم الله إياها.

وفي هٰذا المبحث سنعرض لبيان مواقف ثلاث من أعظم الأمم وأهمها في أنبياء الله ورسله وهي: ١ ـ اليهود ٢ ـ النصارى ٣ ـ المسلمون. وإنما اخترنا هٰذه الأمم من بين سائر الأمم؛ لكونها أكثر الأمم أنبياء ورسلاً، ولكونهم أهل كتب سماوية نزلت إليهم، ولكونها آخر ثلاث أمم أرسل إليها رسل. أدرك بعضها بعضاً.

● أولاً: موقف اليهود من أنبياء الله ورسله:

لقد كان ليهود من أنبياء الله ورسله مواقف شائنة مخزية، تنبيء عن خبث في الطوية، وفساد في السيرة والسريرة، واتباع للنفس والهوى، وإعراض عن الحق والهدى.

وإذا نحن أجَلْنا النظر في كتاب الله عز وجل، تحصل لنا أن مواقف اليهود من رسل الله تتلخص في الأمور التالية:

---

(١) سورة طٰه آية ١٣٤. وانظر: ابن جرير، جامع البيان ٩ / ٤٠٨.

الأمر الأول:

أنهم فرقوا بين رسل الله ولم يؤمنوا بهم جميعاً بل آمنوا ببعض وكفروا بالبعض الآخر (بمجرد التشهي والعادة، لا عن دليل قادهم إلى ذٰلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذٰلك بل بمجرد الهوى والعصبية)[1].

ومن أعظم الرسل الذين كفروا بهم وكذبوا برسالتهم، عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، على أنهم كذبوا وكفروا بأنبياء آخرين غيرهما بدليل قتلهم لكثير من أنبيائهم كما سيأتي.

وقد عد الله من يؤمن ببعض الرسل ويكفر بالبعض الآخر كافراً، بل هو الكافر حقاً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيْدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيْدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً . أُولٰئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِيْنَ عَذَاباً مُهِيْناً﴾[2].

قال الإمام ابن جرير في تفسيره: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾؛ يعني: أنهم يقولون: نصدق بهٰذا ونكذب بهٰذا، كما فعلت اليهود في تكذيبهم عيسى ومحمد ﷺ، وتصديقهم بموسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم، وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمداً ﷺ وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم)[3].

وقال رحمه الله في معنى قوله عز وجل: ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقّاً﴾: (يقول: أيها الناس! هٰؤلاء الَّذِينَ وصفتْ لكُمْ صفتهم هم أهل الكفر بي، المستحقون عذابي والخلود في ناري حقاً، فاستيقنوا ذٰلك، ولا يشككنكم في أمرهم انتحالهم الكذب، ودعواهم أنهم يقرون بما زعموا أنهم به مقرون من

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢ / ٣٩٦.

(٢) سورة النساء آية ١٥٠ ـ ١٥١.

(٣) جامع البيان ٩ / ٣٥١.

الكتب والرسل، فإنهم في دعواهم ما ادعوا من ذٰلك كَذَبَةٌ، وذٰلك أن المؤمن بالكتب والرسل هو المصدق بجميع ما في الكتاب الذي يزعم أنه به مصدق، وبما جاء به الرسول الذي يزعم أنه به مؤمن. فأما من صدق ببعض ذٰلك وكذب ببعض، فهو لنبوة من كذب ببعض ما جاء به جاحد، ومن جحد نبوة نبي فهو به مكذب، وهٰؤلاء الذين جحدوا نبوَّة بعض الأنبياء وزعموا أنهم مصدقون ببعض، مكذبون من زعموا أنهم به مؤمنون، لتكذيبهم ببعض ما جاء به من عند ربهم، فهم بالله وبرسله الذين يزعمون أنهم بهم مصدقون، والذين يزعمون أنهم بهم مكـذبـون كافـرون، فهم الجـاحـدون وحدانية الله ونبوة أنبيائه حق الجحود المكذبون بذٰلك حق التكذيب. . .)[1].

الأمر الثاني:

أنهم خذلوا أنبياءهم ولم يقوموا بنصرهم. وقد أخذ الله عليهم ميثاقهم لَيَنْصُرُنَّهم فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وبَعَثْنا مِنْهُمْ اثْنَي عَشَرَ نَقِيْباً وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لِئَنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ولأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير: (أي: نصرتموهم وآزرتموهم على الحق)[3]. فلم يفـوا بميثاقهم، وما لبثوا أن قالوا لموسى عليه السلام لما قال لهم: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ التي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ولا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[4].

---

(١) جامع البيان ٩ / ٣٥٣.

(٢) سورة المائدة آية ١٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٦٢.

(٤) سورة المائدة آية ٢١.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فيها قَوْماً جَبَّارِينَ وإنَّا لَنْ نَدْخُلها حتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فإنَّا دَاخِلُونَ﴾ (١).

ثم ما لبثوا أن أعلنوا خذلانه، وعدم القتال معه، وخلوا بينه وبين عَدُوِّه فـ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هٰا هُنا قَاعِدُونَ﴾ (٢).

فكان جزاءهم التيه في الأرض أربعين سنة ﴿قَالَ فإنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً يَتِيْهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلى القَوْمِ الفَاسِقِيْنَ﴾ (٣).

الأمر الثالث:

أنهم تنقصوا بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ورموهم بإرتكاب كبائر الذنوب، وألصقوا بهم كل رذيلة، وكتابهم الذي بين أيديهم ويزعمون أنه التوراة، يفوح بألوان من المخازي، وينضح بالكثير من البهت، والأذى الذي عرف به يهود، لم يسلم منه كبار أنبيائهم فضلاً عن غيرهم ممن بعث فيهم، وهاته نماذج مما رموا به بعض الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فمن ذٰلك:

١) أنهم نسبوا إلى بعض أنبيائهم: الإعانة على الشرك بالله وعبادة غيره وتسهيل سبيل ذٰلك لقومهم.

فنسبوا لهارون عليه السلام أنه صنع لهم العجل، الذي عبدوه من دون الله، جاء في «سفر الخروج»: (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا؛ لأنَّ هٰذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم

---

(١) سورة المائدة آية ٢٢.

(٢) سورة المائدة ٢٤.

(٣) سورة المائدة ٢٦.

هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذٰلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً، فقالوا هٰذه ألهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال: غداً عيد للرب فبكَّروا في الغد وأصعَدُوا مُحْرَقاتٍ وقَدَّمُوا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا لِلَّعِبِ)[1].

هٰكذا يصور هٰذا السفر نبياً عظيماً من أنبياء الله ـ بعثه الله ليدعو الناس إلى توحيد الله ـ في صورة صانع للأصنام، مغر لقومه بعبادتها من دون الله عز وجل.

ونحن نقطع بأن هٰذا النص مما كتبه اليهود بأيديهم وقالوا هو من عند الله وما هو من عند الله، وأنه (ليدل على أن محرري هٰذه الأسفار لا يرعون لأنبيائهم حرمة، ولا يرجون لهم وقاراً، ولا يتورعون عن أن ينسبوا إليهم أية نقيصة حتى خيانة الرسالة نفسها التي بعثوا من أجلها، ودفع قومهم إلى الشرك بالله)[2].

ولقد ذكر الله في القرآن الكريم قصة عبادة اليهود العجل، وبين أن الذي صنع العجل وأغراهم بعبادته هو السامري وليس هارون عليه السلام، بل أخبر عز وجل أن هارون عليه السلام حذر قومه من ذٰلك ولكن القوم لم يلتفتوا إلى تحذيره وعصوه، وخالفوه إلى ما نهاهم عنه فقال عز وجل: **﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هُمْ أُوْلاءِ عَلى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى . قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مَنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ . فَرَجَعَ مُوسَى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ**

---

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم. سفر الخروج، الإصحاح ٣٢ فقرة ١ ـ ٦.

(٢) انظر: د. على عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ٤٦.

عَلَيْكُمْ غضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي . قَالُوا مَا أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلٰكِنَّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِينَةِ القوم فَقَذَفْنَاها فَكَذٰلِكَ أَلقَى السَّامِرِيُّ . فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا هٰذا إِلٰهُكُمْ وإِلٰهُ مُوْسَى فَنَسِيَ . أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً . وَلَقَدْ قَال لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ وإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُوني وأَطِيْعُوا أَمْرِي . قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِيْنَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوْسَى﴾(١).

فهٰذه الآيات تنطق في وضوح ببراءة هارون عليه السلام مما نسبه إليه اليهود، وتشهد بافترائهم وكذبهم وتقولهم على الله عز وجل، ورسله ألا بئسما يزرون.

* ورموا نبي الله الأوَّاب سليمان عليه السلام بأنه في أواخر أيَّامه مال إلى ممالأة نسائه على عبادة الأوثان وبنى لألهتهن المعابد وأنّ قلبه مال معهن إلى هٰذه الآلهة ولم يكن مخلصاً في إيمانه بربه عز وجل.

يقول «سفر الملوك الأول»: (وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلٰهه كقلب داود أبيه فذهب سليمـان وراء عَشْتُورَثَ إلاهةِ الصِّيدونيين، ومَلْكُومَ رِجْسِ العَمُّونيين، وعمل سليمان الشَّرَفي عيني الرب ولم يتبع الربَّ تماماً كداود أبيه. حينئذ بني سليمـان مرتفعـة لِكَمُـوشَ رِجْسِ المـوآبِيِّينَ على الجبل الذي تُجاه أُورُشَلِيمَ ولِمُـولَكَ رِجْسِ بنى عَمُّونَ. وهٰكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن. فغضب الرب على سليمان؛ لأن قلبه مال عن الرب إلٰه إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هٰذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخى فلم يحفظ ما أوصى به الرب)(٢).

---

(١) سورة طٰه آية ٨٣ ـ ٩١.

(٢) سفر الملوك الأول، إصحاح ١١ فقـرة ٤ ـ ١٠.

هٰذا سليمان النبي الكريم، الذي لم يُقِرَّ ملكةَ سبأ وقومها على عبادة الشمس والقمر من دون الله، وبذل ما في وسعه لهدايتهم إلى عبادة الله رب العالمين، فأظهر لها من آيات الله التي أتاه ما حدى بها إلى الهداية والإسلام فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ﴾(1).

ومع ذٰلك ينسب إليه اليهود الميل إلى عبادة الأصنام والإذعان لرغبة نسائه في ذٰلك. سبحانك اللهم هٰذا بهتان عظيم.

٢) نسبتهم لبعض الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام شرب الخمر وارتكاب فاحشة الزنا والقتل.

فنسبوا إلى أبي الأنبياء نوح عليه السلام أنه شرب الخمر حتى سكر وثمل وانكشفت سوءته، كما جاء في «سفر التكوين»: (وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعَرَّى داخل خِبائه فأبصر حامٌ أبو كَنْعَانَ عورةَ أبيه وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سَامٌ ويافَثُ الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كَنْعَانُ عبدَ العبيد يكونُ لأخوتِه(2).

هٰكذا يصور كتاب اليهود المقدس نوحاً عليه السلام الذي مكث في قومه ألف سنة إلَّا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً، في صورة فاسق لا يفيق من السكر، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

* ونسبوا إلى نبي الله لوط عليه السلام الزنى بابنتيه، فقالوا: إن ابنتيه تآمرتا عليه وأسقتاه خمراً حتى ثمل وزنى بهما وحملتا منه.

---

(1) سورة النمل آية ٤٤.

(2) سفر التكوين، الإصحاح ٩ فقرة ١٨ - ٢٦.

ففي «سفر التكوين»: (وصَعِدَ لوطٌ من صُوغَرَ وسكن في الجبل وابنتاه معه؛ لأنه خاف أن يسكن في صُوغَرَ فسكن المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هَلُمَّ نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مُوآبَ وهو أبو الموآبِيِّينَ إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً اسْمَهُ بنْ عَمِّي وهو أبو بني عَمُّونَ إلى اليوم)[1].

* وهٰذا نبي الله الملك الصالح داود عليه السلام تنسب إليه التوراة المزعومة الزنى بامرأة أحد جنوده وأنها حملت منه سفاحاً، وأنه لما خشى افتضاح أمره احتال لقتله، وتزوج امرأته من بعده.

جاء في «سفر صموئيل الثاني»: (وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد: أليست هٰذه بَثْشَبعَ بنت ألبِعَامَ امرأة أُورِيَّا الحِثِّي، فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حُبْلَى)[2].

ثم يذكر هٰذا الإصحاح ما قام به داود عليه السلام من طلب عودة أوريا

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ١٩ فقرة ٣٠ ـ ٣٧.

(٢) سفر صموئيل الثاني، إصحاح ١١ فقرة ٢ ـ ٥.

من المعركة ليقيم مع زوجته في محاولة من داود لإخفاء جريمته ونسبة الحمل لأوريا، ولكن أوريا لم يدخل على أهله، ولما يئس منه داود كتب إلى قائده يأمره بأن يجعل أُورِيَّا في مقدمة الجيش والتراجع عنه عند اشتداد الخطر ليهلك. يقول الإصحاح: (وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يُوآبَ وأرسله بيد أُورِيَّا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أُورِيَّا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضربَ ويموت)[1].

فانظر رحمك الله كيف صوروا نبياً كريماً بهٰذه الصورة المزرية، فلم يكفهم نسبة الزنا إليه، حتى جعلوه متآمراً على القتل، بل آمرا به.

الأمر الرابع: أنهم قتلوا بعض أنبيائهم:

لقد سجل الله عليهم في القرآن الكريم هٰذا الموقف المشين من أنبيائهم في غير ما آية، مقرعاً وموبخاً لهم على هٰذا الصنيع القبيح، والجرم العظيم الذي ارتكبوه في حق من أرسل لهدايتهم، وبعث لإرشادهم إلى صراط الله المستقيم، من أنبياء الله ورسله، ولكن القوم كانوا كلما جاءهم رسول بما يخالف أهواءهم ورغباتهم الهابطة لا يألون جهداً في إيذائه وصده عن دعوته، متبعين في ذٰلك مختلف الأساليب سالكين شتى الطرق، فسبوهم وأهانوهم وتنقصوهم حتى أفضى بهم الأمر إلى أن قتلوهم.

يقول جل وعلا مسجلاً عليهم هٰذا الموقف: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى الكِتابَ وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وآتَيْنا عِيْسى بنَ مَرْيَمَ البَيِّنات وأَيَّدْناهُ بِرُوحِ القُدُسِ أَفَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلونَ﴾**[2]. وقال عز وجل: **﴿لَقَدْ أَخَذْنا مِيْثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وأَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلاً**

---

(١) سفر صموئيل الثاني، إصحاح ١١ فقرة ١٤ ـ ١٦.

(٢) سورة البقرة آية ٨٧.

﴿كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيْقاً يَقْتُلُونَ﴾[1].

فاستجلبوا بهذا الموقف المخزي غضب الله عز وجل ومقته وسخطه واستوجبوا عذابه ونقمته: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ والمَسْكَنَةُ وبَاؤوا بغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذٰلِكَ بأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بغَيْرِ الحَقِّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوا وكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[2]. ﴿إِنَّ الَّذينَ يَكْفُرُونَ بآياتِ اللهِ وَيَقْتُلونَ النَّبيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلونَ الَّذينَ يَأمُرُونَ بالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَليمٍ﴾[3].

ولقد أسرف القوم في قتل الأنبياء واستمرؤا ذٰلك، ومردوا على الكفر بالله وسفك دم أنبيائه، فكانوا يقتلون النبي أو الأنبياء ثم يمارسون أعمالهم وحياتهم اليومية وكأنهم لم يرتكبوا إثماً، أو يحدثوا جرماً، أثر عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «كانت بنوا إسرائيل في اليوم تقتل ثلاثمائة نبي، ثم يقيمون سوق بقلهم في آخر النهار»[4].

ومن أعظم الأنبياء الذين قتلوهم زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذينَ يَأْمُرُونَ بالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ قال: (بعث عيسى بن مريم في اثنى عشر رجلاً من الحواريين يعلمون الناس فكان ينهاهم عن نكاح ابنة الأخ وكان ملك له ابنة أخ تعجبه فأرادها وجعل يقضي لها كل يوم حاجة فقالت لها أمها إذا سألك عن حاجتك فقولي له: أن تقتل يحيى بن زكريا، فقال لها الملك: حاجتك فقالت: حاجتي أن تقتل يحيى بن زكريا، فقال: سلي غير

---

(1) سورة المائدة آية ٧٠.

(2) سورة البقرة آية ٦١.

(3) سورة آل عمران آية ٢١.

(4) ذكره ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١ / ١٤٦، والسيوطي، الدر المنثور ١ / ١٧٨.
وقال: أخرجه أبو داود الطيالسي، وابن أبي حاتم. انظر: تفسير ابن حاتم المسمى، تفسير القرآن العظيم ١ / ١٩٧، ح ٦٣٦، وقال محققه: رجاله ثقات.

هٰذا. فقالت: لا أسأل غير هٰذا، فلما أتى أمر به فذبح...)[1].

وذكر الإمام ابن جرير[2] وغيره[3] قَتْلَ بني إسرائيل زكريا عليه السلام كما قتلوا ابنه يحيى، وقد أجمعوا قتل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ولكن الله حفظه من كيدهم، ورفعه إليه، وألقى شبهه على غيره فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدون أنهم قتلوا المسيح عليه السلام، كما ذكر ذٰلك عنهم الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنا المَسِيْحَ عِيْسَى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وإنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُوا فيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلمٍ إلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقِيْناً . بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾[4].

وكما سجل الله عليهم في القرآن الكريم هٰذا الجرم العظيم، نجد نصوص الأسفار المقدسة عندهم تنص على وقوع ذٰلك أيضاً، ففي «سفر الملوك الأول» نرى كيف حاول بنو إسرائيل قتل نبي الله إلياس عليه السلام ـ والسفر يذكره باسم «إيليا» ـ مما اضطره إلى الهرب والاختباء منهم؛ لأنهم تركوا عهد الله وقتلوا أنبياءه: (وكان كلام الرب إليه يقول له: ما لك هٰهنا يا إيليا؟ فقال: قد غرت غيرة للرب إلٰه الجنود؛ لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك، وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي ليأخذوها)[5].

فهٰذا النَّصُ الذي سجله أحبار اليهود ومحرروا أسفارهم، يدل دلالة

---

(١) المستدرك ٢ / ٢٩٠، وقال: هٰذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: جامع البيان ٦ / ٢٨٤.

(٣) كالإمام ابن القيم. انظر: هداية الحيارى ص ٤٧، (ط. الأولى، بتحقيق مصطفى أبو النصر).

(٤) سورة النساء آية ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٥) الكتاب المقدس، العهد القديم. سفر الملوك الأول، إصحاح ١٩ فقرة ١٠.

واضحة على أن هٰذا الخلق الذميم كان متأصلاً في نفوسهم العليلة، حتى إنهم لا يتحرجون من الاعتراف، بل من التباهي به، وكأنهم يسجلون عملاً جليلاً قاموا به، وقد رأينا قبل هٰذا كيف ادعوا واعتقدوا أنهم قتلوا المسيح بن مريم عليه السلام وقالوا: (إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله)[1].

ويبدو أن هٰذا الخلق ظل ملازماً لهم تجاه أنبياء الله ورسله، ولم يكن ذٰلك منهم مع أنبيائهم فقط. فقد حاولوا قتل نبينا محمد ﷺ، فدسوا له السم صلوات الله عليه بغية قتله وحاول بنو النضير منهم اغتياله بإلقاء الصخرة عليه[2]، جرياً على عادتهم في الخبث والكيد لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما ثبت في «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه: (أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذٰلك؟ فقالت: أردت لأقتلك. قال: ما كان الله ليسلطك على ذاك، ـ قال ـ: أو قال: «عَلَيَّ» قال: قالوا: ألا تقتلها؟ قال: لا، قال فما زلت أعرفها في لهوات[3] رسول الله ﷺ)[4].

وتشير بعض الروايات إلى أن النبي ﷺ مات وهو يجد أثر سم اليهود له، ففي حديث عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة! ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهٰذا أوان وجدتُ انقطاع أبهرى من ذٰلك السم)[5].

---

(١) سورة النساء آية ١٥٧.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة ٢ / ١٩٠.

(٣) اللهوات: جمع لهاة، وهي: اللحمات في سقف أقصى الفم. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٤ / ٢٨٤؛ والمراد: أنه بقي للسم علامة وأثر من سواد وغيره.

(٤) خ: كتاب الهدية، باب قبول الهدية من المشركين ٥ / ٢٣٠، ح ٢٦١٧. م: كتاب السلام، باب باب السم ٤ / ١٧٢١، ح ٤٥ واللفظ له.

(٥) خ: المغازي، باب مرض النبي ﷺ ٩ / ١٣١، ح ٤٤٢٨.

وبعـد: فهٰذا هو موقف يهود من رسل الله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم، إيمـان ببعض وكفـر ببعض، وتَنَقُّصٌ منهم، وإيذاء، وسب، وشتم، وقذف بارتكاب جرائم السكر والعربدة، والزنا والقتل، ثم تشريد ومطاردة وقتل لبعضهم.

وهي مواقف تدل على مبلغ تفريط القوم في حق أنبياء الله ورسله، وعظم تقصيرهم وشدة جفائهم وعداوتهم لهم، وهٰذا هو الطابع الذي غلب عليهم في هٰذا الباب[1]، على أنهم ربما غَلُوا وأفرطوا في حق بعض أنبيائهم، وأنزلوهم فوق مكانة النبوة والرسالة، كما وقع منهم في حق العزير عليه السلام إذ قالوا إنه ابن الله كما ذكر الله عز وجل ذٰلك في قوله: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصارى الْمَسِيْحُ ابْنُ اللهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[2].

ومن مظاهر غلوهم اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، كما أخبر المصطفى ﷺ بذٰلك ولعنهم لأجله، فقال: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسـاجـد)[3]. وفي حديث آخـر قال: (قـاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[4].

فالقوم كان لديهم غلو في بعض أنبيائهم، لكن لَمَّا كان الغالب عليهم الجفاء والتفريط في هٰذا الجانب ظن بعض الناس أنه لم يقع منهم غلو، لكثرة ما ورد في القرآن من نسبة قتل الأنبياء وتكذيبهم إليهم، بل ربما لِهَوَىً في نفوس

---

(١) باب أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

(٢) سورة براءة آية ٣٠.

(٣) خ: كتاب الصلاة ١ / ٥٣٢، ح ٤٣٦. وم: المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١ / ٣٧٧.

(٤) خ: كتاب الصلاة ١ / ٥٣٢ ح ٤٣٧.

البعض، حاول التشكيك في الأحاديث التي أشرنا إليها وأوهم أنها تعارض ما جاء في القرآن من ذكر جفائهم للأنبياء[1]، وغفل أو تغافل عن أن القرآن الكريم كما جاء فيه نسبة التفريط إليهم، جاء فيه أيضاً نسبة الإفراط والغلو إليهم كما تقدم في شأن العزير عليه السلام.

ثانياً: موقف النصارى:

إذا كان اليهود قد غلب عليهم التفريط والتقصير والجفاء في حق أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مع غلوهم في بعضهم كالعزير عليه السلام. فإنّ النصارى قد ذهبوا إلى أقصى الطرف المعاكس فغلب عليهم الغلو والإفراط ولا سيما في نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، على أنهم فرّطوا وقصّروا أيضاً في حق بعض رسل الله بل وفي حق عيسى عليه السلام أيضاً، ويمكن إجمال مواقفهم في هٰذا الباب في الأمور التالية:

الأمر الأول:

أنهم لو يؤمنوا بجميع رسل الله وأنبيائه، بل فرقوا بينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وغلوا في البعض الآخر، وهم معنيون أيضاً بقوله عز وجل ﴿**إنَّ الَّذينَ يَكْفُرُونَ باللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيْدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيْدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلًا . أُولٰئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً**﴾[2]، وقدّمنا إيرادَ هٰذه الآية في الكلام على موقف اليهود، وذكرنا ما قاله الإمام ابن جرير في تفسيرها، وفيه أن النصارى ممن آمن ببعض الأنبياء، وكفر ببعض حيث آمنوا بعيسى وموسى بزعمهم، وكفروا بمحمد ﷺ.

---

(١) للشيخ عبد الله محمد الصديق الغماري رسالة في تجوزير بناء القباب والمساجد على القبور أوْهَمَ فيها ذٰلك.

(٢) سورة النساء آية ١٥٠ ـ ١٥١.

الأمر الثاني:

أنهم غلوا وأفرطوا في نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، ورفعوه فوق المكانة التي جعله الله فيها، وأنزلوه فوق المنزلة التي أنزله الله إياها.

فلم يؤمنوا به عبداً لله ورسولاً نبياً، وإنما جعلوه هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة يتكون منها الإله، وعبدوه من دون الله عز وجل وأضافوا إليه من الأفعال والأعمال ما لا يصح إضافته ونسبته إلاَّ إلى الله عز وجل، فكانت عقيدتهم فيه التي أجمعوا عليها بعد «مجمع نيقية»[1] وسموها بـ «الأمانة» على النحو التالي: «الإيمان:

١) بإلاه واحد، آب، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، صانع ما يرى وما لا يرى.

٢) وبرب واحد يسوع، الابن الوحيد المولود من الآب قبل الدهور من نور الله إلاه حق من إلاه حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء الـذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء وتجسـد من روح القدس ومن مريم العذراء، وصلب حياً على عهد بيلاطس وتألَّم وقبـر، وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه. . .)[2].

ولقد ذكر القرآن الكريم غلوهم في عيسى عليه السلام، وقولهم بألوهيته وبنوته لله عز وجل، وأكفرهم بذلك، فقال جل وعلا: **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ**

---

(١) تقديم التعريف به. انظر: ص ٢٥٢.

(٢) نوفـل بن نعمة الله بن جرجس سوسنة سليمان. اقتبسه د. علي عبد الواحد وافي. انظر: الأسفار المقدسة ص ١١١، وذكر هٰذه العقيدة الشهرستاني في الملل والنحل ٢ / ٢٨، وابن القيم، هداية الحيارى ص ٢٦٧ مع اختلاف في اللفظ.

اللهَ هُوَ المَسِيْحُ ابنُ مَرْيَمَ﴾[1]، **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قَالُوا إنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إلٰـهٍ إلاَّ إلٰهٌ واحِدٌ وإنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ﴾**[2]، وقال: **﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصارى المَسِيْحُ ابنُ اللهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾**[3].

وورد في بعض الأناجيل بعض النصوص، التي اعتمد عليها النصارى في تأليه المسيح وبنوته.

من ذٰلك ما جاء في إنجيل «يوحنا» كقوله: (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هٰذا كان في البدء عند الله، كل به كون وبغيره لم يكون شيء مما كون)[4].

فجعل المسيح هو الكلمة، وجعل الكلمة هي الله، فالمسيح هو الله، تعالى الله عن قولهم.

وفيه أيضاً أن المسيح عليه السلام أبرأ أعمى فَرَدَّه بصيراً، وأن اليهود لما سألـوه من رد إليك بصرك وأخبرهم بذٰلك ووعظهم طردوه (وسمع يسوع أَنَّهم طردوه خارجاً فلقيه وقال له أتؤمن أنت بابن الله، فأجاب وقال: ومن هو يا سيد لأومن به، فقال له يسوع قد رأيته وهو الذي يكلمك. فقال له: قد آمنت يا رب وسجد له)[5].

على أن في هٰذا الإنجيل وغيره من الأناجيل من التناقضات في هٰذا الباب

---

(١) سورة المائدة آية ٧٢.

(٢) نفس السورة آية ٧٣.

(٣) سورة التوبة آية ٣٠.

(٤) انجيل يوحنا، الإصحاح الأول فقرة ١ ـ ٤.

(٥) انجيل يوحنا، الإصحاح التاسع. فقرة ٣٥ ـ ٣٨.

الكثير، بل فيه ما يدل على بشرية المسيح وعبوديته، وأنه نبي وليس بإله، وليس من غرضنا هنا ذكر ذٰلك، وإنما القصد الإشارة إلى قولهم بألوهية المسيح وبنوته لله عز وجل.

الأمر الثالث:

خذلانهم لنبيهم وعدم نصرته: إن من الواجب على اتباع الرسل وخاصة أصحابهم وحوارييهم، أن ينصروهم ويعزروهم، ويفدوهم بأنفسهم وأموالهم، كما تقدم ذكر أخذ الله ميثاق بني إسرائيل على نصر الرسل ومؤازرتهم.

ولكن قوم عيسى عليه السلام، وتلاميذه خذلوه ولم ينصروه عندما أراد أعداؤه من اليهود أخذه وقتله، بل أسلمه بعضهم ودل عدوه عليه لولا أن الله رفعه وألقى شبهه على بعض تلاميذه.

ويسجل عليهم إنجيل «متّى» هٰذا الموقف المشين فيقول في ذٰلك: (حينئذ مضى أحد الاثني عشر الذي يقال له يهوذا الأسخريوطي إلى رؤساء الكهنة، وقال لهم: ماذا تريدون أن تعطوني فأسلمه إليكم، فجعلوا له ثلاثين من الفضة، ومن ذٰلك الوقت يطلب الفرصة ليسلمه... وفيما هو يتكلم ـ أي: المسيح ـ إذ جاء يهوذا أحد الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من قبل رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلاً الذي أقبله هو هو فامسكوه وللوقت دنا إلى يسوع وقال له: السلام يا معلم وقَبَّلَهُ، فقال له يسوع: يا صاحب لأي شيء جئت، حينئذ جاءوا وألقوا أيديهم على يسوع وأمسكوه... حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا)[1].

فانظر كيف تآمر عليه تلميذ وصاحب من أصحابه، وباعه لأعدائه بثمن بخس دراهم معدودة، ثم كيف هرب باقي تلاميذه وتركوه، نعم حاول بعضهم

---

(١) متى، الإصحاح السادس والعشرون فقرة ١٤ ـ ٥٧.

الدفاع عنه لكنهم في النهاية أسلموه لعدوه، على أنا لا نسلم لهم أن عدوه تمكن منه وما صلبوه وما قتلوه يقيناً ولكن شبه لهم.

لكن الشاهد من هٰذا النص من الإنجيل أن النصارى يثبتون أن تلاميذ المسيح وأصحابه أسلموه لليهود وخلّوا بينهم وبينه وقبض بعضهم ثمناً لذٰلك. وهٰذا غاية الخذلان.

ثالثاً: موقف المسلمين من أنبياء الله ورسله:

ينبع موقف المسلمين في هٰذا الباب من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهما سُداه ولُحمته، منهما تستقى هٰذه الأمَّةُ مواقفها واعتقادها وسائر أمور دينها، وعنهما تصدر.

لذٰلك جاء موقفها من أنبياء الله ورسله موقفاً معتدلاً وسطاً، لا غلو فيه ولا إفراط، ولا تفريط أو تقصير فيه، ولم تضل فيه كما ضلت أمم قبلها؛ لأنها لم تقل فيه بمجرد الرأي والهوى، ولم تبتدع فيه ما لم يأذن به الله ولا رسوله ﷺ.

نوجز هٰذا الموقف في الأمور التالية:

الأمر الأول:

أن هٰذه الأمة آمنت بجميع الأنبياء والمرسلين ولم تفرّق بين أحد منهم فتؤمن ببعض وتكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى.

ذٰلك أن الله عز وجل أمرها بذٰلك في كتابه الكريم بقوله: **﴿قُولُوا آمَنَّا باللهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وإِسْماعِيلَ وإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ والأَسْبَاطِ وَما أُوتِيَ مُوسَى وعِيْسى ومَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[1].

قال الإمام ابن كثير في تفسير هٰذه الآية: (أرشد الله تعالى عباده المؤمنين

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٦.

إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلاً، وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأنْ لا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم. . .)(١).

وقال قتادة: (أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلهم ولا يفرقوا بين أحد منهم)(٢).

وعَدَّ الرسول ﷺ الإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان الستة التي لا يكون المرء مؤمناً إلا إذا استكملها فقال ﷺ في حديث جبريل المشهور: (الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)(٣).

فاستجابت هٰذه الأمة لأمر الله ورسوله وآمنت برسل الله جميعاً، وشهد الله لها بهٰذا الإيمان في محكم كتابه فقال: **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾**(٤).

وبلغ من عمق إيمانها برسل الله وتصديقها لهم، أنها تشهد لهم على أممهم بالبلاغ، كما تقدم(٥) في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١ / ٢٧١.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ٣ / ١١١.

(٣) م: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام ١ / ٣٦ ـ ٣٧، ح ١.

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٥.

(٥) انظر: ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

ويكون الرسول عليهم شهيداً، فذلك قوله جل ذكره: ﴿وكَذٰلِكَ جعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيْداً﴾[1]. . .)[2].

الأمر الثاني:

أنها لم تتنقّص أحداً منهم، كما فعل غيرها من الأمم، بل وقّرتهم وعزّرتهم ونصرتهم، ونفت عنهم كل ما يقدح في أشخاصهم أو نُبوتهم ورسالتهم، وأثبتت عصمتهم، من الكفر، وارتكاب الكبائر قبل الرسالة وبعدها، وفي الصغائر خلاف والجمهور على عصمتهم من تعمدها[3].

لأنهم صفوة الله من خلقه، كما أخبر الله في غير ما آية من كتابه فقال: ﴿إنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وآلَ إبْرَاهِيْمَ وَآلَ عِمْرانَ على العَالَمِينَ﴾[4].

وقال عن موسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْني﴾[5].

وقال عن عدد من رسله: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾[6].

وقال عن جميع رسله: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[7].

فهٰذه الأمَّة تؤمن وتعتقد أن رسل الله وأنبياءه أفضل الخلق وأطهرهم

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٢) تقدم تخريجه. انظر: ص ١٧٥ هامش (١).

(٣) راجع: السفاريني، لوامع الأنوار ٢ / ٣٠٣ ـ ٣٠٥، وفخر الدين محمد بن عمر الرازي، عصمة الأنبياء ٢٦ وما بعدها.

(٤) سورة آل عمران آية ٣٣.

(٥) سورة طٰه آية ٣٩.

(٦) سورة ص آية ٤٧.

(٧) سورة الحج آية ٧٥.

وأزكاهم، وأنهم منزهون عن الدنايا مبرؤون من كل سوء، صادقون في أقوالهم، قدوة وأسوة في أفعالهم وأعمالهم، لا يأتون منكراً ولا يقولون زوراً، ولا يستحقون ذمّاً ولا يستوجبون عقاباً، أمرنا الله بالاقتداء بهم واتباع هديهم فقال: ﴿**أُولٰئِكَ الَّـذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ والنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هٰؤلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكَافِرينَ . أُولٰئِكَ الَّذينَ هَدى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ. . .**﴾[1].

وقال: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ واليَومَ الآخِرَ وذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**﴾[2].

وتـرى محبتهم واجبـة، ونصـرتهم لازمة؛ لذلك كان نبيها ورسولها محمد ﷺ، أحب إليها من النفس والمال، والولد والوالد، كما جاء في الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[3]، وفي حديث عبد الله بن هشام قال: (كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: لا والذي نفسي بيده؛ حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنّه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر)[4].

ولقـد كان الصحـابـة رضـوان الله عليهم يفـدون النبي ﷺ بأمـوالهم وأنفسهم، فكان منهم من يقيه بجسده وقع السهام والنبال كما صنع أبو دجانة[5]

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) سورة الأحزاب آية ٢١.

(٣) خ: الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ١ / ٥٨، ح ١٥.

(٤) خ: الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ١١ / ٥٢٣، ح ٦٦٣٢.

(٥) أبو دجانة هو: سماك بن خرشه، وقيل: ابن أوس بن خرشه، متفق على شهوده بدراً، وكان ممن ذب عن النبي ﷺ يوم أحد حتى كثرت جراحه، استشهد باليمامة. انظر: ابن حجر، الإصابة ٤ / ٥٨.

رضي الله عنه في غزوة أحد[1].

ولم يخذلوه قط أو يتخلفوا عن نصره والقتال بين يديه، حتى قال قائلهم يوم بدر وهو المقداد بن عمرو[2]: (يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿**فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا ها هُنا قَاعِدُونَ**﴾[3]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق؛ لو سرت بنا إلى برك الغماد[4] لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه. . .)[5].

يروي الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هٰذا الموقف العظيم من المقداد رضي الله عنه مشيداً به متمنياً أن يكون هو صاحبه فيقول: (شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً؛ لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به[6]: أتى النبي ﷺ وهـو يدعـو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة ٢ / ٨٢، (ط. الثانية ١٣٧٥هـ، بتحقيق مصطفى السقا وزملائه.

(٢) هو المقداد بن عمرو الكندي، شهد بدراً والمشاهد بعدها، وكان فارساً يوم بدر. . . مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه، قيل: وهو ابن سبعين. ابن حجر، الإصابة ٣ / ٤٥٤.

(٣) سورة المائدة آية ٢٤.

(٤) برك الغماد (بكسر الغين المعجمة): وهو موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن، وقيل: موضع في أقاصي أرض هجر، وقيل: أقصى حجر باليمن. الحموي، معجم البلدان ١ / ٣٩٩ ـ ٤٠٠ (ط. دار صادر ١٤٠٤هـ).

وقد جاء في بعض الروايات: «. . . لئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسير معك. . .». انظر: ابن حجر، الفتح ٧ / ٢٨٨.

(٥) ابن هشام، السيرة ١ / ٦١٥.

(٦) عدل به (بضم المهملة وكسر الدال)؛ أي: وزن؛ أي: من كل شيء يقابل ذٰلك من الدنيويات، وقيل: من الثواب. قال ابن حجر: والمراد المبالغة في عظمة ذٰلك المشهد. انظر: فتح الباري ١ / ٢٨٧.

موسى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره؛ يعني: قوله)[1].

وقال سعد بن معاذ[2] رضي الله عنه في هٰذا المقام: (... فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق؛ لو استعرضت بنا هٰذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسِرْ بنا على بركة الله، فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذٰلك...)[3].

فتأمل موقف هٰذه الأمة من نبيها، وانظر أي بون بينه وبين موقف قوم موسى عليه السلام في قولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا ها هُنا قَاعِدُونَ﴾، أو موقف النصارى الذين أسلموا نبيهم لأعدائهم ليقتلوه ويصلبوه بزعمهم، وتآمر بعض تلاميذه وحوارييه عليه، كما تقدم إيضاح ذٰلك في مواقف القوم من أنبيائهم.

الأمر الثالث:

أنهم لم يغلو فيهم أو يفرطوا في مدحهم بالباطل: وإنما قدروهم حق قدرهم، وعزروهم ونصروهم، وأحبوهم، وعظموهم وأجّلُّوهم غاية التعظيم والإجلال، ولم يُفْرِطُوا في مدحهم ولم يبالغوا في إطرائهم والثناء عليهم ولم يجاوزوا الحد في ذٰلك، ولم ينزلوهم فوق المنزلة التي أنزلهم الله إياها. ولم يرفعوهم فوق المقام الذي لهم، فلم يجاوزوا بهم منزلة الرسالة والنبوة، ومقام

(١) خ: كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ ٧ / ٢٨٧، ح ٣٩٥٢.

(٢) وهو: سعد بن معاذ بن النعمان سيد الأوس، شهد بدراً، ورمى بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذٰلك شهراً حتى حكم في بني قريظة... ثم انتقض جرحه.. فمات وذٰلك سنة خمس. انظر: ابن حجر، الإصابة ٢ / ٣٧.

(٣) ابن هشام، سيرة ١ / ٦١٥.

العبودية لله، وهما المقام والمنزلة التي أنزلهم الله إياها وأقامهم فيها وخاطبهم وذكرهم بها، في كتابه العزيز فقال عن نوح عليه السلام: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً**﴾[1]، وقال عن داود عليه السلام: ﴿**اصْبِرْ على مَا يَقُولُونَ واذْكُرْ عَبْدَنا دَاودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾[2]، وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿**ووَهَبْنـا لِداودَ سُلَيْمانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾[3]، وقال عن أيوب عليه السلام: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾[4] وقال في إبـراهيم وإسحـاق ويعقـوب عليهم السلام: ﴿**واذْكُرْ عِبَادَنا إِبْراهِيْمَ وإِسْحاقَ وَيَعْقُـوبَ أُوْلِي الأَيْدِي والأَبْصَارِ**﴾[5]، ثم قال عن عيسى عليه السلام: ﴿**لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً للهِ ولا المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ**...﴾[6]، وقال عن خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين: ﴿**سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرام إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنا حَولَهُ**...﴾[7]، وقال ﴿**فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾[8].

فمقام الرسالة والعبودية هو المقام الذي شرف الله به عباده المرسلين ومَنَّ عليهم به، وهم صلوات الله وسلامه عليهم يأبون أن يرفعوا فوق ذلك، وينهون أممهم ويحذرونهم من مجاوزة هذا المقام، ويقول في هذا المصطفى ﷺ: (لا تطروني كمـا أطـرت النصـارى ابن مريم فإنمـا أنـا عبـده، فقولوا: عبد الله

---

(١) سورة الإسراء آية ٣.

(٢) سورة صٓ آية ١٧.

(٣) سورة صٓ آية ٣٠.

(٤) سورة صٓ آية ٤١.

(٥) سورة صٓ آية ٤٥.

(٦) سورة النساء آية ١٧٢.

(٧) سورة الإسراء آية ١.

(٨) سورة النجم آية ١٠.

ورسوله)[1]، ويقول: (يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا تسجرينكم الشياطين أنا محمد بـن عبد الله، أنا عبد الله ورسوله، وما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلينها الله)[2].

فالأنبياء والمرسلون بشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، ويتزوجون النساء، ولكثير منهم بنون، وحفدة، وليسُوا بآلهة ولا أبناء إلٰه، كما ضل النصارى في عيسى عليه السلام.

يقول الحق تبارك وتعالى مقرراً هٰذه الحقيقة: **﴿قُلْ إِنَّما أَنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوْحَى إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ. . .﴾**[3]، **﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَمَا كَانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعلى اللهِ فَلْيَتَوكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾**[4]، **﴿قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾**[5]، **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَذُرِّيَّةً﴾**[6]، **﴿وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ في الأَسْوَاقِ. . .﴾**[7].

وبعد: فهٰذه منزلة الرسل والأنبياء عند هٰذه الأمة، لا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير، فهم عندها عبيد لا يعبدون، ورسل لا يكذبون، بل يطاعون ويتبعون.

---

(1) خ: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: **﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾** ٦ / ٤٧٨، ح ٣٢٤٥.

(2) النسائي: عمل اليوم والليلة ص ٢٤٩، ح ٢٤٨ (بتحقيق د. فاروق حماده، ط. الثانية ١٤٠٦، نشر: مؤسسة الرسالة).

(3) سورة الكهف آية ١١٠.

(4) سورة إبراهيم آية ١١.

(5) سورة الإسراء آية ٩٣.

(6) سورة الرعد آية ٣٨.

(7) سورة الفرقان آية ٢٠.

الباب الثاني

في وسطية أهل السنة بين الفرق

وفيه تمهيد وخمسة فصول:

ـ الفصل الأول: في بيان وسطيتهم في باب الأسماء والصفات.

ـ الفصل الثاني: في بيان وسطيتهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد.

ـ الفصل الثالث: في بيان وسطيتهم في باب القدر.

ـ الفصل الرابع: في بيان وسطيتهم في باب أصحاب رسول الله ﷺ.

ـ الفصل الخامس: في بيان وسطيتهم في باب تعظيم رسول الله ﷺ والصالحين من أمته.



بين يدي هٰذا الباب

تكلمنا في الباب الأول عن وسطية هٰذه الأمة بين الأمم، وبيَّنا هناك أن أهل السنة والجماعة هم أول الناس دخولاً في هٰذه الوسطية، وأن كل معنى من معاني الوسطية ثبت لهٰذه الأمة، فلأهل السنة منه الحظ الأوفر، وما ذاك إلَّا لأنهم النموذج الأمثل للأمة التي جعلها الله أمة وسطاً، وأخبر أنها خير أمة أخرجت للناس، إذ هم الطائفة الوحيدة التي حققت المتابعة المحضة لكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، بخلاف غيرهم من فرق وطوائف الأمة، فإنه ما من فرقة ولا طائفة منها إلَّا ولها من الأقوال والاعتقادات ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

لذلك كان أهل السنة خير فرق هٰذه الأمة وأوسط طوائفها، لتمسكهم بالسنة وحرصهم على متابعتها، والذب عنها، فهم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية كما تقدم لنا بيان ذٰلك في أول هٰذه الرسالة.

فهم كما قال شيخ الإسلام: (وسط في النحل، كما أن ملة الإسلام وسط في الملل)[1]. (والسنة ـ التي هم أهلها وأخصّ الناس بها ـ أعز في الإسلام، من الإسلام في سائر الأديان). كما قال الإمام أبو بكر بن عياش رحمة الله

---

(١) انظر: الوصية الكبرى ١٢.

عليه[1].

وفي هٰذا الباب سنعرض لبيان وسطية أهل السنة بين فرق هٰذه الأمة، وقد جعلت الكلام على ذٰلك في خمسة فصول، مصدرة بتهميد في بيان افتراق الأمة وأسباب ذٰلك.

الفصل الأول: في بيان وسطيتهم في باب الأسماء والصفات.

الفصل الثاني: في بيان وسطيتهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد.

والفصل الثالث: في بيان وسطيتهم في باب القدر.

والفصل الرابع: في بيان وسطيتهم في باب أصحاب رسول الله ﷺ.

والفصل الخامس: في بيان وسطيتهم في باب تعظيم رسول الله ﷺ والصالحين من أمته.

● ● ● ● ●

---

(١) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ٦٦. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٩٥ ـ ٥٠٨.

تمهيد: في بيان افتراق الأمة وأسباب ذٰلك:

●أولاً: افتراق هٰذه الأمة:

أخبر ﷺ أ نه سيقع في أمته ما وقع في بني إسرائيل من التفرق والاختلاف، فقال: (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)(١).

وفي بعض الروايات: (كلها في النار إلَّا واحدة، وهي الجماعة)(٢).

وفي بعضها: (كلها في النار إلا واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)(٣).

ولم يقع في حياته ﷺ بين الأمة فرقة أو اختلاف؛ لأنه بين أظهرهم والوحي يتنزل عليه، فلا مجال لفرقة، ولا مرتع لبدعة.

ولما لحق ﷺ بالرفيق الأعلى، عاش الناس بعده في كنف الخلافة الراشدة المهدية، لم يظهر بينهم خلاف في أصول دينهم أو افتراق بسبب ذٰلك.

فكان الناس على اجتماع وائتلاف خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وطرفاً من خلافة علي رضي الله عنه، ثم في منتصف خلافته رضي الله عنه اشرأبت أعناق البدع، ونبتت نوابت الفرقة والاختلاف في أصول الدين وأمور الإيمان ثم تتابع ظهور البدع والفرق مصداقاً لخبر المصطفى ﷺ.

وقد تكلم أرباب الفرق والمقالات على تحصيل عدد هٰذه الفرق

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١ / ١٢٨، وقال: هٰذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) جه: كتاب الفتن ٢ / ١٣٢٢، ح ٣٩٩٣.

(٣) تقدم تخريجها، انظر: ص ٤٨.

ومقالاتها، وجهد بعضهم في أن يبلغ بها العدد المذكور في الحديث، وصنفوا في ذٰلك المصنفات[1]. وسلكوا في ذٰلك مسالك شتى.

والذي يعنينا هنا هو الكلام على أمهات الفرق التي فارقت أهل السنة، وخالفتهم في شيء من أصول الدين والإيمان.

وسنذكر هنا: أشهر من عرف بذٰلك من الفرق مع نبذة عن نشأة كل فرقة، وأهم ما فارقت به أهل السنة، وخالفتهم فيه من الأصول.

فمن تلك الفرق:

١) الخوارج:

وهي أول فرقة، أظهرت الخلاف وفارقت جماعة المسلمين.

*** وجه التسمية:**

سموا بذٰلك؛ لخروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ ولقولهم بالخروج على الإئمة[2].

*** تاريخ النّشأة[3]:**

برزت هٰذه الفرقة أثناء خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه، وبالتحديد سنة ٣٧هـ بعد معركة «صفين» وقبول علي رضي الله عنه تحكيم الحكمين، حيث كرهوا ذٰلك منه ونقموا عليه بسببه، وقالوا: لا حكم إلا لله، مع أنهم هم الذين أكرهوه على قبوله في أول الأمر، فانحازوا إلى بلدة

(١) من ذٰلك: المقالات، لأبي الحسن الأشعري، والفرق بين الفرق، للبغدادي، والملل والنحل، للشهرستاني، والفصل في الملل والأهواء لابن حزم، والتبصير في الدين، للأسفرائيني والبرهان، للسكسي. وغير ذٰلك.

(٢) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١١٤.

(٣) انظر: نفس المصدر ١ / ١١٥.

(حــروراء)[1] وأعلنــوا البــراءة من علي والحكمين ومن رضي بالتحكيم، بل وكفروهم بسبب ذلك.

* **أهم آرائهم الاعتقادية:**

تتلخص المبادىء التي يرتكز عليها الخوارج في ثلاثة أمور رئيسـة، بها حادوا عن سواء السراط، فضلوا وأضلوا:

الأمر الأول: تكفير علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، والحكمين رضي الله عنهم.

الأمر الثاني: القول بالخروج على الإمام الجائر.

الأمر الثالث: قولهم بتكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار.

هذه المبادىء الثلاثة هي جوهر اعتقاد الخوارج، وليس بينهم في ذلك خلاف؛ إلَّا خلافاً لبعضهم في تطبيق هذه المبادىء.

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري في حكاية ما أجمع عليه الخوارج من الآراء: (أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن حكم وهم مختلفون هل كفره شرك أم لا؟

وأجمعوا على: أن كل كبيرة كفر؛ إلا النجدات[2] فإنها لا تقول ذلك.

وأجمعوا على: أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً؛ إلا

---

(١) حروراء: قرية بظاهر الكوفة نزل بها الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: الحموي، معجم البلدان ٢ / ٢٤٥.

(٢) النجدات: أتباع نجدة بن عامر الحنفي المقتول سنة ٦٩هـ، فرقة من فرق الخوارج. قالوا: من نظر نظرة صغيرة، أو كذب كذبة صغيرة وأصر عليها؛ فهو مشرك، ومن زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر عليه؛ فهو مسلم إذا كان من موافقيهم. وأكفروا من خالفهم وقعد عن نصرتهم. انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق ٨٩.

النجدات أصحاب نجدة)[1].

وقال المقدسي في ذلك: (وأصل مذهبهم: إكفار علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والتبرؤ من عثمان بن عفان، والتكفير بالذنب، والخروج على الإمام الجائر)[2].

٢) الشيعة:

*** وجه التسمية:**

يقول الأشعري في بيان وجه ذلك: (وإنما قيل لهم الشيعة؛ لأنهم شايعوا علياً رضوان الله عليه، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ)[3].

فكل من قال إن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي[4].

*** تاريخ النشأة:**

ظهر التشيع في زمن خلافة علي رضي الله عنه على الصحيح، ولا عبرة بما يدعيه الشيعة من بدء ذلك في زمن النبي ﷺ حيث نص بعضهم على أن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة[5].

وكان التشيع في أوله؛ يعني: تقديم علي رضي الله عنه على عثمان في الفضل.

---

(١) المقالات ١ / ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) البدء والتاريخ ٥ / ١٣٥.

(٣) المقالات ١ / ٦٥، وسيأتي كلام شيخ الإسلام في أن التشيع في أوله لم يكن كذلك.

(٤) ابن حزم، الفصل ٢ / ٣ / ١١ بتصرف.

(٥) محمد الحسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها ص ٨٧ (ط. العاشرة، نشر: مكتبة العرفان ببيروت).

إذ كان بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين يرى تقديم علي بن أبي طالب على عثمان بن عفان رضي الله عنهما في الفضل، ولم يقدموه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. بل كان الجميع بما فيهم علي مجمعين على تقديم الشيخين في الخلافة والفضل، فقد (تواتر عن علي رضي الله عنه أنه قال: (خير هٰذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر)[1] وهٰذا متفق عليه بين قدماء الشيعة، وكلهم كانوا يفضلون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وإنما كان النزاع في علي وعثمان رضي الله عنهما حين صار لهٰذا شيعة، ولهٰذا شيعة، وأما أبو بكر وعمر ضي الله عنهما فلم يكن أحد يتشيع لهما بل جميع الأمة كانت متفقة عليهما حتى الخوارج، فإنهم يتولونهما ويتبرؤون من علي وعثمان رضي الله عنهما)[2].

ثم تغلّظ التشيُّع على يد عبد الله بن سبأ، وهو يهودي ادّعى الإسلام وزعم محبة آل البيت وموالاتهم، وقال بالوصية لعلي بالخلافة، وله فيه غلو هو كفر[3].

ثم انقسم الشيعة إلى: غالية تؤله علياً رضي الله عنه، ورافضة إمامية وزيدية كما سيأتي في المبحث الرابع.

*** أهم آرائهم وأقوالهم التي فارقوا بها أهل السُّنة:**

يجمع الشيعة الرافضة:

١) القول بوجوب إمامة علي رضي الله عنه، وتقديمه وتفضيله على سائر الصحابة وأن الرسول نص على إمامته.

٢) القول بعصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر.

---

(١) انظر: خ: كتاب فضائل الصحابة، باب لو كنت متخذاً خليلاً ٧ / ٢٠، ح ٣٦٧١.

(٢) ابن تيمية، النبوات ١٩٦ ـ ١٩٧، (ط. ١٤٠٢، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت).

(٣) انظر: مقالته وطائفته لدى البغدادي، الفرق بين الفرق ٢٣٣ وما بعدها.

٣) القـول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً؛ أي: تولي علي رضي الله عنه والتبري من أصحاب رسول الله ﷺ ولا سيما الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم[١].

٣) المرجئة:

*** وجه التسمية:**

نسبة إلى الإرجاء، وهو تأخير العمل عن الإيمان[٢].

والإرجاء على معنيين:

أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: **﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾**[٣]؛ أي: أمهله وأخره.

والثاني: إعطاء الرجاء[٤].

وهم أصناف أهمها:

المرجئة الخالصة: وهم الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ومن هٰؤلاء جهم وأصحابه.

وسيأتي ذكر أقسامهم في الفصل الثاني بإذن الله.

*** نشأتهم:**

أول من تكلم في الإرجـاء الذي هو تأخير الأعمال عن الإيمان غيلان

---

(١) انظر: الشهرستاني ١ / ١٤٦.

(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق ٢٠٢.

(٣) سورة الأعراف آية ١١١.

(٤) الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٣٩.

الدمشقي[1] (ت بعد ١٠٥هـ)، كما يقول الشهرستاني[2].

وروى الخلال في «السنة» عن الإمام أحمد سُئِل «أول من تكلم في القدر من هو؟ قال: يقولون أول من تكلم فيه ذر[3]»[4].

أما الإرجاء المنسوب إلى (أبي محمد الحسن بن محمد المعروف بابن الحنفية) فليس هو الإرجاء في الإيمان، وإنما هو إرجاء أمر المتقاتلين من الصحابة إلى الله عز وجل[5].

* **أهم أقوالهم التي فارقوا بها أهل السنة:**

ـ قولهم بتأخير الأعمال عن مسمى الإيمان.

ـ وقول الخالصة منهم: أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

---

(١) وهو: غيلان بن مسلم أبو مروان الدمشقي، القدري، أخذ القول بالقدر عن معبد الجهني، قال ابن قتيبة: كان قبطياً قدرياً، أخذه هشام بن عبد الملك. المعارف ٤٨٤، وقال الذهبي: ضال مسكين. انظر: ميزان الاعتدال ٣ / ٣٣٨.

(٢) انظر: الملل والنحل ١ / ١٣٩.

(٣) وهو: ذر بن عبد الله بن زرارة المرهبي. قال أحمد: لا بأس به وهو أول من تكلم في الإرجاء، وقال غير واحد: أنه كان مرجئاً، وهجره إبراهيم النخعي وسعيد بن جبير لذلك. وقد شهد مع ابن الأشعث قتال الحجاج سنة ٨٠هـ. انظر: ابن حجر، التهذيب ٣ / ٢١٨.

(٤) انظر: السنة ص ٦٥٢، رسالة دكتوراة (بتحقيق عطية عتيق الزهراني). وقال محققه: إسناده صحيح.

(٥) انظر: محمد بن يحيى العدني، كتاب الإيمان ص ١٤٨، (بتحقيق حمد بن حمدي الجابري، ط. الأولى ١٤٠٧، نشر: الدرا السلفية). وانظر أيضاً: ابن حجر، تهذيب التهذيب ٢ / ٣٢١.

٤) **الجهمية:**

وهم أصحاب جهم بن صفوان[(١)] (ت ١٢٨هـ) وسموا بذلك نسبة إليه.

*** أهم مقالتهم التي فارقوا بها أهل السنة وجماعة المسلمين:**

١) نفي أسماء الله وصفاته.

٢) القول بخلق القرآن.

٣) القول بالجبر: وهو أن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور على أفعاله[(٢)].

٤) القول بالإرجاء وأن الإيمان هو المعرفة[(٣)].

٥) القول بفناء الجنة والنار[(٤)].

٥) **المعتزلة:**

*** وجه التسمية:**

سموا بذلك؛ لاعتزال مؤسس نحلتهم واصل بن عطاء(٨٠ - ١٣١) مجلس الحسن البصري (ت ١١٠)، بعد مخالفته له في مرتكب الكبيرة، حيث قال واصل أنه في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، ثم تنحى عن مجلس الحسن واعتزل جانباً يقرر رأيه هذا[(٥)] فقيل له ولأتباعه من يومئذ المعتزلة.

---

(١) وهو: جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية، قال الذهبي: هلك في زمان التابعين، وما علمته روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً. ميزان الاعتدال ١ / ٤٢٦. قتل سنة ١٢٨. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية ١٠ / ٢٧.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ٨٦.

(٣) المصدر السابق ١ / ٨٨.

(٤) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق ٢١١، والإسفرائيني، التبصير في الدين ١٠٨.

(٥) انظر: الشهرستاني ١ / ٤٨، وزهدي جار الله. المعتزلة ص ٢.

* **أهم أقوالهم التي خالفوا فيها أهل السنة :**

١) نفي الصفات الإلهية .

٢) القول بخلق القرآن .

٣) قولهم أن العبد خالق لأفعاله خيرها وشرها ، وأن الله لا يخلق أفعال العباد ، وأن أفعالهم تقع منهم بغير إرادة الله ومشيئته .

٤) القول : بأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وأنه في منزلة بين ذلك ، وأنه لا بد أن يدخل النار ويخلد فيها[1] .

٥) قولهم باستحقاق العبد الثّواب على الله إذا خرج من الدنيا طائعاً على سبيل الإيجاب والمعاوضة[2] .

ولهم أقوال أخرى ، وما ذكرت هو أعظمها .

٦) طائفة الأشعرية ، أو الأشاعرة :

وهي أكبر طوائف المسلمين ، وأوسعها انتشاراً .

* **وجه التسمية :**

سموا بذلك ؛ نسبة إلى مؤسس النحلة ، وهو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠ ـ ٣٢٤هـ) الذي كان في أول أمره معتزلياً ، ثم ترك الاعتزال لما تبين له خطله ، وسلك طريقة ابن كلاب[3] ، فأثبت بعض الصفات وأول البعض الآخر ، ثم هداه الله إلى مذهب أهل السنة في آخر حياته ، فصنف

---

(١) راجع البغدادي ، الفرق بين الفرق ١١٤ ـ ١١٥ ، والشهرستاني ، الملل والنحل ١ / ٤٤ ـ ٤٥ .

(٢) الشهرستاني ١ / ٤٥ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٧٢ .

الإبانة والمقالات، وذكر فيهما متابعته لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل، وقوله بكل ما قاله[1].

ذكر هذه الأطوار الثلاثة لأبي الحسن الإمام ابن كثير رحمه الله فقال: (ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولاها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

الحال الثاني: إثبات الصفات السبع وهي: الحياة، والعلم، والقدرة والإرادة، والسمع والبصر، والكلام، وتأويل الخبرية؛ كالوجه واليدين والقدم والساق.

والحال الثالث: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخراً...)[2].

والمنتسبون إليه هم على مذهبه الكلابي الذي رجع عنه إلى مذهب السلف.

*** أشهر أقوالهم التي خالفوا فيها أهل السنة:**

١) نفي وتأويل بعض الصفات الخبرية؛ كالوجه واليدين والساق ونحو ذلك، وتأويل الصفات الاختيارية؛ كالاستواء، والنزول، والغضب والرحمة.

٢) القول: بأن كلام الله كلام نفسي بلا حرف ولا صوت.

---

(١) انظر: الإبانة ص ٢٠.

(٢) انظر: ابن كثير، طبقات الفقهاء من الشافعية، الطبقة الثالثة من أصحاب الشافعي ق ٢٦ / ب. مخطوط مصور بمكتبة الشيخ حماد الأنصاري مَتَّعَ الله بحياته. وعن رجوع أبي الحسن الأشعري راجع رسالة (أبو الحسن الأشعري)، لشيخنا حماد بن محمد الأنصاري حفظه الله فقد أوضح فيها الحق الذي تنشد.

٣) قولهم: بأن الإيمان هو التصديق وأن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان.

٤) قولهم: بالكسب الذي يؤول إلى الجبر.

وسيأتي لذلك زيادة إيضاح في الفصول الآتية.

● **ثانياً: أسباب افتراقها:**

يمكن تقسيم الأسباب الرئيسة التي أدت إلى هذا الافتراق إلى قسمين:

أسباب داخلية.

أسباب ومؤثرات أجنبية خارجية.

أ ـ فأمّا الأسباب الداخلية فمن أهمها:

١) اتباع الهوى: فإنّه أصل الزيغ ومفارقة الحق[١].

٢) الجهل: وهو من أعظم الأسباب المؤدية إلى الابتداع والتفرق والاختلاف.

٣) الغلو والإفراط: وهو من الأسباب الهامّة والعوامل المؤثرة في تكوُّن الفرق واختلافها، ومن شواهد ذلك غلو الشيعة في علي رضي الله عنه، وأئمتهم وقولهم بعصمتهم. ثم غلو الخوارج والمعتزلة في آيات الوعيد، وغلو الجبرية في إثبات القدر.

٤) فتح باب تأويل النصوص الشرعية بدون دليل، وهو من أعظم عوامل تفرق الأمم وابتداعها، يقول الإمام ابن القيم: (وبالجملة فافتراق أهل الكتاب وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة؛ إنما أوجبه التأويل، وإنما أريقت

---

(١) انظر: الشيخ عبد الله الغنيمان. أسباب ظهور الفرق الإسلامية، مقال منشور في مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام عدد ٢ سنة ١٣٩٩ ـ ١٤٠٠هـ ص ١٥٤.

دماء المسلمين يوم الجمل وصفين. . . بالتأويل. . .)[1].

٥) تحكيم العقل في النقل وتقديمه عليه. واعتبار العقل هو الأصل والآساس فيما يقبل ويرد، وفيما يصح أو لا يصح ويجوز على الله أو لا يجوز. كما يقول المعتزلة. يقول القاضي عبد الجبار وهو يرتب أنواع الأدلّة: (فاعلم أن الدلالة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والاجماع، ومعرفة الله لا تُنال إلا بالعقل)[2].

ب ـ الأسباب والمؤثرات الأجنبية:

ويمكن تلخيص هٰذه الأسباب والمؤثرات في العناصر الآتية:

١) احتكاك المسلمين بالأمم المجاورة والتأثّر بثقافاتها وأفكارها الدينية، ولا سيّما بعد المَدّ الإسلامي واتّساع الفتوح وسياحة المسلمين في البلدان المفتوحة.

٢) دخول كثير من أصحاب الأديان الأخرى في الإسلام، ولم يتخلصوا من أفكارهم ومعتقداتهم السابقة، فأثاروا الشبهات في الإسلام.

٣) ترجمة كتب الفلسفة والمنطق، وتشجيع دراستها والتعمق فيها.

٤) دخول بعض المغرضين من اليهود والمجوس في الإسلام بقصد الدس والكيد للإسلام والمسلمين، ومن هٰؤلاء عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام، وفرق الأمة بما بثه من أفكار الغلو في علي رضي الله عنه وأحقيّته بالخلافة.

ومما يدل على مبلغ أثر المؤثرات والأسباب الأجنبية في تفرق المسلمين ومدى مسؤوليتها عن ذٰلك. أنك إذا رجعت إلى أصول كثير من الفرق والبدع

---

(١) انظر: اعلام الموقعين ٤ / ٣١٧.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ٨٨.

تجدها أصولاً خارجية.

* فأصل مقالة التعطيل والقول بخلق القرآن مثلاً: يهودي، إذ يرجع إلى لبيد بن الأعصم اليهودي، كما ذكر ابن الأثير في سياقه سلسلة التعطيل، حيث قال: (. . . وأخذ الجهم من الجعد بن درهم، وأخذه الجعد من أبان بن سمعان، وأخذه أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وختنه، وأخذه طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ وكان لبيد يقول بخلق التوراة، وأول من صنف في ذلك طالوت وكان زنديقاً فافشى الزندقة)[1].

* وأصل القول في القدر يرجع إلى رجل نصراني، أخرج الآجري، واللالكائي، وغيرهما عن الإمام الأوزاعي رحمه الله أنه قال: (أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن، كان نصرانياً فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد)[2].

* وأصل التشيع والرفض يرجع إلى يهودي هو: عبد الله بن سبأ كما تقدم.

وهكذا نجد العوامل والمؤثرات الخارجية ذات تأثير مباشر في نشأة الفرق وتكونها ووقوع الخلاف.

●●●●●

---

(١) انظر: الكامل ٥ / ٢٩٤. وانظر أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية ٩ / ٣٦٤.

(٢) انظر: الشريعة ٢٤٣، وشرح أصول أهل السنة ٤ / ٧٥٠، ح ٧٤٩.



الفصل الأول

في وسطية أهل السنة
في باب أسماء الله وصفاته

وفيه تمهيد، وأربعة مباحث:

ـ المبحث الأول: في بيان قول أهل التعطيل.

ـ المبحث الثاني: في بيان قول أهل التشبيه والتمثيل.

ـ المبحث الثالث: بيان قول أهل سواء السبيل.

ـ المبحث الرابع: في بيان وسطية قول أهل السنة في هٰذا الباب.



تمهيد:

إنّ التالي لكتاب الله عز وجل، ليجد في كثير من الآيات الكريمات ذكر اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، أو صفة من صفاته.

وكذلك يجد المطالع للسنة المطهرة عدداً من الأحاديث الشريفة تشتمل على ذكر اسم من أسماء الله الحسنى أو صفة من صفاته العلى.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتلون آيات الله عز وجل، ويتلقون عن رسول الله ﷺ سنته المطهرة.

ونجزم أنهم كانوا يقرأون القرآن قراءة تدبر، وأنهم كانوا يفهمون معاني ما يتلون ويقرأون؛ لأنهم يتلونه ليعملوا به، فيحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويعملوا بمحكمه ويؤمنوا بمتشابهه.

وكذلك كان تلقيهم لسنة رسول الله ﷺ، تلقى فهم وتدبر؛ لأنهم متعبدون بالعمل بها كما هم متعبدون بالقرآن.

وإذا أشكل عليهم شيء مما جاء فيها، أو خفي عليهم معناه، أو عزب عن أذهانهم فهم المراد منه، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فيبين لهم ما نزل إليهم، ويوضح ما خفي عليهم.

جاء في «الصحيح»: (أن عائشة زوج النبي ﷺ ـ رضي الله عنها ـ كانت

لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلاَّ راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: من حوسب عذب، قالت عائشة فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً﴾[1] قالت: فقال: إنما ذٰلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك)[2].

ومع ذٰلك لم يرد قط من طريق صحيح، ولا سقيم، عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم، وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة، في القرآن الكريم، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، بل كلهم فهموا معنى ذٰلك وسكتوا عن الكلام في الصفات...[3].

وربما اختلفوا رضي الله عنهم في شيء من الأحكام وأمور الحلال والحرام لكنهم لم يختلفوا في أسماء الله وصفاته وإثبات ما ورد منها.

يقول الإمام ابن القيم رحمة الله عليه موضحاً شأنهم في ذٰلك: (وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيماناً، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة، كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلاً، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يبدوا لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإيمان والتعظيم وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً

---

(١) سورة الإنشقاق آية ٨.

(٢) خ: كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع فيه ١ / ١٩٦، ح ١٠٣.

(٣) انظر: المقريزي، الخطط ٢ / ٣٥٦.

واحداً، وأجروها على سنن واحد. . .)[1].

مضى عصر الصحابة على ذٰلك، كلمتهم واحدة، ليس لهم في ذٰلك قولان، ولا تنازع في هٰذا الباب منهم اثنان.

ثم خلف من بعدهم أخلاف، وبسقت قرون بدع، ونبتت نوابت فرقة واختلاف، فاختلف الناس في هٰذا الباب بعد ائتلاف، فكانوا طوائف ثلاث:

الأولى: أهل تعطيل.

الثانية: أهل تمثيل.

الثالثة: أهل سواء سبيل.

فأما أهل التعطيل: فقد قالوا بنفي أسماء الله وصفاته، وبعضهم أثبت الأسماء ونفى الصفات، وأمثلهم أثبت الأسماء وبعض الصفات، ونفى أو أوّل البعض الآخر. وهم طوائف. بينهم تفاوت.

وأما أهل التمثيل: فمالوا إلى ضروب من التمثيل والتشبيه، وهم أيضاً طوائف، ما بين مشبِّه للمخلوق بالخالق، وآخر مشبِّه للخالق بالمخلوق.

وأمَّا أهل سواء السبيل: فهم الذي سلكوا سبيل ذٰلك الرعيل الذي عاصر التنزيل؛ ـ أعني: الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ـ اقتدوا بهم، واهتدوا بهديهم، فكان قولهم كَقولهم، وهٰؤلاء هم أهل السنة والجماعة الذين سلموا من ضلالة النفي والتعطيل، ولم يرتكسوا في حمأة التشبيه والتمثيل، وكانوا بين ذٰلك على هدي قاصد وصراط مستقيم.

وفي هٰذا الفصل سنعرض بإذن الله لبيان قول كل من الطوائف الثلاث في هٰذا الباب من خلال كتبهم ومصنفاتهم ما وجدت إلى ذٰلك سبيلاً، أو من خلال

---

(١) انظر: اعلام الموقعين ١ / ٥١ ـ ٥٢.

ما نقل وأثر من أقوال أئمتهم ورواد نحلتهم، ثم نذيّل الفصل بذكر طرف من أقوال أهل العلم التي أشاروا فيها إلى وسطيّة قول أهل السنة في هٰذا الباب، ونماذج مختارة من بعض الصفات نبرز من خلالها صور وسطية أهل السنة في ذٰلك، نُدِلُّ بها على باقي الصفات.

●●●●●

المبحث الأول:

في بيان قول أهل التعطيل

وقبل ذكر أقوالهم، لنقف على معنى التعطيل في اللغة، والمراد به عند إطلاقه في هٰذا الباب.

فالتعطيل في اللغة: من عطل، وهو يدل على خُلُوّ وفراغ، نقول: عطلت الدار، ودار معطلة، ومتى تركت الإبل بلا راعٍ فقد عطلت، وكذٰلك البئر إذا لم تورد ولم يستق منها، قال تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾[1]، [2]؛ أي: لا يستقي منها، ولا يردها أحد[3].

والمراد بالتعطيل: إنكار ونفي ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو إنكار بعض ذٰلك[4]، وهو يتضمن تعطيل الخالق جل وعلا من بعض أسمائه وصفاته، وتعطيل نصوص الكتاب والسنة عما دلت عليه من المعنى الحق في هٰذا الباب.

وأهل التعطيل كما سبقت الإشارة طوائف، أخذ الخالف منهم بعض ما كان عليه السالف والجميع في ربقة التعطيل مرتبك.

الطائفة الأولى: نفاة الأسماء والصفات:

وهٰؤلاء هم (الجهمية) وسُمُّوا بذٰلك نسبة إلى (الجهم بن صفوان) السمرقندي الترمذي، مولى بني راسب (ت ١٢٨هـ)[5].

---

(١) سورة الحج آية ٤٥.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٤ / ٣٥١ - ٣٥٢.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥ / ٤٣٤.

(٤) انظر: محمد بن صالح بن عثيمين، فتح رب البرية بتلخيص الحموية ٥٥ ضمن مجموع رسائل في العقيدة، (ط. الأولى ١٤٠٤هـ، نشر: دار طيبة - الرياض).

(٥) انظر ترجمته لدى ابن حجر، لسان الميزان ٢ / ١٤٢.

وكان ـ كما يقول الإمام أحمد بن حنبل (صاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله تعالى. . .)[1]ـ.

تلقى عن شيخه (الجعد بن درهم)[2] الكلام والقول بإنكار الأسماء والصفات[3]، ثم أشاعه وأظهره حتى نسب ذلك إليه دونه، وكان أول ظهور مذهبه بـ (ترمذ)، وظل يبث آراءه في ذلك حتى قتله سلم بن أحْوَز المازني بـ (مرو) في آخر ملك بني أمية كما يقول الأشعري[4]، وذكر الإمام ابن جرير وفاته في سنة مائة وثمان وعشرين[5].

* **ذكر قول جهم وأصحابه في الأسماء والصفات:**

لم يصل إلينا شيء من كتب الجهمية الأوائل، غير أننا نستطيع أن نقف على الكثير من أقوالهم، واعتقاداتهم، من خلال ما دونه عنهم بعض الأئمة، ومؤلفوا كتب الفرق والمقالات، وما سجله بعض المؤرخين من مقالاتهم في ثنايا تراجمهم وأخبارهم.

فمما بلغنا من قولهم في ذلك، ما ذكره الإمام أحمد بن حنبل في كتاب: «الرد على الجهمية والزنادقة» حيث قال: (وزعم؛ ـ أي: جهم ـ أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدث عنه رسوله كان كافراً، وكان من المشبهة. . .

---

(١) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة ١٠٢.

(٢) قال الذهبي: عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر والقصة مشهورة. اهـ. ميزان الاعتدال ١ / ٣٩٩. وقصة قتله رواها الإمام البخاري في خلق أفعال العباد ص ٧.

(٣) قال الإمام البخاري: «قال قتيبة: بلغني أن جهماً كان يأخذ الكلام من الجعد بن درهم». انظر: خلق أفعال العباد ص ٧.

(٤) انظر: المقالات ١ / ٣٣٨.

(٥) انظر: تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٣٣٥.

وإذا سألهم الناس عن قول الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأرضين السبع كما هو على العرش، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولم يتكلم، ولا يتكلم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة...)[1].

ومن ذٰلك قول الأشعري عن الجهم: (ويحكى عنه أنه كان يقول: لا أقول إن الله سبحانه شيء؛ لأن ذٰلك تشبيه له بالأشياء)[2].

ومن ذٰلك ما نقله الملطي من قولهم: (إنَّ الله لا شيء، ... ولا يقع عليه صفة شيء... ـ قال ـ: ومنهم صنف زعموا أن الله شيء، وليس كالأشياء، لا يقع عليه صفة... ولا سمع ولا بصر، ولا كلام، ولا تكلم، وأن القرآن مخلوق وأنه لم يكلم موسى، ولا يكلم قط... ـ قال: ـ ومنهم صنف قالوا: ... لا نقول: إن الله قوي ولا شديد ولا حي، ولا ميت، ولا يغضب ولا يرضى، ولا يسخط، ولا يحب ولا يعجب، ولا يرحم، ولا يفرح، ولا يسمع، ولا يبصر ولا يقبض، ولا يبسط...)[3].

ذكر عن جهم أنه: أنكر أن يكون الله على العرش، وأنكر الكرسي، وأنكر النزول، والرؤية والوجه، والسمع والبصر، والتكلم واليد وغير ذٰلك[4].

ومن ذٰلك ما ذكره الشهرستاني، قال: (وافق[5] ـ أي: جهم ـ المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء:

---

(١) ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) انظر: المقالات ١ / ٣٣٨.

(٣) انظر: التنبيه والرد ٩٦ ـ ٩٨.

(٤) راجع التنبيه والرد ص ٩٩ ـ ١٣٥.

(٥) الحق أن جهماً تقدم المعتزلة في القول في الأسماء والصفات، والمعتزلة هم الذين وافقوه في بعض قوله وأخذوا عنه نفي الصفات. فتنبه.

منها: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقضي تشبيهاً فنفي كونه حياً، عالماً، وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً؛ لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق)[1].

ومن ذلك ما ذكره السمعاني في «الأنساب»، حيث قال في ترجمة جهم: (والمنكر في عقيدته كثير، وأفظعها كان يزعم أن الله عز وجل لا يوصف بأنه شيء، ولا بأنه حي عالم ولا يوصف بما يجوز إطلاق بعضه على غيره، وزعم أن تسميته شيئاً، وتسمية غيره شيئاً، توجب التشبيه بينه وبين غيره، وكذلك تسميته حياً وعالماً، وتسمية غيره بذلك توجب التشبيه بينه وبين من سمى بذلك من المخلوقين.

وأطلق عليه اسم القادر؛ لأنه ـ أي: الجهم ـ لا يُسَمِّي أحداً من المخلوقين قادراً من أجل نفيه استطاعة العباد واكتسابهم.

ـ قال ـ: وفي هذا القول إبطال أكثر ما ورد به القرآن من أسماء الله تعالى، كالعليم، والحي، والبصير، والسميع، ونحو ذلك؛ لأن كل واحد من هذا الأسماء قد يسمى به غيره فيلزمه أن لا يسمى إلهه إلا باسم ينفرد به كالإله والخالق والرازق ونحو ذلك، ويرد أسماءه حينئذ إلى عدد قليل)[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولهذا كان جهم... وأمثاله يقولون: إنّ الله ليس بشيء، وروى أنه قال: لا يسمى باسم يسمى به الخلق، فلم يسَمِّه إلاّ بالخالق القادر؛ لأنه كان جبرياً يرى أن العبد لا قدرة له)[3].

من هذه النقول يتضح لنا مذهب جهم الذي يدور على:

---

(١) انظر: الملل والنحل ١ / ٨٦.

(٢) انظر: الأنساب ٢ / ١٣٣.

(٣) انظر: منهاج السنة ٢ / ٥٢٦.

١) نفي كل اسم أو صفة يجوز أن يسمى أو يتصف بها غير الله.

٢) إثبات اسم القادر والخالق؛ لأنه لا قادر ولا خالق غيره ولا يسمى بها أحد من خلقه.

٣) إنكار رؤية الله عز وجل في الآخرة.

٤) القول بخلق القرآن.

٥) أن شبهته الرئيسة التي من أجلها قال بكل ذلك: نَفْيُ التشبيه. إذ يرى أن تسميته أو وصفه بشيء يسمى به أو يوصف به غيره. تشبيه له سبحانه بالمخلوقات، فلما قام في قلبه التشبيه نزع إلى النفي والتعطيل.

الطائفة الثانية من طوائف المعطِّلة: هم: مثبتة الأسماء ونفاة الصفات:

وهؤلاء هم المعتزلة.

أخذ المعتزلة عن الجهمية القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن ونفي رؤية الله عز وجل في الآخرة.

وقد أشار الإمام أحمد رحمه الله إلى أن بعض أصحاب (عمرو بن عبيد) أحد رؤوس الاعتزال كما هو معلوم، ـ قد تبع جهم بن صفوان على مقالته وأخذ عنه[1].

وكان بين جهم وواصل بن عطاء[2] زعيم المعتزلة الأول مكاتبات[3]. وقَدْ أخذ بشر المريسي، المعتزلي مقالة الجهم بن صفوان واحتَجَّ لها، وجرَّدَ القول

---

(١) انظر: الرد على الزنادقة ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) وهو: واصل بن عطاء، يكنى بأبي حذيفة، ويلقب بالغزال، ولم يكن غزالاً وإنما كان يلازم الغزالين، له مصنفات في الرد على مخالفيه، مات سنة ١٣١ وعمره ٥١ عاماً. انظر: المنية والأمل ص ١٧ ٢١، وانظر: ميزان الاعتدال ٤ / ٣٢٩.

(٣) انظر: ابن المرتضى، المنية والأمل ص ٢١، (نشر: دار صادر).

بخلق القرآن وناظر عليه[1].

إذاً فهناك اتصال بين أقطاب التجهم وبين رُوَّاد الاعتزال، على إثره انتقلت بعض أفكار الجهمية ومذاهبهم إلى المعتزلة الذين تبنوها ودافعوا عنها، حتى أصبح يطلق عليهم الجهمية أيضاً لشدة تأثرهم بمقولة جهم وأتباعه، ولا سيما في نفي الصفات، والرؤية، والقول بخلق القرآن، قال القاسمي: (إنَّ تلقيبهم؛ ـ أي: المعتزلة ـ بالجهمية إنما كان لما وجد من موافقتهم للجهمية في تلك المسائل ـ أي: نفي الرؤية والصفات ـ مع مراعاة سبقهم فيها على المعتزلة، وتمهيدهم السبيل للتوسع فيها ـ قال: ـ فاحفظه)[2].

وهٰـذه بعض النقول التي استقيناها من كتب القوم، وكتب الفرق والمقالات التي دونت أقوالهم ومذاهبهم، والتي تبين رأيهم ومعتقدهم في باب أسماء الله وصفاته.

يقول ابن المرتضى المعتزلي في بيان ما أجمعت عليه المعتزلة: (وأمّا ما أجمعوا عليه فقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدثاً، قديماً، قادراً، عالماً، حياً، لا لمعان، ليس بجسم، ولا عرض، ولا جوهر عيناً واحداً لا يُدْرَكُ بحاسة)[3].

وقوله: (لا لمعان)؛ معناه: أنهم يثبتون كونه عز وجل قادراً، عالماً، حياً. . .، أسماء مجردة لا تدل على صفات، فهو قادر بدون قدرة، عالم بلا علم حي بلا حياة. يوضح هٰذا:

قول الشهرستاني: (والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد: القول بأن الله تعالى قديم والقدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلاً فقالوا:

---

(1) راجع: ميزان الاعتدال ١ / ٣٢٢.

(2) انظر: تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٦٠.

(3) المنية والأمل ص ٦.

هو عالم بذاته، حي بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة. هي صفات قديمة ومعان قائمة به؛ لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلٰهية.

واتفقوا على: أن كلامه محدث في محل... واتفقوا على أن الإرادة، والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته... واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار...)[1].

وقال السكسكي: (وقد أجتمعت؛ ـ أي: المعتزلة ـ على نفي الصفات عن الله عز وجل، وتعالى عن قولهم، كالعلم والقدرة والسمع والبصر...)[2].

وهٰذا القول مما أُسِّسَ عليه الكيان المعتزلي، فقد (كان ـ شيخهم الأول ـ واصل ابن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر، وهو الاتفاق على استحالة وجود إلٰهين قديمين أزليين، قال: ومن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت إلٰهين)[3] لذٰلك كان من أولى قواعد مذهبه: نفي الصفات بناء على رأيه هٰذا.

الطائفة الثالثة: من طوائف أهل التعطيل: وهم الذين أثبتوا الأسماء وبعض الصفات ونفوا أو أولوا البعض الآخر:

ومن هٰذه الطائفة: الأشاعرة[4].

فإنهم متفقون على إثبات بعض الصفات التي يسمونها صفات المعاني، وهي القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع والبصر، والكلام[5].

---

(١) انظر: الملل والنحل ١ / ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٥٠، (ط. الأولى ١٤٠٨، نشر: مكتبة المنار ـ الأردن).

(٣) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ٤٦.

(٤) تقدم التعريف بهم. انظر: ص ٢٩٧.

(٥) انظر: محمد بن يوسف السنوسي، أم البراهيم، ضمن مجموع مهمات المتون ص ٣.

يقول البغدادي: (أجمع أصحابنا على أن قدرة الله عز وجل، وعلمه وحياته وإرادته وسمعه وكلامه، صفات له أزلية. . .)[1].

واتفقوا على وجوب تأويل بعض الصفات ونفيها عن الله عز وجل، وذٰلك مثل صفة المحبة والرضى وغيرها من الصفات الاختيارية التي تقع بمشيئة الله وإرادته.

يبيّن الباقلاني عقيدتهم في مثل هٰذه الصفات فيقول: (ونعتقد أن مشيئة الله تعالى ومحبته ورضاه، ورحمته، وكراهيته، وغضبه، وسخطه، وولايته وعداوته كلها راجع إلى إرادته. . .)[2]، وقال: (وأنه سبحانه لم يزل مريداً ومحباً ومبغضاً وراضياً، وساخطاً، موالياً، ومعادياً، ورحيماً ورحماناً، . . . وجميع هٰذه الصفات راجعة إلى إرادته في عباده ومشيئته، لا إلى غضب يغيره، ورضى يُسَكِّنُهُ طبعاً له، وحنقٍ وغيظٍ يلحقه، وحقدٍ يجده. . .)[3].

وحقيقة قولهم نفي حقيقة هٰذه الصفات، وتأويلها بالإرادة.

واختلف قولهم في بعض الصفات الذاتية التي تعرف بالصفات الخبرية؛ أي: التي لم تثبت إلَّا من طريق السمع ولا دخل للعقل في إثباتها ولولا ورود السمع بها لما عُلِمت وذٰلك مثل صفة: اليدين، والعينين، والوجه.

فبعض متقدميهم يثبت ما ثبت من ذٰلك، كالباقلاني[4]. وأوّلها أكثرهم ولا سيما متأخروهم.

الحاصل أن القوم يثبتون بعض الصفات، وينفون ويؤولون البعض الآخر، وهٰذا تعطيل وإن كان أخف بلا شك من تعطيل الجهمية والمعتزلة.

---

(١) انظر: أصول الدين ٩٠.

(٢) انظر: الإنصاف ص ٢٦.

(٣) انظر: الإنصاف ٢٤.

(٤) نفس المصدر ص ٢٤.

المبحث الثاني:

في بيان قول أهل التشبيه والتمثيل

وهم صنفان: كما تقدم.

صنف شبهوا المخلوق بالخالق. ومن هٰذا الصنف: السبأية[1] من غلاة الروافض: الذين شبَّهوا علياً رضي الله عنه بالله، وجعلوه إلٰهاً وقالوا: أنت الله حتى حرّقهم بالنار على ذٰلك[2].

وليس من غرضنا هنا الحديث عن هٰذا الصنف؛ لأنّا إنّما نريد معرفة قول الصنف الثاني: وهم الذين شبهوا الخالق بالمخلوق، وجعلوا ما ورد من صفات الله جل وعلا مماثلاً ومشابهاً لصفات المخلوقين.

وهٰذا النوع من التشبيه يكثر في الروافض، بل هم أهله.

فإن من أشهر من قال بهٰذا النوع من التشبيه منهم: هشام بن الحكم الرافضي[3] الذي شبه معبوده بالإنسان، وزعم أنه سبعة أشبار بشبر نفسه... وأنه جسم طويل عريض... وروى عنه أنه كسبيكة الفضة...)[4].

---

(١) وهم فرقة من غلاة الرافضة، ينسبون إلى عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي رضي الله عنه أنت الله، وكان يهودياً ثم أظهر الإسلام، وكاد للإسلام كيداً عظيماً، انظر عن هٰذه الفرق: الشهرستاني الملل ١ / ١٧٤، والبغدادي الفرق بين الفرق ٢٣٣.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ٢٢٥ بتصرف.

(٣) وهو هشام بن الحكم الشيباني، كان من كبار الرافضة ومشاهيرهم، ومتكلميهم، وكان مجسماً، مشبهاً.

قال ابن النديم: مات بعد نكبة البرامكة، وقيل في خلافة المأمون انظر: الفهرست ٢٢٣ - ٢٢٤، وانظر ترجمته في لسان الميزان» لابن حجر ٦ / ١٩٤.

(٤) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق ٢٢٧، والشهرستاني، الملل ١ / ٨٤.

ومنهم هشام بن سالم الجواليقي[1]: الذي (زعم أن معبوده على صورة الإنسان، وأن نصفه الأعلى مجوف، ونصفه الأسفل مصمت. . .)[2].

ومنهم: داود الجواربي[3] الذي وصف معبوده بأن له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية[4] وقال: (اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك)[5]. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وممن قال بالتشبيه من غير الرافضة: مقاتل بن سليمان المفسر[6] الذي قال فيه الإمام أبو حنيفة: (أتانا من المشرق رأيان خبيثان؛ جهم معطل، ومقاتل مشبه)[7].

وقال ابن حبان: (كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يُشَبِّه الرب بالمخلوقات وكان يكذب في الحديث)[8].

●●●●●

---

(١) ذكره ابن النديم في الفهرست في متكلمي الإمامية ص ٢٢٦، والمقريزي في الخطط. قال: الجولقي ٢ / ٣٦٨. ولم أقف على ترجمة له.

(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق ٢٢٧.

(٣) قال الذهبي فيه: داود الجواربي رأس في الرفض والتجسيم. انظر: الميزان ٢ / ٢٣.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق ٢٢٨.

(٥) انظر: الشهرستاني الملل والنحل ١ / ١٠٥.

(٦) وهو: مقاتل بن سليمان البلخي المفسر أبو الحسن. مات سنة ١٥٠هـ. الذهبي، ميزان الاعتدال ٤ / ١٧٣ ـ ١٧٥.

(٧) انظر: ابن حجر، لسان الميزان ١٠ / ٢٨١.

(٨) الذهبي، ميزان الاعتدال ٤ / ١٧٥.

المبحث الثالث:

في بيان قول أهل سواء السبيل وهم أهل السنة

أمّا أهل السنة والجماعة فإن من أصولهم التي يدينون بها: إثبات ما ورد في كتاب الله عز وجل، أو على لسان رسول الله ﷺ من أسماء الله وصفاته لا يفرقون بين أسماء الله وصفاته، ولا بين بعض صفاته وبعض، بل قولهم في الجميع واحد، لا ينفون ولا يؤولون شيئاً منها، ولا يكيفيون أو يشبهون شيئاً منها بصفات المخلوقين.

يقول الإمام ابن عبد البر في ذٰلك: (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلّا أنهم لا يكيّفون شيئاً من ذٰلك، ولا يحدُّون فيه صفة محصورة)[1].

ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية مذهب أهل السنة وقولهم في ذٰلك بما لا مزيد عليه فيقول: (ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف وتمثيل، يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، يثبتون له صفات الكمال، وينفون عنه ضروب الأمثال، ينزهونه عن النقص والتعطيل، وعن التشبيه والتمثيل، إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ردٌّ على الممثلة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ ردٌّ على المعطلة)[2]. فمذهبهم إذاً بين التمثيل والتعطيل، دائر على الإثبات والتنزيه.

ولهم في ذٰلك منهج وسط، وقواعد مثلى عليها يدور مذهبهم، وقولهم في

---

(١) انظر: التمهيد ٧ / ١٤٥.

(٢) انظر: منهاج السنة ٢ / ١١١.

أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وهي قواعد دل عليها كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، فهي مستوحاة منهما، وكل من ضل في هٰذا الباب فإنما حصل له ذٰلك بسبب التفريط والإعراض عن شيء منها.

*** أولى هٰذه القواعد وأعظمها:**

أن لا يوصف الله عز وجل إلاَّ بما وصف به نفسه، أو وصفه رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث[1].

وكان مُطرِّف يقول: الحمد لله الذي من العلم به الجهل بغير ما وصف به نفسه[2].

وقال سحنون: من العلم بالله السكوت عن غير ما وصف به نفسه[3].

فمن وصفه بما لم يصف به نفسه، أو يصفه به رسوله فقد ضل، وقال على الله بلا علم، ومن ذٰلك صنيع الفلاسفة الذين سموه العقل الفعال، والمعتزلة الذين جعلوا القِدَمَ أخصّ صفاته، وهٰذا الاسم إلى كونه ليس في كتاب الله فإنه لا يؤدِّي المعنى الذي أناطوه به. واللفظ الشرعي الوارد في قوله ﴿هُوَ الأوَّلُ. . .﴾[4] أدلّ على المعنى المطلوب وأرضى للرب.

ومن لم يصفه بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، فقد ضيع وفرط وضل وعطل الله عز وجل عن أسمائه وصفاته التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة.

*** القاعدة الثانية:**

القطع بأنه ليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه لصفاته

---

(١) ذكره ابن تيمية من قول الإمام أحمد. انظر: الفتوى الحموية ص ١٦.

(٢) انظر: ابن عبد البر، التمهيد ٧ / ١٤٦.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) سورة الحديد آية ٣.

بصفات خلقه. كما تقدم قول نعيم بن حماد: (من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه أو تمثيل)[1].

وبسبب التفريط في هٰذا الأصل، ضلّ كل من طائفتي المعطلة، والمشبهة إذ اعتقد الجميع أن فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهاً، فنفى المعطلة وأولوا ما دلت عليه النصوص من الصفات، وقال المشبهة بمماثلتها لصفات المخلوقات.

*** القاعدة الثالثة:**

قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله سبحان[2]، وكل من حاول إدراك ذلك خرج إلى ضرب من التشبيه.

*** القاعدة الرابعة:**

القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، وبسبب الغفلة عن هٰذا الأصل، ضلّ من أثبت بعض الصفات ونفى البعض الآخر، إذ لا فرق بين ما نفاه وما أثبته والقول فيهما واحد[3] وكذٰلك القول في الأسماء.

*** القاعدد الخامسة:**

الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذى في ذٰلك حذوه ومثاله.

فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين عز وجل إنّما هو إثبات وجود لا

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٣١.

(٢) انظر: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢٨. نشر الجامعة الإسلامية.

(٣) راجع: ابن تيمية، التدمرية ٣١.

إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنّما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف[1].

*** القاعدة السادسة:**

الاعتصام بالألفاظ الشرعية الواردة في هٰذا الباب نفياً وإثباتاً، والتوقف في الألفاظ التي لم يرد نص بذكرها نفياً ولا إثباتاً كلفظ الجسم، والحيِّز والجهة، والمكان ونحو ذٰلك، والاستفصال عن مراد من أطلقها، فإن كان المعنى الذي أراده صحيحاً قُبل وعُبِّر عنه باللفظ الشرعي، وإن كان معنى باطلاً، لم يقبل.

يقول شيخ الإسلام في هٰذا المعنى: (فالواجب أن ينظر في هٰذا الباب، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعاني وننفي ما نفته النصوص من الألفاظ والمعاني.

وأما الألفاظ التي تنازع فيها من ابتدعها من المتأخرين، مثل لفظ (الجسم) و(الجوهر) و(المتحيز) و(الجهة) ونحو ذٰلك، فلا تطلق نفياً ولا إثباتاً، حتى ينظر في مقصود قائلها فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنى صحيحاً موافقاً لما أخبر به الرسول ﷺ صُوِّب المعنى الذي قصده بلفظه، ولكن ينبغي أن يُعبِّرَ عنه بألفاظ النصوص، ولا يعدل إلى هٰذا الألفاظ المبتدعة المجملة، إلَّا عند الحاجة، مع قرائن تبيِّن المراد بها ـ قال ـ: والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إنْ لم يخاطب بها، وأما إن أريد بها معنى باطل نفي ذٰلك المعنى، وإن جمع بين حق وباطل، أثبت الحق وأبطل

---

(١) رسالة للخطيب البغدادي في الكلام على الصفات ص ٢٠، ط. الأولى، بتحقيق: عمرو عبد المنعم، نشر: مكتبة العلم بجدة ١٤١٣هـ. وانظر معنى هٰذه القاعدة لدى ابن تيمية في التدمرية ص ٤٣.

الباطل)[1].

وبعـد: فهٰـذه بعض أهم القـواعد التي تُمَيِّزُ منهجَ أهل السنة في هٰذا الباب، وهي تدل على مدى اعتصامهم بالكتاب والسنة، والقول بما دلا عليه. بالسير عليها جاء قولهم معتدلاً مستصوباً.

●●●●●

---

(١) انظر: منهاج السنة ٢ / ٥٥٤ ـ ٥٥٥.

المبحث الرابع :

بيان وسطية قول أهل السنة في هٰذا الباب

مما تقدم من عرض لأقوال الثلاث في هٰذا الباب، يتضح لنا أن مذهب أهل السنة وسط بين النفاة المعطلة وبين المشبهة الممثلة.

وفي هٰذا المبحث سنذكر بعض أقوال أهل العلم من السلف الذين أشاروا إلى وسطية أهل السنة في هٰذا الباب، ثم نشير إلى صور من وسطيتهم من خلال قولهم وأقوال الفرق الأخرى في نماذج مختارة من الصفات.

● أولاً : أقوال بعض السلف في وسطية قول أهل السنة في صفات الله تعالى :

١) قول : الخطيب البغدادي :

قال رحمه الله : (أمّا الكلام في الصفات فإنّ ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها، وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفيّة، والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذٰلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه)[١].

٢) وممن أشار إلى وسطيتهم في ذٰلك شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع من كتبه فقال في «الوصية الكبرى» : (فهم ؛ - أي : أهل السنة - في باب أسماء الله وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه، حتى شبهوه بالعدم والموات، وبين أهل

---

(١) رسالة الخطيب في الكلام على الصفات، ص ١٩.

التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات.

فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه، وما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف وتمثيل)[1].

وقال: «ومذهب السلف بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على أهل التشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على أهل النفي والتعطيل.

فالممثِّل أعشى ، والمعطِّل أعمى، الممثِّل يعبد صنماً، والمعطِّل يعبد عدماً»[2].

٣) وممن أشار إلى وسطية قولهم من فضلاء أهل السنة المعاصرين الشيخ عبد المحسن العباد في شرحه لحديث: (يضحك الله لرجلين) في كتابه «عشرون حديثاً من صحيح مسلم» بعد أن ذكر القول الواجب في الصفات وذكر قول أهل التعطيل والتأويل وقول أهل التشبيه والتمثيل. قال: (والحق وسط بين الإفراط والتفريط وسط بين الذين أثبتوا الصفات وأفرطوا إذ شبَّهوا الله بخلقه، وبين الذين فرطوا فنفوا الصفات، أو تأولوها بقصد تنزيه الله عن مشابهة الخلق.

والمذهب الحق وسط بين الطرفين ففيه الإثبات، فلا نفي ولا تأويل، وفيه التنزيه فلا تشبيه ولا تمثيل، وكل من المشبهة والنفاة جمعوا بين إساءة وإحسان.

فالمشبِّهة: أحسنوا إذ أثبتوا فلم ينفوا الصفات، وأساؤا إذ شبَّهوا ومثّلوا.

والنفاة: أحسنوا إذ نزَّهوا الله عن مشابهة خلقه، وأساءوا إذ نفوا عن الله

---

(١) انظر: الوصية الكبرى ١٥.

(٢) انظر: الفتاوى ٥ / ١٩٦، وانظر أقواله الأخرى في: منهاج السنة ٣ / ٤٦٨ و ٥ / ١٧٢، والصفدية ٢ / ٣١٣ - ٣١٤، الواسطية ص ١٠٧.

ما أثبته لنفسه.

وأهل السنة والجماعة جمعوا بين الحسنيين وسلموا من الإساءتين، فالإحسان الذي عند الطرفين عندهم، وليس عندهم ما عند كل من الإساءة، وذلك أنهم أثبتوا ما أثبت في الكتاب والسنة من الصفات، ونزّهوا الله عن مشابهة خلقه كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فأول الآية تنزيه، وآخرها إثبات.

فمثل هٰذا المذهب الحق بالنسبة إلى الطرفين المتقابلين كاللبن السائغ الخالص السائغ للشاربين الذي يخرج من بين فرث ودم)[1].

هٰذه بعض أقوال الأئمة في وسطيَّة قول أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته، في عصور متفاوتة، وللأئمة إلى ذٰلك إشارات وتنبيهات كثيرة إلى هٰذه الوسطية، وما ذكرت كافٍ ودالٌّ على أمثاله.

● **ثانياً: صور من وسطية أهل السنة في هٰذا الباب:**

من أعظم وأبلغ صور وسطيّة أهل السنة في هٰذا الباب:

* كونهم الطائفة الوحيدة التي أثبتت لله جميع ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع تحقيقها للتنزيه وسلامة قولها من التشبيه والتمثيل. وليس ذٰلك إلاَّ لها.

فإنَّ الجهمية المحضة: نفوا الأسماء والصفات كما تقدم.

والمعتزلة: أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات كما سبق ذكر ذٰلك.

فكان قولهم خيراً من قول أولئك، فإنّ من سَمَّى الله بما سَمَّى به نفسه أقرب إلى الحق والصواب ممن نفى ذٰلك.

---

(١) انظر: عشرون حديثاً من صحيح مسلم ١٧٧ ـ ١٧٨، (ط. الأولى ١٣٩١ بالقاهرة).

والكلابية والأشاعرة: أثبتوا الأسماء، وبعض الصفات، ونفوا وأوَّلُوا البعض الآخر، فقولهم خير وأقرب للحق من قول الجهمية والمعتزلة.

وأهل السنة لَمَّا أثبتوا جميع الأسماء والصفات، كان قولهم خيراً من قول الجميع.

* كونهم الطائفة الوحيدة التي عملت بمقتضى قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ**﴾[1] إذ كل طائفة عداها إنما عملت بشطر من هٰذه الآية وضيَّعت الشطر الآخر كما تقدم إيضاح ذٰلك في كلام فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد.

هٰذه بعض الصور العامة لوسطيتهم، وهناك صور كثيرة لهٰذه الوسطية نستطيع أن نلمسها من خلال أقوالهم في كثير من الصفات الإلٰهية.

وسنختار بعض الصفات أمثلة ونماذج نوضح من خلالها هٰذه الوسطية. فمن ذٰلك:

١) صفة العلو والفوقية:

دلت كثير من الآيات والأحاديث النبوية على علو الله عز وجل، وأنه فوق مخلوقاته، من ذٰلك قوله تعالى: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾[2]، وقوله ﴿**وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾[3]، وقوله: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[4]. وغير ذٰلك من الآيات كثير.

فاختلفت الطوائف والفرق في ذٰلك، ونزع قوم إلى إفراط، وآخرون إلى

---

(١) سورة الشورى آية ١١.

(٢) سورة النحل آية ٥٠.

(٣) سورة الأنعام آية ١٨.

(٤) سورة فاطر آية ١٠.

تفريط.

* فقال حلولية الجهمية: إنّ الله بذاته في كل مكان فقالوا: (هو تحت الأرضين السبع كما هو على العرش، ولا يخلوا منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان)[1].

* وقال معطلة الجهمية: ليس هو داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت.

وهٰذا قول المعتزلة[2]، وإليه يؤول قول الأشاعرة، الذين نفوا فوقيته لزعمهم أنه لا يصح أن يكون الباري في جهة، يقول الجويني: (إن الرب تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بالمحاذاة ولا تحيط به الأقطار. . .)[3].

ويقول الرازي: (اعلم أنا ندعي وجود موجود لا يمكن أن يشار إليه بالحسّ أنه هٰهنا أو هنالك. . .)[4] ومؤدّاه أنه سبحانه ليس فوق سماواته مستو على عرشه.

* وقال أهل السنة: إنّ الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه كما دل على ذٰلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة[5].

فقول أهل السنة كما ترى وسط بين قول: من جعله ـ تعالى عن قولهم ـ في كل مكان، وبين قول من جعله لا داخل العالم ولا خارجه ولا هو فوق ولا

---

(١) انظر: الإمام أحمد بن حنبل، الرد على الجهمية ١٠٥.

(٢) الأشعري، المقالات ١ / ٢٣٧، وهو قول الفوطي، وعباد بن سليمان، وأبي زفر وغيرهم وجمهورهم على القول بأنه في كل مكان. وانظر: زهدي جار الله، المعتزلة ص ٨٣.

(٣) لمع الأدلة ٩٤ ـ ٩٥.

(٤) أساس التقديس ص ٤.

(٥) ابن تيمية، الفتاوى ٢ / ٢٩٧.

تحت.

٢) رؤية الله عز وجل:

فقد أفرط قوم في إثبات ذٰلك فجاوزوا الحَدَّ وقالوا: إنّه سبحانه يُرى في الدنيا والآخْرة، وإنه يحاضر ويسامَر وهٰذا قول بعض غلاة الحلولية[١].

وفرّط قوم فقالوا: إنّه لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة. وهٰذا قول: الجهمية والمعتزلة[٢] وغيرهم من أهل البدع[٣].

وقال أهل السنة: ـ من الصحابة والتابعين ـ إن الله يُرى في الآخرة بالأبصار عياناً وأن أحداً لا يراه في الدنيا بعينه.

لأن الله أخبر أن عباده يرونه في الآخرة فقال: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**[٤]، وقال عن الكفار: **﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾**[٥]، فلما حجب الكفار عن رؤيته عقوبة لهم دلّ على أن أهل طاعته يرونه.

وأخبر رسول الله ﷺ أنه لا تمكن رؤيته في الدنيا فقال: (تَعلّمُوا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت)[٦].

فقول أهل السنة كما ترى وسط بين من أثبت رؤيته تعالى في الدنيا والآخرة، وبين من نفاها في الدارين، فأثبتوها في الآخرة دون الدنيا كما قال الله ورسوله ﷺ.

---

(١) انظر: ابن تيمية، الوصية الكبرى ١ / ٢٩، وانظر: ابن القيم، حادي الأرواح ٢٤١.

(٢) انظر قولهم لدى: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة ٢٣٢.

(٣) انظر: ابن القيم، حادي الأرواح ١٩٦.

(٤) سورة القيامة آية ٢٢ ـ ٢٣.

(٥) سورة المطففين آية ١٥.

(٦) م: كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد ٤ / ٢٢٤٥.

وبعد فإن صور وسطية أهل السنة في هٰذا الباب كثيرة فما من صفة إلاَّ وقولهم فيها وسط بين الغلاة في الإثبات، والمغرقين في النفي والتأويل، وهم بين هٰؤلاء وهٰؤلاء على سواء السبيل وأسعد بالدليل.

●●●●●

الفصل الثاني

وسطية أهل السنة في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : في وسطيتهم في الأسماء والأحكام.
- المبحث الثاني : في وسطيتهم في الوعد والوعيد .



تمهيد:

الخـلاف في هٰذا الباب قديم، فهو من أوائل ما حصل فيه النزاع بين الفرق المنتمية إلى الإسلام، وأوّل من أظهر الخلاف في ذٰلك وخالف جماعة المسلمين الخوارج، ثم قابلهم، المرجئة، ثم خرجت المعتزلة وجاءوا في هٰذا بما لم يأت به أولئك، والجميع دائر بين إفراط، وتفريط.

ولمَّا كان ديدن أهل السنة هو التمسك بكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، والقول بما دلا عليه، وأديا إليه، فقد جاء قولهم في هٰذا الباب وسطاً بين إفراط الخوارج وأهل الاعتزال، وتفريط أهل الإرجاء.

ولبيان قول كلٍ ومذهبهِ، جعلت هٰذا الفصل في مبحثين:

المبحث الأول: في بيان وسطيَّة أهل السنة في الأسماء والأحكام.

المبحث الثاني: في بيان وسطيَّتهم في الوعد والوعيد.



المبحث الأول:

في وسطيتهم في الأسماء والأحكام

المـراد بالأسماء: أسماء الدين مثل مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق.

والمـراد بالأحكـام: أحكـام هٰؤلاء في الـدنيا والآخرة[1]؛ أي: أحكام أصحاب هٰذه الأسماء[2].

فقد تنازع الناس في «مرتكب الكبيرة المِلِّي» ماذا يسمى؟ أهو مؤمن؟ أم كافر؟ أم فاسق؟ أم منافق؟ وما حكمه في الدنيا؟ بناء على ذٰلك، وما هو حكمه في الآخرة؟ وافترقوا في ذٰلك إلى: طرفين، وواسطة.

فالخوارج، والمعتزلة في طرف.

وطوائف المرجئة في الطرف المقابل.

وأهل السنة: وسط بين الطرفين.

واختلافهم في ذٰلك مبني على اختلافهم في حقيقة الإيمان الواجب. لذا فإنَّا قبل عرض أقوالهم واختلافهم في اسم صاحب الكبيرة وحكمه، سنعرض بإيجاز لأقوالهم في تعريف الإيمان، وحقيقته عند كل منهم، وما بين مذاهبهم من فروق، وما فارقهم به أهل السنة، وامتازوا به عنهم من قول.

تعريف الإيمان:

أولاً: عند أهل السنة والخوارج والمعتزلة:

ذهب كل من أهل السنة، والخوارج، والمعتزلة إلى أن الإيمان يتألف من

---

(١) انظر: ابن تيمية، الفتاوى ١٣ / ٣٨.

(٢) انـظر: صالح الفوزان، العقيدة الواسطية ص ١٢٦، (ط. الرابعة ١٤٠٧هـ، نشر: مكتبة المعارف ـ الرياض).

ثلاثة أمور:

١) المعرفة والتصديق بالقلب.

٢) الإقرار والنطق باللسان.

٣) العمل بالجوارح[1].

ثم فارقَ كُلٌّ من الخوارج، والمعتزلة أهلَ السنة بقولهم: إن الإيمان كُلٌّ لا يتجزأ ولا يتبعّض، وهو العمل بكل مأمور، وترك كل محظور، والذنوب لا تجامع الإيمان، بل تنافيه وتفسده كما يفسد الأكلُ والشربُ الصيامَ، فمتى ذهب بعضه بارتكاب شيء منها ذهب كلُّه؛ ولهٰذا قالوا: بسلب الإيمان عن أصحاب الكبائر كما سيأتي.

ثم قالت الخوارج: يكون العاصي كافراً.

وقالت المعتزلة: لا نسميه مؤمناً ولا كافراً بل هو في منزلة بينهما[2]، كما سيأتي.

ثانياً: عند المرجئة:

المرجئة ثلاثة أصناف:

الصنف الأول:

قالوا: الإيمان مُجرّد ما في القلب، ثم من هٰؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب، كالمحبة، والخضوع، ومنهم من لا يدخلها فيه، ويرى أنه مجرد المعرفة بالقلب فقط وهو قول جهم.

وهٰذا الصنف: هم الذين يطلق عليهم المرجئة الخالصة، وهم الذين

---

(١) انظر: ابن حزم، الفصل ٣ / ١٨٨.

(٢) انظر: ابن تيمية، الفتاوى ١٢ / ٤٧٠.

قالوا: (لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة)[1].

الصنف الثاني:

قالوا: الإيمان مجرد قول اللسان فقط وهٰؤلاء هم الكرامية[2].

قال شيخ الإسلام: (وهٰذا القول لا يعرف لأحد قبل الكرامية)[3].

والصنف الثالث:

مرجئة الفقهاء كأبي حنيفة وغيره: قالوا: الإيمان تصديق القلب وقول اللسان[4].

قول الأشاعرة في تعريف الإيمان:

أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن الأشعري نصر قول جهم في الإيمان حيث قال عقب ذكره قول جهم السابق في الإيمان وأنه المعرفة: (وهٰذا الذي نصره هو؛ ـ أي: الأشعري ـ وأصحابه)[5].

قلت: أمّا الأشعري، فقوله في كتاب «الإبانة» يدُلُّ على رجوعه عن ذٰلك فإنه يقول: (و ـ نؤمن ـ أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. . .)[6].

وأما أصحاب الأشعري، والأشاعرة بعامّة: فقول جمهورهم: أن الإيمان

---

(١) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٣٩.

(٢) الكرامية: هم أصحاب محمد بن كرام السجستاني. ت ٢٥٥هـ. انظر: الملل ١ / ١٠٨ح. وانظر: الأشعري، المقالات ١ / ٣٢٣.

(٣) الفتاوى ٧ / ١٩٥.

(٤) هٰذا التقسيم لطوائف المرجئة وأقوالهم في الإيمان مأخوذ بتصرف عن الفتاوى، لشيخ الإسلام ٧ / ١٩٥.

(٥) انظر: الفتاوى ٧ / ١٩٥.

(٦) نظر: الإبانة ٢٧.

هو التصديق[1]، وزاد بعضهم: نطق اللسان، لتحقق الإيمان ظاهراً.

يقول الباقلاني: (فإنْ قال قائل: خبِّرونا ما الإيمان عندكم؟ قلنا: الإيمان هو التصديق بالله تعالى، وهو العلم، والتصديق يوجد بالقلب)[2]، يوضحه قوله في حَدّ الكفر: (وإن قال قائل: ما الكفر عندكم؟ قيل له: هو ضد الإيمان، وهو الجهل بالله عز وجل، والتكذيب به الساتر لقلب الإنسان عن العلم به، فهو كالمغطى عن معرفة الحق)[3].

ويقول الجويني: (والمرضِيُّ عندنا أنَّ حقيقة الإيمان التصديق بالله تعالى فالمؤمن بالله من صدقه، ثم التصديق على التحقيق كلام النفس، ولكن لا يثبت إلَّا مع العلم)[4].

وهٰذا القول فيه شائبة من قول جهم ويفضي إليه بوجه، ولهٰذا قال شيخ الإسلام فيهم ما قال.

وللجويني قول آخر يرى فيه: أن من صَدَّق بقلبه ولم ينطق بلسانه جحوداً أنه ليس بمؤمن، وإن لم ينطق به من غير جحود فهو مؤمن باطناً، وإن نطق فهو مؤمن ظاهراً وباطناً. يقول: (. . . والمؤمن على التحقيق: من انْطَوى عقداً على المعرفة بصدق من أخبر عن صانع العالم، وصفاته وأنبيائه فإن اعترف بلسانه ما عرف بجنانه فهو مؤمن ظاهراً وباطناً، وإن لم يعترف بلسانه معانداً، لم ينفعه علم قلبه)[5].

---

(١) انظر: أحمد عطية، الإيمان بين السلف والمتكلمين ص ١٢٩ رسالة ماجستير مطبوع على الآلة الكاتبة.

(٢) التمهيد ٣٤٦.

(٣) التمهيد ٣٤٨.

(٤) انظر: الإرشاد ٣٩٧.

(٥) انظر: العقيدة النظامية ٨٥.

*** الفرق بين قول الخوارج والمعتزلة والمرجئة الخالصة وبين قول أهل السنة :**

من خلال أقوال كل من الخوارج والمعتزلة، والمرجئة الخالصة. نلاحظ : أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً لا يتبعض ولا يتجزأ. فهو عند الخوارج والمعتزلة : مجموع : التصديق القلبي، والنطق اللساني، والعمل بالجوارح، وهو فعل الطاعات وترك المعاصي.

وإذا ذهب بعضه بارتكاب كبيرة ذهب كله.

وهو عند المرجئة الخالصة مجرد المعرفة، والأعمال ليست منه.

أما أهل السنة فإنهم وإن اتّفقوا مع الخوارج والمعتزلة. في تعريف الإيمان لكنهم يرون أنّــه يتبعض ويتجزّأ، ويزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. وهٰذا فَرْقُ ما بينهم وبين أولئك، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه : (وأصل قول أهل السنة الذي فارقوا به الخوارج والجهمية والمعتزلة والمرجئة : أن الإيمان يتفاضل ويتبعض كما قال النبي ﷺ : (من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)[1])[2].

وأما أولئك فإنه لمّا كان الإيمان عندهم لا يتبعض، قال الخوارج والمعتزلة : من فعل ذنباً زال بعض الإيمان فيزول كله فيخلد صاحبه في النار.

وقالت الجهمية : قد علمنا أنه ليس يُخَلَّد في النار وأنه ليس كافراً مرتداً بل هو من المسلمين، وإذا كان من المسلمين وجب أن يكون مؤمناً تام الإيمان ليس معه بعض الإيمان؛ لأن الإيمان لا يتبعض عندهم...[3].

---

(١) خ : كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة، ١٣ / ٣٧٤، ح ٧٥١٠.

(٢) انظر : الفتاوى ٣ / ٣٥٥.

(٣) انظر : نفس المصدر ١٣ / ٥٠.

وكل من الفريقين غالط فيما قال. والحق ما قال أهل السنة في ذٰلك.

وإذا تقرر لدينا قول كل من هٰذه الطوائف في الإيمان، فلنشرع في بيان قول كل منهم في اسم مرتكب الكبيرة، وحكمه في الدنيا، والآخرة، وهم في ذٰلك كما أشرنا في أول المبحث طرفان وواسطة على النحو التالي:

● **أولاً: قول الطرف الأول (وهم الخوارج والمعتزلة):**

أ ـ قول الخوارج:

يتلخص قول الخوارج في مرتكب الكبيرة في الأمور التالية:

* حكموا بخروجه من الإيمان، وسمّوه كافراً، إلا فرقة النجدات[1] منهم. ثم اختلفوا هل كفره كفر شرك أو كفر نعمة؟ على ما سيأتي.

* أن حكمه في الدنيا حكم الكفار، تجري عليه أحكامهم، فيكون حلال الدم والمال عند من قال: كفره، كفر شرك، وليس كذٰلك عند من جعل كفره كفر نعمة أو نفاق.

* أما حكمه في الآخرة فإنّه خالد في النار لا يخرج منها.

يقول أبو عمار عبد الكافي الإباضي (قبل ٥٧٠هـ) وهو خارجي إباضي كما هو واضح من نسبته: (اختلف من أثبت الوعيد لأهلّ الكبائر في أسمائهم، وفي كبائرهم ما هي؟ بعد إجماعهم على ثبوت الوعيد لهم، ونفي التسمية عنهم بالإيمان.

فقال الصفرية[2]: إن كبائرهم كفر شرك، وأسماءهم كفار مشركون

---

(١) تقدم التعريف بهم ص ٢٩١.

(٢) الصفرية: فرقة من الخوارج، وهم أصحاب «زياد بن الأصفر»، وكانوا يرون أن مخالفيهم مشركون، السيرة فيهم سيرة أهل الحرب من المشركين. انظر: الأشعري، المقالات ١ / ١٨٢.

محاربون كأهل حرب النبي ﷺ، تسفك دماؤهم، وتسبي ذراريهم، وتغنم أموالهم، وهم مع ذلك قد تورث أموالهم، وتنكح نساؤهم وتؤكل ذبائحهم، ويحج معهم، ويصلى معهم. . .

وقالت الإباضية: . . . كبائرهم كفر نفاق، لا كفر شرك، وأسماؤهم: كافرون منافقون ليسوا بمشركين، ولا مؤمنين ﴿مُذَبْذَبِيْنَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لا إِلَى هَٰؤُلاءِ وَلا إِلَى هَٰؤُلاءِ﴾[1]، لا إلى المشركين في الحكم، والسيرة ولا إلى المؤمنين في الاسم والثواب. . .)[2].

وقال الأشعري: (وأجمعوا؛ - أي: الخوارج - على أن كل كبيرة كفر إلاَّ النجدات، فإنها لا تقول ذلك.

وأجمعوا على أن الله - سبحانه - يعذب أصحاب الكبائر، عذاباً دائماً إلا النجدات[3]. . .

وقال الشهرستاني - في معرض ذكر جماع قول الخوارج -: (. . . ويكفرون أصحاب الكبائر)[4].

وقال الرازي: (ساير فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافراً بالذنب. . .)[5].

وقال السكسكي: (. . . وقالوا: من أذنب كبيرة فهو كافر؛ إلاَّ النجدات،

---

(١) سورة النساء آية ١٤٣.

(٢) الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف ضمن كتاب آراء الخوارج الكلامية، للدكتور عمار طالبي ٢ / ١١٦، (ط. ١٣٩، نشر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر).

(٣) انظر: المقالات ١ / ١٦٨.

(٤) الملل والنحل ١ / ١١٥.

(٥) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٤٦.

فإنها لا تكفر من أذنب منهم، وتكفر من أذنب من غيرهم، وأن مرتكبي الكبائر مخلدون في النار معذبون بعذاب أهل النار)[1].

ب ـ قول المعتزلة:

يتلخص قولهم في مرتكب الكبيرة في الأمور التالية:

* خروجه من مسمى الإيمان، لا إلى الكفر، ولٰكن إلى منزلة بينهما.

* حكمه في الدنيا: حكم باقي المسلمين في حرمة الدم والعرض والمال، والتوارث ونحو ذٰلك.

* حكمه في الآخرة: دخول النار، والخلود فيها، لكن يكون عذابه دون عذاب الكفَّار فيها.

ولنصغ الآن لقول القاضي، عبد الجبار المعتزلي وهو يدون مذهب أهل نحلته فيقول: (. . . صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين، لا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسمه اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً.

وكذٰلك فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث. . .)[2].

وقال في موضع آخر: (وجملة القول في ذٰلك أن الغرض بهٰذا الباب؛ ـ أي: باب المنزلة بين المنزلتين ـ هو أن صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمناً ولا كافراً، وإنما يسمى فاسقاً)[3].

وقال في بيان وجه عدم تسميته مؤمناً: (والذي يدل على الفصل الأول،

(١) البرهان ص ١٩.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ص ٦٩٧.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة ص ٧٠١.

وهو الكلام في أن صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمناً، هو ما قد ثبت أنه يستحق بارتكاب الكبيرة الذم واللعن، والاستخفاف والإهانة وثبت أن اسم المؤمن صار بالشرع اسماً لمن يستحق المدح والتعظيم والموالاة فإذا قد ثبت هٰذان الأصلان فلا إشكال في أن صاحب الكبيرة لا يجوز أن يسمى مؤمناً)[1].

ولم يجز أن يسمى كافراً؛ لأن الشرع (جعل الكافر اسماً لمن يستحق العقاب العظيم، ويختص بأحكام مخصوصة نحو المنع من المناكحة والموارثة والدفن في مقابر المسلمين. . .

ـ قال ـ: إذا ثبت هٰذا، ومعلوم أن صاحب الكبيرة ممن لا يستحق العقاب العظيم، ولا تجري عليه هٰذه الأحكام، فلم يجز أن يسمى كافراً. . .)[2].

وهٰذا الكلام إلى جانب ما أفاده من عدم جواز تسمية صاحب الكبيرة كافراً تضمن أيضاً الحكم الدنيوي له، وهو أنه تسري عليه أحكام المسلمين من المناكحة، والموارثة والدفن في مقابر المسلمين.

ويقول ابن المرتضى ـ وهو معتزلي أيضاً ـ في معرض كلامه عما أجمعت عليه المعتزلة: (وأما ما أجمعوا عليه، فقد أجمعت المعتزلة على. . . وعلى المنزلة بين المنزلتين، وهو أن الفاسق لا يسمى مؤمناً ولا كافراً. . .)[3].

وأما حكمه في الآخرة فترى المعتزلة: (أن الفاسق يخلد في النار، ويعذب فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين)[4].

وذٰلك إذا مات على كبيرته ولم يحدث منها توبة، ذكر الإسفراييني

(١) انظر: نفس المصدر ٧٠١ ـ ٧٠٢.

(٢) انظر: نفس المصدر ص ٧١٢.

(٣) انظر: المنية والأمل ص ٦، (بتصحيح توما أرنلد، نشر: دار صادر ـ بيروت)، مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣١٦هـ.

(٤) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة ص ٦٦٦.

اتفاقهم على ذٰلك فقال: (ومما اتفقوا عليه . . . قولهم: إن حال الفاسق المِلِّي منزلة بين منزلتين، لا هو مؤمن ولا هو كافر، وأنه إذا خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون خالداً مخلداً في النار مع جملة الكفار، ولا يجوز لله تعالى أن يغفر له أو يرحمه)[1].

ومن خلال هٰذا العرض لقولي الخوارج والمعتزلة نلاحظ اتفاق الفريقين في صاحب الكبيرة على أمور:

الأول: سلب اسم الإيمان عنه.

الثاني: الحكم بأنه من أهل النار وأنه خالد فيها، إلّا أن عذابه فيها دون عذاب الكفار عند المعتزلة.

واختلفوا في أمرين:

الأول: في اسمه.

الثاني: في حكمه في الدنيا.

فسمته الخوارج كافراً، على الخلاف المذكور بينهم في نوع كفره، كما تقدم.

وقال المعتزلة: لا نسميه مؤمناً، ولا كافراً، بل هو عندنا فاسق في منزلة بين الكفر والإيمان.

وأمّا حكمه في الدنيا: فالمعتزلة: تُجْرِي عليه أحكام المسلمين كما تقدم.

وأما الخوارج: فهم في ذٰلك فريقان كما تقدم:

طائفة: تجري عليه أحكام الكفار، فتبيح دمه وماله.

---

(١) انظر: التبصير في الدين ص ٦٥، وانظر أيضاً الشهرستاني: الملل والنحل ١ / ٤٨.

وطائفة: تجري عليه أحكام المسلمين فلا تستبيح ذٰلك منه.

● **ثانياً: قول الطرف الثاني (وهم طوائف المرجئة):**

الأصل الذي يجمع المرجئة بمختلف طوائفها، والذي لأجله سُمُّوا بذٰلك كما تقدم هو: إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان. فهٰذا أصل أصول المرجئة، وأُسُّ مذهبهم، حتى إنه لا يكون المرجىء مرجئاً حتى يقول بذٰلك.

لذٰلك جاء قولهم في مرتكب الكبيرة من أهل القبلة متساوقاً مع هٰذا الأصل الذي أصَّلُوه ومتفرعاً عنه، ونتيجة له؛ فكان من قولهم: أن مرتكب الكبيرة:

* مؤمن كامل الإيمان. وارتكاب الكبائر لا يؤثِّر في إيمانه.

* وأنّه في الآخرة: من أهل الجنة إذا مات موحداً مؤمناً، وإن زنى وسرق وقتل.

وقال المرجئة الخالصة منهم العبارة المشهورة: (لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة)[1]، وأفصح بعض طوائفهم عن مذهبهم فقالوا: (الإيمان هو المعرفة بالله، والخضوع له، وترك الاستكبار عليه، والمحبة بالقلب، فمن اجتمعت فيه هٰذه الخصال فهو المؤمن، وما سوى ذٰلك من الطاعة فليس من الإيمان، ولا يضر تركها حقيقة الإيمان ولا يعذب على ذٰلك، إذا كان الإيمان خالصاً، واليقين صادقاً)[2].

وقال العبيدية[3] منهم: (ما دون الشرك مغفور لا محالة، وإن العبد إذا مات على توحيده، لا يضره ما اقترف من الآثام واجترح من السيئات)[4].

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٣٩.

(٢) المصدر السابق ١ / ١٤٠.

(٣) العبيدية: هم أصحاب عبيد المكتئب، وهم طائفة من المرجئة الخالصة، انظر: الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٤٠.

(٤) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٤٠.

ونقل الملطي أن منهم من يقول: (من قال: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، وحرم ما حرم الله، وأحل ما أحل الله؛ دخل الجنة إذا مات، وإن زنى، وإن سرق وقتل، وشرب الخمر، وقذف المحصنات، وترك الصلاة والزكاة والصيام، إذا كان مقرّاً بها يسوف التوبة؛ لم يضره وقوعه على الكبائر، وتركه للفرائض، وركوبه الفواحش)[1].

وحكى السكسكي إجماعهم على: (أنه لا يدخل النار إلا الكفار فحسب. . .)[2].

ونقل الرازي عن بعض فرقهم أنهم: (يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان معصية ما، وأن الله تعالى لا يعذب الفاسقين من هٰذه الأمة)[3].

فهٰذا موقف المرجئة من أصحاب الكبائر، وهٰذه أقوالهم فيهم، وهي أقوال غلب عليها التفريط كما هو ظاهر:

على أن بعضاً من طوائف المرجئة والذين وافقوهم في تعريف الإيمان وحقيقته فقالوا بقولهم في استبعاد وتأخير الأعمال عن مسمى الإيمان كمرجئة الفقهاء؛ كأبي حنيفة وغيره، والأشاعرة، كل هٰؤلاء لا يقولون بقول المرجئة في مرتكب الكبيرة، وإنما يرون أنه مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وأمره في الآخرة إلى الله؛ إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه.

يقول أبو المعالي الجويني في تقرير مذهب الأشاعرة: (. . . من مات من عصاة أهل الإيمان من غير توبة فأمره مغيب؛ إن شاء الله غفر له، أو شفع فيه شفيع، وإن شاء عرضه على النار بقدر ذنبه، ثم عاقبته الفوز الأكبر

---

(١) انظر: التنبيه والرد ص ٤٣.

(٢) انظر: البرهان ص ٣٣.

(٣) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧٠.

والنجاة)[1].

وهو موافق لقول أهل السنة كما سيأتي.

● ثالثاً: قول أهل السنة والجماعة:

أما أهل السنة والجماعة من سلف هٰذه الأمة الصالحين وخلفها المتبعين؛ فإنهم مع قولهم بأن الأعمال جزء من مسمى الإيمان، لا يرون في ارتكاب الكبائر ما يخرج المرء من الإيمان سوى الشرك بالله، فكان قولهم في مرتكب الكبيرة أنه:

* مؤمن عاص، أو مؤمن فاسق، أو يقال: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته؛ فلا يزيلون عنه اسم الإيمان بالكلية بذهاب بعضه، ولا يعطونه اسم الإيمان المطلق.

* أما حكمه في الآخرة، فيرون أنه إذا مات ولم يتب؛ داخل تحت مشيئة الله؛ إن شاء غفر له وأدخله الجنة دون عذاب، وإن شاء أدخله النار وعذبه بقدر ذنوبه.

* ثم إنه لا يخلد في النار كالكفار، بل لا بد أن يخرج منها ويدخل الجنة.

هٰذا هو مجمل قول أهل السنة في صاحب الكبيرة.

وهٰذه بعض نصوص أئمة أهل السنة التي عبروا فيها عن معتقدهم وقولهم في أصحاب الكبائر من أهل القبلة، نسوقها هنا لنقف على حقيقة قولهم في ذٰلك.

يقول إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) في اعتقاده

---

(١) انظر: العقيدة النظامية ص ٨٩ ـ ٩٠، (بتحقيق د. أحمد حجازي السقا، ط. الأولى ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، نشر: مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة).

الذي ذكره اللالكائي: (ولا يشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار يرجو للصالح ويخاف عليه، ويخاف على المسيء المذنب، ويرجو له رحمة الله. . .

ومن لقي الله بذنب يجب له به النار تائباً غير مصر عليه؛ فإن الله عز وجل يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

ومن لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك في الدنيا؛ فهو كفارة، كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ[1].

ومن لقيه مصراً غير تائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة، فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له.

ومن لقيه كافراً عذبه ولم يغفر له)[2].

وذكر الإمامان الجليلان أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم (١٩٠ - ٢٦٤هـ) وأبو حاتم محمد بن إدريس (١٩٥ - ٢٧٧) الرازيان أنّه كان من قول العلماء الذين أدركاهم في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً: «. . . وأهل الكبائر في مشيئة الله عز وجل، ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم، ونكل سرائرهم إلى الله عز وجل»[3].

ويقول الإمام الطحاوي (. . . ٣٢١هـ) في عقيدته المشهورة: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب[4] ما لم يستحله، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب

---

(١) سيأتي بنصه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. انظر: ص ٣٥١.

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٦٢.

(٣) نفس المصدر ١ / ١٧٦ - ١٧٧.

(٤) الأولى أن يقال: «بكل ذنب»، كما نبه عليه ابن أبي العز في شرحه؛ لأن المراد مقابلة الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بكل ذنب من الكبائر. وأهل السنة ليسوا كذلك وإن كانوا يكفرون ببعض الذنوب؛ لورود النص فيها كترك الصلاة. عند طوائف منهم على تفصيل في ذلك.

لمن عمله، نرجوا للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة[1]، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم ولا نقنطهم . . . ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه . . .

وأهل الكبائر من ـ أمة محمد ﷺ ـ[2] في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين، وهم في مشيئته وحكمه؛ إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[3] وإن شاء عذبهم في النار بعدله. ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته، وذٰلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته. . .)[4].

وهٰذا الإمام عبيد الله بن بطة (٣٠٤ ـ ٣٨٧هـ) ينقل إجماع علماء السلف على ذٰلك فيقول: (وقد أجمعت العلماء لا خلاف بينهم أنه لا يكفر أحد

---

(١) قال الشيخ عبد العزيز بن باز معلقاً على قول الإمام الطحاوي: «ولا نشهد لهم بالجنة»: «مراده رحمه الله إلاَّ من شهد له الرسول ﷺ كالعشرة ونحوهم كما يأتي ذٰلك في آخر كلامه، مع العلم بأن عقيدة أهل السنة والجماعة الشهادة للمؤمنين والمتقين على العموم بأنهم من أهل الجنة، وأن الكفار والمشركين والمنافقين من أهل النار، كما دلت على ذٰلك الآيات الكريمات والسنة المتواترة عن رسول الله ﷺ ومن ذٰلك قوله سبحانه: ﴿**إنَّ المتقين في جنات ونعيم . . .**﴾ الطور ١٧ . . . إلخ». انظر تعليقه على: العقيدة الطحاوية ص ٢٠ ط. مكتبة الصديق.

(٢) ذكر الشيخ الألباني أن هٰذه الجملة لم ترد في بعض النسخ، وقال: «وحذفها أصح؛ لأن مفهومها أن أهل الكبائر من غير أمة محمد ﷺ قبل نسخ الشرائع به حكمهم مخالف لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ وفي ذٰلك نظر. فإن النبي ﷺ قال: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)، ولم يخص أمته بذٰلك بل ذكر الإيمان مطلقاً، فتأمله». انظر: العقيدة الطحاوية، (شرح وتعليق محمد ناصر الدين الألباني، ص ٤٥، ط. المكتب الإسلامي، ط ١٤٠٨هـ).

(٣) سورة النساء آية ٤٨.

(٤) انظر: العقيدة الطحاوية، بتعليق الشيخ ابن باز ص ١٩ ـ ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤.

من أهل القبلة بذنب[1] ولا نخرجه من الإسلام بمعصية، نرجوا للمحسن ونخاف على المسيء، ولا نقول بذلك بقول المعتزلة، فإنها تقول: من أتى ذنباً واحداً في عمره أو ظلم بحبة في عمره فقد كفر، فمن قال ذلك فقد أعظم الفرية على الله عز وجل وبرأه مما وصف به نفسه من الرأفة والرحمة والتجاوز والإحسان والغفران. . .)[2].

ويسوق الإمام الصابوني (٣٧٢ - ٤٤٩هـ) عقيدة أهل السنة في ذلك قائلاً: (ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإنْ أذنب ذنوباً كثيرة، صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله - عز وجل - إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب، واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار.

وإن شاء عاقبه، وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى دار القرار)[3].

ويحكي الإمام البغوي (. . . /٥١٦هـ) اتفاق أهل السنة على ذلك فيقول: (اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئاً منها فمات قبل التوبة، لا يخلد في النار، كما جاء به الحديث، بل هو إلى الله إنْ شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة برحمته، كما ورد في حديث عبادة بن الصامت في البيعة[4].

---

(١) تقدم التعليق على ذلك انظر ص ٣٤٧.

(٢) انظر الشرح والإبانة ص ٢٦٥.

(٣) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٧١ - ٧٢.

(٤) سيأتي ذكر الحديث. انظر: ص ٣٥١.

واختلفوا في ترك الصلاة المفروضة عمداً، فكفَّره بعضهم، ولم يكفِّره الآخرون)[1].

وبعـد: فهٰذه عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب الكبائر من أهل القبلة كما دَوَّنها أئمتهم على ضوء نصوص الكتاب والسنة، قولهم في ذٰلك واحد لا يختلف فيه أحـد، كلهم متفقـون عليه كما صرح بذٰلك من نقل إجماعهم واتفاقهم عليه من الأئمة كما تقدم.

وهو قول يدل على عدل واعتدال وتوسط واتزان، كل جزئيَّةٍ منه يدل عليها آيةٌ من كتاب الله، أو سنةٌ عن رسول الله ﷺ.

يدُلُّ لقولهم بإيمانه، وعدم زواله عنه وفسقه أو كفره، كما يقول المعتزلة والخوارج، كثير من الآيات والأحاديث المصرحة بإيمان العصاة مرتكبي الكبائر، كقول الله عز وجل: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بالحُرِّ والعَبْدُ بالعَبْدِ والأُنْثَى بالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيْهِ شَيءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ وأَدَاءٌ إلَيْهِ بِإحْسانٍ. . .﴾**[2] فخاطب الجميع باسم الإيمان مع أن فيهم من قد وجب عليه القصاص؛ لارتكابه كبيرة القتل، فقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾**.

وأثبت الأخوة بين القاتل وبين ولي الدم، فقال: **﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيْهِ شَيءٌ﴾**، ولا شك في أن المراد بالأخوة الإخوة الإيمانية المذكورة في قوله عز وجل: **﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخوَةٌ﴾** فدل ذٰلك على بقاء الإيمان مع كبيرة القتل.

قال الامام ابن الجوزي في الآية: (ودل قوله: **﴿مِنْ أَخِيْهِ﴾** على أن القاتل لم يخرج عن الإسلام)[3].

---

(١) انظر: شرح السنة ١ / ١٠٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٧٨.

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير ١ / ١٦٣، (بتحقيق محمد بن عبد الرحمٰن عبد الله، ط. الأولى ١٤٠٧، نشر: دار الفكر - بيروت).

وكقوله عز وجل: ﴿وإِنْ طَائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلى الأُخْرى فَقاتِلوا الَّتي تَبْغِي حَتَّى تَفِيْءَ إِلى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بالعَدْلِ وأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ . إِنَّما المُؤْمِنُونَ إِخْوةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]، فسمى الجميع مؤمنين مع الاقتتال، وجعل الجميع إخوة، فدل ذلك على أن الكبيرة لا تخرج صاحبها من الإيمان، وقد استدل الإمام البخاري بهذه الآية فقال: (باب ﴿وإِنْ طَائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ اقْتَتَلوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما﴾ - قال -: فسماهم المؤمنين)[2]؛ أي: مع اقتتالهما.

ثم إن نصوص الكتاب والسنة، والإجماع تدل على أن الزاني، والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد[3] بارتكاب هذه الكبائر ولو كان كذلك لقتل.

أما قولهم بأنه إذا مات من غير توبة، فهو داخل تحت مشيئة الله؛ إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

فيشهد له قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[4] فجوز أن يغفر كل ذنب سوى الشرك بالله بما في ذلك الكبائر.

ويدل عليه قول المصطفى ﷺ في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وَفَى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو

---

(١) سورة الحجرات آية ٩، ١٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان ١ / ٨٤.

(٣) انظر: شرح الطحاوية ص ٣٦.

(٤) سورة النساء آية ٤٨ وآية ١١٦.

كفارة له، ومن أصاب من ذٰلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه)[1].

والحديث نص في دخول من مات على شيء من الكبائر، تحت المشيئة كما يقول أهل السنة.

وأما قولهم: إنه لا يخلد في النار إذا دخلها وأنه لا بد أن يخرج منها ويدخل الجنة، فهو مأخوذ من مثل قوله ﷺ: (يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا ـ أو الحياة، شك مالك ـ أحد رواة الحديث ـ فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل. . .)[2].

فدل الحديث على خروج من في قلبه مثقال حبة من إيمان، من النار وإدخالهم الجنة، ومعلوم أن أصحاب الكبائر مؤمنون، مع كثير منهم مثقال أو مثاقيل من الإيمان، فلا شك في خروجهم والحديث يتضمن أيضاً الرد على المرجئة الخالصة في قولهم: (لا يضر مع الإيمان ذنب) إذ يثبت الحديث أن من المؤمنين من تضره المعاصي فيدخل النار، ثم يخرج منها، فخروجه دل على أنه ليس بكافر، وإنما هو مؤمن عذب بقدر ذنبه ثم أخرج إلى الجنة.

قال الحافظ ابن حجر موضحاً مراد الإمام البخاري بإيراد هٰذا الحديث: (وأراد بإيراده الرد على المرجئة؛ لما فيه من بيان ضرر المعاصي مع الإيمان وعلى المعتزلة في أن المعاصي موجبة للخلود)[3].

●●●●●

---

(١) خ: كتاب الإيمان ١ / ٦٤، ح ١٨.

(٢) خ: كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ١ / ٧٢، ح ٢٢.

(٣) انظر: فتح الباري ١ / ٧٣.

المبحث الثاني:

في وسطيتهم في نصوص الوعد والوعيد

الوعد في اللغة: يكون بالخير والشر.

وأما الوعيد: فلا يكون إلا بالشر[1].

والمراد بالوعد: النصوص المتضمنة وعد الله لأهل طاعته بالثواب والجزاء الحسن والنعيم المقيم.

ويعرف أهل الكلام الوعد بأنه: كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير، أو دفع ضرر عنه في المستقبل[2].

وأما الوعيد: فالمراد به: النصوص التي فيها توعد للعصاة بالعذاب والنكال[3].

ويعرفه المتكلمون بأنه: كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل...[4].

وإذا تقرر لدينا معنى الوعد والوعيد والمراد بهما. فاعلم أنه جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ كثير من الآيات والأحاديث التي تدل على وعد الله عز وجل للمؤمنين والمطيعين بالثواب الجزيل، وأنه أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ووعدهم بألوان من الأجر والجزاء. ومغفرة الذنوب فيما دون الشرك، وتكفير السيئات وابدالها حسنات ونحو ذلك.

فمن النصوص الواردة في ذلك قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) ابن فارس: مجمل اللغة ٤ / ٩٣١.

(٢) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة ١٣٤.

(٣) انظر: صالح الفوزان، العقيدة الواسطية ص ١٢٦.

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة ١٣٥.

وَالمُؤْمِنـاتِ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهَارُ﴾[1]، وقوله: ﴿لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِيْنَ والمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيها﴾[2]، ونحو ذلك مما فيه وعد بالجنة.

ومن نصوص الوعد بغفران الذنوب وتكفير السيئات: قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[3]، وقوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيْعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[4] وقوله ﷺ: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار)[5].

وقوله ﷺ: (ما من عبد قال: لا إله إلا الله؛ ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. . . ـ قال الراوي ـ وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق)[6].

كما ورد فيهما أيضاً آيات وأحاديث كثيرة، تتضمن الوعيد الشديد بالعذاب الأليم والخلود في النار لأهل الفسق والمعاصي وأصحاب الكبائر ووصفهم بالكفر والفسق والضلال ونحو ذلك، كما في قوله عز وجل: ﴿وَللهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِيْنَ﴾[7]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذينَ يَأْكُلُونَ أَموالَ اليَتامى ظُلْماً إِنَّما يأْكُلونَ في بُطونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَونَ سَعِيراً﴾[8]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ

(١) سورة التورة آية ٧٢.

(٢) سورة الفتح آية ٥.

(٣) سورة النساء آية ٤٨.

(٤) سورة الزمر آية ٥٣.

(٥) م: كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ١ / ٩٤، ح ١٥٢.

(٦) م: كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ١ / ٩٥، ح ١٥٤.

(٧) سورة آل عمران آية ٩٧.

(٨) سورة النساء آية ١٠.

جَهَنَّمُ خَالِداً فِيْهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظيماً﴾[1]، ونحو قوله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن. . .)[2]، وقوله: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)[3].

الحاصل أن النصوص الواردة في الوعد والوعيد كثيرة، سواء في كتاب الله عز وجل، أو من سنة رسوله ﷺ.

تجاه هٰذه النصوص وما شابهها افترق الناس في باب الوعد والوعيد إلى طرفين وواسطة:

طرف غَلَّب نصوص الوعد، وأغفل نصوص الوعيد، وهم المرجئة الخالصة، فقالوا: كل ذنب سوى الشرك فهو مغفور واحتجوا بقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾**، وقالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

والطرف المقابل لهم وهم الخوارج والمعتزلة قالوا: لا بد أن ينجز الله وعده ووعيده، ولا يصح أن يخلف أياً منهما، وهٰذه بعض نصوصهم في ذٰلك من كتبهم تنبىء عن مذهبهم، وتفتي بحقيقة قولهم:

يقول القاضي عبد الجبار في بيان مذهب المعتزلة في ذٰلك: (وأما علوم الوعد والوعيد فهو أن يعلم أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب)[4].

ويقول أبو عمار عبد الكافي الإباضي في تقرير مذهب أهل نحلته من

---

(١) سورة النساء آية ٩٣.

(٢) جه: فتن، باب النهي عن النهبة ٢ / ١٢٩٨، ح ٣٩٣٦.

(٣) خ: كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله ١ / ١١٠، ح ٤٨.

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة ١٣٥ ـ ١٣٦.

طوائف الخوارج ومن وافقهم: (واتفق جمهور من ذكرنا في صدر المقالة من الأمة على أن الله منجز وعده، ووعيده، ومصدقهما بتمام ذٰلك وإمضائه في جميع من وعده وتوعده، لا تبديل لكلمات الله، ولا تحويل لأمره. . . واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ المِيْعادَ﴾[1]. . .)[2].

ولذٰلك قال هٰؤلاء: بخلود أصحاب الكبائر في النار؛ لأن الله توعدهم بها وعندهم أن الله لا يخلف الميعاد، وقد ذكرنا قولهم في أصحاب الكبائر وحكمهم فيهم في الدنيا والآخرة، وما بينهما من التمايز في المبحث الأول.

وهٰؤلاء قد ضلوا في الوعد والوعيد جميعاً.

فأما ضلالهم في الوعيد فواضح، حيث جرهم قولهم به إلى إكفار أصحاب الكبائر أو إخراجهم من الإيمان عند المعتزلة إلى الفسق ووجوب إدخالهم النار وتخليدهم فيها، وقالوا: إنه لا يجوز أن يغفر الله لهم إذا لم يتوبوا، ويكفي أن قولهم هٰذا يناقض قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ فمن أين لهم أنه سبحانه لا يشاء المغفرة لهم، مع كونهم ليسوا كفاراً على مذهب المعتزلة، وليسوا مشركين على مذهب الإباضية وطوائف من الخوارج، والنص إنما دل على عدم المغفرة للمشرك به سبحانه، والذين لا يغفر لهم هم الكافرون والمشركون.

وأما ضلالهم في الوعد: فلإيجابهم ذٰلك على الله سبحانه بطريق الاستحقاق والعوض. يقول القاضي عبد الجبار: (اعلم أنه تعالى إذا كلفنا الأفعال الشاقة، فلا بد أن يكون في مقابلها من الثواب ما يقابله. . .)[3].

ويقول الزمخشري ـ وهو أحد أقطاب المعتزلة ـ في تفسير قوله تعالى:

---

(١) سورة الرعد آية ٣١.

(٢) انظر: الموجز ضمن كتاب آراء الخوارج الكلامية، للدكتور عمار طالبي ٢ / ١٠٥.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة ٦١٤.

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللهِ. . .﴾[1]. قال: (﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللهِ﴾: فقد وجب ثوابه عليه)[2].

قول أهل السنة (وهم الواسطة):

أما أهل السنة الذين يمثلون نقطة التوازن بين الطرفين، فإنهم يأخذون بنصوص الوعد والوعيد، فيجمعون بين الخوف والرجاء، لم يفرطوا في نصوص الوعيد كالمرجئة الخالصة الذين قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب، ولم يغلوا غلو الخوارج والمعتزلة في نصوص الوعيد.

فكان قولهم في الوعيد أنه: (يجوز أن يعفو الله عن المذنب، وأنّه يخرج أهل الكبائر من النار فلا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد)[3].

وتقدم ذكر قولهم في حكم أصحاب الكبائر في المبحث السابق، وخلاصة قولهم أن كل من مات غير مشرك بالله فهو داخل تحت المشيئة؛ إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه. وأنه إن عذبه لا يخلده في النار كالكفار[4].

وقالوا في الوعد: إنّ الله لا يخلف وعده، وإنه لا بد أن يثيب أهل الإيمان به وأهل طاعته بحكم وعده لهم بذلك، لا بحكم استحقاقهم عليه فإن العبد لا يستحق بنفسه على الله شيئاً[5].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الاستحقاق؛ فهم يقولون: إن العبد

---

(١) سورة النساء آية ١٠٠.

(٢) تفسير الكشاف ١ / ٥٥٨.

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة ١ / ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

(٤) انظر: ص ٣٤٦ وما بعدها.

(٥) عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولها الخمسة ص ٢١٧، (ط. الأولى ١٤٠٩هـ، نشر: دار العاصمة).

لا يستحق بنفسه على الله شيئاً، وليس له أن يوجب على ربه شيئاً لا لنفسه ولا لغيره، ويقولون: إنه لا بد أن يثيب المطيعين كما وعد؛ فإنه صادق في وعده ولا يخلف الميعاد. . .»[1].

وقال في موضع آخر: (واتفقوا على أن الله تعالى إذا وعد عباده بشيء كان وقوعه واجباً بحكم وعده؛ فإنه الصادق في خبره الذي لا يخلف الميعاد)[2].

●●●●●

---

(١) انظر: منهاج السنة ١ / ٤٦٧.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية ١ / ٤٤٨.

الفصل الثالث

وسطية أهل السنة في باب القدر

وفيه مباحث :

- المبحث الأول : في معنى القدر وحكمه .
- المبحث الثاني : في نشأة الكلام في القدر ونزاع الناس فيه .
- المبحث الثالث : في بيان وسطية أهل السنة فيه .



المبحث الأول:

في معنى القدر وحكمه

●أولاً: معنى القدر:

القدر في اللغة؛ بفتح الدال وإسكانها؛ لغتان بمعنى: مبلغ الشيء وكنهه. قال صاحب مجمل اللغة: «القَدْر: مبلغ الشيء وكذلك القَدَر[1]»، وقال في «معجم مقاييس اللغة»: (القاف والدال والراء: أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقَدْر: مبلغ كل شيء، يقال: قدْره كذا؛ أي: مبلغه، وكذلك: القَدَر. . . قال: والقَدْر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو: القَدَر أيضاً. . .)[2].

وقال الجوهري: (قدر الشيء مبلغه. . . والقَدَر، والقَدْر أيضاً ما يقدره الله عز وجل من القضاء)[3].

وقدر كل شيء ومقداره: مبلغه[4].

وقال اللحياني: القَدَر: الاسم، والقَدْر: المصدر[5].

---

(١) ابن فارس: مجمل اللغة ٣ / ٧٤٥.

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٥ / ٦٢.

(٣) انظر: الصحاح ٢ / ٧٨٦.

(٤) ابن منظور: لسان العرب ٥ / ٧٨.

(٥) ابن منظور: لسان العرب ٥ / ٧٤.

القدر في الشرع:

يراد به: أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى. قاله الإمام النووي[1].

وقال الحافظ ابن حجر: (والمراد؛ - أي: بالقدر - أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل محدث صادر عن علمه وقدرته، وإرادته، - قال: - هٰذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين إلى أن حدثت بدعة القدر في أواخر زمن الصحابة)[2].

● ثانياً: حكمه ومنزلته من الدين:

الإيمان بالقدر، أصل من أصول الإيمان، وركن من أركانه الستة التي نص عليها النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور، حيث قال في الإيمان: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[3]، فجعل ﷺ الإيمان بالقدر ركناً من أركان الإيمان، فمن لم يؤمن به فليس بمؤمن.

وقد تظافرت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على إثباته لله عز وجل، كقول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[4]، وقوله عز وجل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[5]. ومنها قوله ﷺ: (كل شيء بقدر، حتى

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم ١ / ١٥٤.

(٢) انظر: فتح الباري ١ / ١١٨.

(٣) تقدم تخريجه، انظر: ص ٢٧٨.

(٤) سورة القمر آية ٤٩.

(٥) سورة الفرقان آية ٢.

العجـز والكيس[1]، أو الكيس والعجـز[2]. قال طاووس: (أدركت ناسـاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون «كل شيء بقدر») [3].

وعند اللالكائي عنه قال: (أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ يقـولون: كل شيء بقدر)[4]، وذكر اللالكائي ممن يقول بذلك عدداً من أئمة التابعين وفقهاء الأمصار[5].

وقال الحافظ ابن حجر: (ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى . . .)[6].

حقيقة القدر الذي يجب الإيمان به:

اعلم أنـه لا يُعَد المرء مؤمناً بالقدر حتى يؤمن بمراتبه الأربع التي هي بمثابة الأركان منه، من أخل بإحداها فليس هو بمؤمن بالقدر حقيقة.

الأولى: علم الله سبحانه بالأشياء قبل كونها، فيجب الإيمان «بأن الله عز وجل لم يزل عالماً بالخلق وأعمالهم قبل أن يخلقهم، ولا يزال عالماً بهم، ولم يزدد في علمه بكينونة الخلق خردلة واحدة . . .»[7].

ومن الأدلة على تقدم علمه عز وجل، قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ**

---

(١) الكيس: ضد العجز، وهو النشاط والحذق بالأمور، قاله النووي، انظر: شرح صحيح مسلم له ١٦ / ٢٠٥.

(٢) م: كتاب القدر، باب كل شيء بقدر ٤ / ٢٠٤٥، ح ٢٦٥٥.

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤ / ٥٣٥.

(٥) نفس المصدر ٤ / ٥٣٥ ـ ٥٣٨.

(٦) انظر: الفتح ١١ / ٤٧٨.

(٧) عثمان بن سعيد الدارمي، الرد على الجهمية، (بتحقيق بدر البدر، ص ١١٢، ط. الدار السلفية).

السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذا تَكْسِبُ غداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ﴾[1]، وقوله سبحانه ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ في الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[2] ومن السنة، قوله ﷺ في أطفال المشركين: (الله أعلم بما كانوا عاملين)[3].

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة؛ أي: أن الله عز وجل قد كتب كل ما هو كائن قبل أن يكون، كما قال سبحانه: ﴿مَا أَصابَ مِنْ مُصِيْبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا في كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذٰلِكَ عَلى اللهِ يَسِيْرٌ﴾[4].

قال الحافظ ابن كثير: «وهٰذه الآية الكريمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق قبحهم الله»[5]، وقال في قوله: ﴿إِنَّ ذٰلِكَ عَلى اللهِ يَسِيْرٌ﴾؛ أي: أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله ـ عز وجل ـ؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون»[6].

ومما يدل لذٰلك قوله ﷺ: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة...)[7].

والنصوص في ذٰلك متكاثرة، متظافرة.

---

(١) سورة لقمان آية ٣٤.

(٢) سورة المزمل آية ٢٠.

(٣) م: القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٤ / ٢٠٤٩، ح ٢٦٥٩.

(٤) سورة الحديد آية ٢٢.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ٨ / ٥٢.

(٦) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٧) م: كتاب القدر، باب حجاج آدم موسى عليهما السلام ٤ / ٢٠٤٤، ح ٢٦٥٣.

المرتبة الثالثة: مشيئته سبحانه للأشياء قبل كونها، وأنه لا يقع شيء في الكون إلَّا بمشيئته، وأنَّ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة.

منها قوله عز وجل: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا**﴾(١)، وقوله: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾(٢)، وقوله سبحانه: ﴿**وَمَا تَشَاؤونَ إلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِيْنَ**﴾(٣)، وغير ذلك من الآيات.

قال الإمام ابن القيم: (وقد دل على ذلك إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن...)(٤).

المرتبة الرابعة: خلق الله سبحانه الأعمال وتكوينه وإيجاده لها.

قال ابن القيم: (وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم، وعليه اتفقت الكتب الإلهية، والفطر والعقول... وخالف في ذلك مجوس الأمة)(٥).

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الله سبحانه هو خالق الخلق وأفعالهم كقوله عز وجل: ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾(٦)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٣.

(٢) سورة المائدة آية ٤٨.

(٣) سورة التكوير آية ٢٩.

(٤) انظر: شفاء العليل ص ٤٣، (ط ١٣٩٨هـ ١٩٧٨، نشر: دار المعرفة - بيروت).

(٥) انظر: شفاء العليل ص ٤٩.

(٦) سورة الزمر آية ٦٢.

وقوله: ﴿والله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]، وقوله عز وجل: ﴿والله جعلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ وَسَرابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾[2]، فأخبر أنه هو الذي جعل السرابيل: وهي الدروع والثياب المصنوعة ومادتها لا تسمى سرابيل إلا بعد أن تحليها صنعة الآدميين وعملهم، فإذا كانت مجعولة لله فهي مخلوقة له بجملتها صورتها ومادتها وهيأتها...[3].

ومن أدلة ذٰلك من السنة قوله ﷺ: (إن الله يصنع كل صانع وصنعته﴾[4]. قال الإمام البخاري رحمه الله: (فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة)[5].

وبعد: فهٰذه هي المراتب، وإنْ شئت فقل الأركان التي يدور عليها رحى الإيمان بالقدر ذكرها الإمام ابن القيم، وأفاض في الكلام عليها والاستدلال لها فأفاد وأجاد رحمه الله[6].

●●●●●

(١) سورة الصافات آية ٩٦.

(٢) سورة النحل آية ٨١.

(٣) ابن القيم: شفاء العليل ٥٤ ـ ٥٥.

(٤) الإمام البخاري، خلق أفعال العباد ص ٢٥، (ط. الأولى ١٤٠٤، نشر: مؤسسة الرسالة).

(٥) نفس المصدر والصفحة.

(٦) انظر: شفاء العليل ص ٢٩ ـ ٦٥.

المبحث الثاني:

في نشأة الكلام في القدر ونزاع الناس فيه

الحديث عن القدر والنزاع والمخاصمة فيه، والاحتجاج به، من الأمور التي صاحبت الإسلام منذ نشأته، بل إنَّا لا نعدوا الحقيقة إذا قلنا إنَّ جذور الكلام والخوض فيه تمتد إلى ما قبل الإسلام.

يؤكد ذلك نصوص من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسوله ﷺ.

فقد جاء فيهما ما يدل على أن كفار قريش، خاصموا رسول الله ﷺ في القدر ونازعوه فيه، واحتجوا به.

يقول الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه: (جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت ﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[1])[2].

قال الإمام ابن القيم في هذه الآية: (والمخاصمون في القدر نوعان:

أحدهما: من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره، كالذين قالوا: لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا.

والثاني: من ينكر قضاءه وقدره السابق؛ والطائفتان خصماء الله)[3].

وأخبر عز وجل في آية أخرى أنّ المشركين كانوا يحتجون بالقدر ويتعللون بمشيئة الله وينسبون ما وقع منهم من كفر وشرك وعصيان إلى إرادة الله ذلك ومشيئته إياه، منكرين إرادتهم واختيارهم، وذلك تنصلاً من مسؤولية ما اقترفوا من شرك وإثم. يقول عز وجل في ذلك: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا**

---

(١) سورة القمر آية ٤٨ ـ ٤٩.

(٢) م: كتاب القدر، باب كل شيء بقدر ٤ / ٢٠٤٦، ح ٢٦٥٦.

(٣) شفاء العليل ٢٨.

أَشْركْنا ولا آباؤُنا ولا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بأْسَنـا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وإِنْ أَنْتُمْ إلَّا تَخْرُصونَ﴾[1]، ثم أخبر سبحانه عن تحقق وقوع ذٰلك منهم وقولهم له، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آباؤُنا وَلاَ حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلى الرُّسُلِ إلا البَلاغُ المُبِيْنُ﴾[2]. وقال أيضاً: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْناهُمْ مَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إلَّا يَخْرُصُونَ﴾[3].

ومضمون كلامهم أنه لو كان تعالى كارهاً لما فعلنا؛ لأنكره علينا بالعقوبة، ولما مكّنّا منه[4].

ولو أراد لَحالَ بيننا وبين عبادة الأصنام... فإنه عالم بذٰلك وهو يُقرّنا عليه[5].

وهل هٰذا القول منهم إلا احتجاج بالقدر، وقول بالجبر؟!

وقوله عز وجل في آية «الأنعام»: ﴿كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، وفي آية «النحل»: ﴿كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يشير إلى أن جذور هٰذا القول ضاربة في أعماق الأمم المشركة، ويدل دلالة واضحة وصريحة على أن من شأن المشركين والكافرين من بني الإنسان، التعلل بالقدر والميل إلى الجبر لتبرير شركهم وكفرهم، أو على الأقل للتنصل من جريرة ذٰلك ومسؤليته.

وفي آية أخرى من كتاب الله عز وجل، نجد أن المنافقين في عهد رسول

---

(١) سورة الأنعام آية ١٤٨.

(٢) سورة النحل آية ٣٥.

(٣) سورة الزخرف آية ٢٠.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٤ / ٤٨٩.

(٥) نفس المصدر ٧ / ٢١٠.

الله ﷺ بدر منهم ما يدل على عدم يقينهم بأن كل شيء بقدر، يقول جل وعلا:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا في الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزّىً لَوْ كَانُوا عِنْدَنا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا. . .﴾[1].

ذكر الإمام ابن جرير أنّ الذين قالوا ذٰلك جماعة من المنافقين[2].

خوض الصحابة في القدر:

وفي عهد الرسول ﷺ، خاض بعض الصحابة الكرام في القدر فنهاهم الرسول ﷺ عن ذٰلك، فانتهوا ولم يعودوا لمثل ذٰلك أبداً.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: (خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: بهٰذا أمرتم؟ أو لهٰذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهٰذا هلكت الأمم قبلكم)[3]، ولم ينقل عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم تكلموا في ذٰلك إلاّ عندما ظهرت بدعة القدرية فتكلم من عاصر ذٰلك منهم بالرد والإنكار عليهم كما سيأتي ذٰلك.

ظهور بدعتي نفي القدر والقول بالجبر:

في أواخر عصر الصحابة رضوان الله عنهم، كانت البداية الحقيقية لنشأة الاختلاف والكلام في القدر.

إذ نبغ في وقتهم معبد الجهني[4] الذي قال بنفي القدر، كما روى الإمام

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٦.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧ / ٣٣١ - ٣٣٢.

(٣) جه: مقدمة، باب في القدر ١ / ٣٣، ح ٨٥. وقال الشيخ الألباني: «حسن صحيح». انظر: صحيح ابن ماجه ١ / ٢١، ح ٦٩، وقال أحمد شاكر: صحيح. انظر: شرحه على مسند أحمد ١٠ / ١٥٣، ح ٦٦٦٨.

(٤) وهو معبد الجهني، قال ابن حجر: يقال إنه: ابن عبد الله بن عكيم، ويقال: ابن عبد =

مسلم عن يحيى بن يعمر[1] قال: (كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني... ثم ذكر يحيى أنه لقي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال: يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبَلَنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون[2] العلم... وإنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُف[3]، فقال ابن عمر منكراً عليهم ذلك: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر)[4].

ومعبد إنما تلقى هذه المقالة عن رجل نصراني كان قد أسلم ثم تنصر مرة أخرى، فكان معبد أول من نشر ذلك ونادى به وأظهره ولا سيما بالبصرة كما تقدم.

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله: (أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له: سوسن[5]، وكان نصرانياً فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان[6] عن معبد)[7].

= الله بن عويم، ويقال: ابن خالد. كان صدوقاً في الحديث، وكان أول من تكلم في القدر بالبصرة، وكان رأساً في القدر. قتله الحجاج سنة ٨٠هـ، انظر: تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(١) يحيى بن يعمر بفتح التحتانية والميم بينهما مهملة ساكنة، البصري نزيل مرو وقاضيها، ثقة فصيح، وكان يرسل، مات قبل المائة وقيل بعدها. انظر: ابن حجر: التقريب ٢ / ٣٦١.

(٢) يتقفرون العلم: أي: يطلبونه ويتتبعونه. شرح النووي على صحيح مسلم ١ / ١٥٥.

(٣) أنف: أي: مستأنف، لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه. المصدر نفسه ١ / ١٥٦.

(٤) م: كتاب الإيمان، باب بيان الإسلام والإيمان ١ / ٣٦، ح ٨.

(٥) قيل: اسمه سوسن، وقيل: سنسويه وقيل: سنهويه، وقيل غير ذلك، ولم أقف له على ترجمة.

(٦) تقدمت ترجمته ص ٢٩٥.

(٧) الآجري، الشريعة ص ٣٤٣، واللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤ / ٧٥٠، ح ١٣٩٨.

وقال ابن عون[1]: (أدركت الناس وما يتكلَّمون إلَّا في علي وعثمان، حتى نشأ ها هنا حقير، يقال له: سنسويه البقال، قال: فكان أول من تكلم في القدر)[2].

فهٰؤلاء هم أقطاب القدرية الأوائل، وكان مذهبهم في القدر يدور على أمرين:

أحدهما: نفي علم الله سبحانه بالأشياء قبل وقوعها.

والثاني: نفي خلقه لأفعال العباد، وأنها ليست واقعة بقدره.

وهٰؤلاء هم غلاة القدرية الأوئل، وقد انقرض مذهبهم، والمتأخرون منهم يثبتون علم الله سبحانه بالأشياء قبل وقوعها وينفون خلقه لأفعال العباد.

قال القرطبي (. . . ٦٧١هـ) وغيره: (قد انقرض هٰذا المذهب؛ ـ أي: مذهب غلاة القدرية ـ ولا نعرف أحداً ينسب إليه من المتأخرين. ـ قال: ـ والقدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال وهو مع كونه مذهباً باطلاً أخف من الأول)[3].

وهٰذا المذهب هو الذي تبنته المعتزلة وجعلته أصلاً من أصولها التي قام عليها كيان الاعتزال، وبسبب قولهم به عرفوا بالقدرية، لنفيهم القدر.

وفي مقابل القول بنفي القدر، ظهر قول مضاد ومعاكس له، وهو القول بالجبر، ومضمونه: أن الإنسان مجبور على أفعاله وأنه لا يقدر منها على شيء فهو كالريشة في مهب الريح، وأول من عرف عنه القول بذٰلك في الإسلام هو:

---

(١) هو: عبد الله بن عون بن أرطبان، أبو عون ت ١٥١هـ، ترجمته لدى ابن سعد، الطبقات ٧ / ٢٦١، وأبي نعيم، الحلية ٣ / ٣٧.

(٢) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤ / ٧٤٩، ح ١٣٩٦.

(٣) ابن حجر: فتح الباري ١ / ١١٩.

الجهم بن صفوان[1] الذي كان من مقالته: «أنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده، وأنه هو الفاعل وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال: تحركت الشجرة ودار الفلك، وزالت الشمس، وإنما فعل ذٰلك بالشجرة والفلك والشمس الله ـ سبحانه ـ. . . »[2].

ومن خلال مقالتي الطائفتين، يتبين لنا أن القدرية النفاة مفرطون في هٰذا الباب، مقصرون فيه بما سلبوا الله قدرته، وقولهم: إن العباد هم الخالقون لأفعالهم.

كما يتضح لنا مدى غلو الجهمية الجبرية في إثبات القدر حتى سلبوا الإنسان مشيئته وإرادته وعدوه بمنزلة الجماد، وأنه لا فعل له في الحقيقة، وأنه مجبور على أفعاله غير مختار فيها. وكلا الفريقين من الإفراط والتفريط على شفا جرف هار، والطريق المستقيم القصد.

فكل منهما قد أخطأ، وضل في هٰذا الباب، وإن كان هٰذا لا يمنع أن يكون مع كل منهما بعض الحق والصواب، لكن الحق المحض والصواب المحض ليس هو في قول واحد منهما، وإنما هو في قول خارج عن قولهما جمع ما عند كل من الفريقين من حق وصواب، وخلا مما وقع فيه الفريقان من خطأ وضلال.

ذٰلك هو قول أهل السنة والجماعة في هٰذا الباب، الذي هو حق بين الباطلين، وهدى بين الضلالتين، به كانوا وسطاً بين إفراط وتفريط الفريقين في هٰذا الباب، كما سنوضح ذٰلك في المبحث التالي بعون الله.

●●●●●

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٢٩٦.

(٢) الأشعري، المقالات ١ / ٣٣٨.

المبحث الثالث:

في بيان وسطية أهل السنة في هٰذا الباب

في المبحث السابق أشرنا إجمالاً إلى كون كل من فريقي القدرية، والجبرية، قد زل عن السراط السوي، إما إلى تفريط، وإمّا إلى إفراط، وأن أهل السنة والجماعة هدوا إلى سواء السراط في هٰذا الباب كغيره من الأبواب.

وفي هٰذا المبحث سأحاول إبراز جوانب وسطية أهل السنة في ذٰلك، من خلال مقابلة ومقارنة قولهم بأقوال كل من الطائفتين، وذٰلك في بعض أمهات مسائل هٰذا الباب.

وقبل ذٰلك أذكر نفسي وإياك بما سبق من الحديث عن أركان القدر أو مراتبه الأربع، التي لا يعد المرء مؤمناً بالقدر حقاً، إلا إذا حقق الإيمان بها جميعاً وهي:

١) علم الله سبحانه بالأشياء قبل وقوعها.

٢) كتابته لها بعد علمه بها.

٣) مشيئته وإرادته لها وأنها لا تقع إلا بمشيئته وإرادته.

٤) خلقه لجميع الأعمال وتكوينه وإيجاده لها، وأن كل ما سواه مخلوق.

فأما العلم، والكتابة، فلم ينازع فيهما إلا غلاة القدرية، الذين ذكرنا أنهم كانوا يقولون بنفي العلم، وأشرنا إلى انقراض هٰذا الصنف[1].

وأما القدرية الذين جاءوا بعدهم، وهم المعتزلة، فلم ينازعوا في العلم والكتابة كما أشار إلى ذٰلك شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله: فغلاتهم أنكروا العلم والكتابة، ومقتصدتهم، أنكروا عموم مشيئة الله وخلقه وقدرته وهٰؤلاء هم

(١) انظر ص ٣٧١.

المعتزلة ومن وافقهم[1].

ويقول الخياط ـ وهو من مصنفي المعتزلة ـ عن إثبات المعتزلة لعلم الله بأفعال العباد: (إنَّ المعتزلة لم ينكروا العلم الأزلي، فالله تعالى عندهم لم يزل عالماً بكل ما يكون من أفعال خلقه، ولا تخفى عليه خافية، ولم يزل عالماً من يؤمن ومن يكفر ومن يعصى)[2].

وإنما حصل النزاع والتفرق والاختلاف والضلال، في مرتبتي، خلق أفعال العباد، وكونها تقع بمشيئته وإرادته، وفي ما تفرع عنهما، وتعلق بهما من مسائل.

ولذٰلك سوف أقصر حديثي عن وسطية أهل السنة في هٰذا الباب، على هاتين المرتبتين لأهميتهما.

● أولاً: وسطيتهم في خلق أفعال العباد:

هٰذه المسألة من أهم وأخطر مسائل القدر، ولقد زلت فيها أقدام، وحارت عقول وأفهام، فقد اختلف الناس هل الأفعال والأعمال الصادرة عن العباد مخلوقة لله عز وجل مقدورة له، أم لا؟ وافترقوا في ذٰلك إلى طرفين وواسطة:

الطرف الأول (الجبرية):

سموا بذٰلك نسبة إلى الجبر لقولهم به في باب القدر.

---

(١) انظر: التدمرية ص ٢٠٨، (بتحقيق محمد بن عوده السعوي، ط. الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

(٢) انظر: الانتصار ص ١١٨، (ط. دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ ١٩٢٥م)، اقتبسه عواد بن عبد الله المعتق في كتابه المعتزلة وأصولهم الخمسة ص ١٧٠، (ط. الأولى ١٤٠٩، نشر: دار العاصمة).

ولم أقف على هٰذا النص في طبعة الانتصار التي بين يدي بتحقيق البير نصرنادر.

والجبر هو: إسناد فعل العبد إلى الله[1]. وعرفه الشهرستاني بأنه: نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى[2].

والجبرية صنفان:

- جبرية متوسطة.

- وجبرية خالصة.

فأما الجبرية الخالصة: فلا تثبت للعبد قدرة على الفعل أصلاً[3]، وهؤلاء هم الجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي كان يقول: «إنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلَّا لله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس، وإنما فعل ذٰلك بالشجرة والفلك والشمس الله ـ سبحانه ـ»[4].

ويرى جهم: (أن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات. . .)[5]، وعنده أن الفاعل حقاً هو الله، ومن سواه ليس بفاعل على الحقيقة[6].

فهٰذا قول الجبرية الخالصة، وهو صريح في نفي قدرة العبد على فعله وأن الفاعل هو الله وحده.

---

(١) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات ص ٧٤، (ط. الأولى ١٤٠٣هـ، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت).

(٢) انظر: الملل والنحل ١ / ٨٥.

(٣) نفس المصدر ١ / ٨٥.

(٤) انظر: الأشعري، المقالات ١ / ٣٣٨.

(٥) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل ١ /٨٧.

(٦) انظر: ابن القيم، شفاء العليل ٥١.

وأما الجبرية المتوسطة: فهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة[1]. ويَعُدُّ الجرجانيُّ، والإيجيُّ: الأشعريةَ من هٰذا الصنف في قولهما: «الجبرية اثنتان: متوسطة تثبت للعبد كسباً كالأشعرية، وخالصة لا تثبته كالجهمية»[2].

وإذا رجعنا لمصادر الأشاعرة لتبين حقيقة قولهم في أفعال العباد، نجد أنهم يقولون:

١) إنَّ أفعال العبد مخلوقة لله عز وجل.

٢) إنها مع كونها خلق الله فهي كسب للعبد. وله عليها قدرة غير مؤثرة.

يقول البغدادي: (واختلفوا في أكساب العباد وأعمال الحيوانات على ثلاثة مذاهب:

أحدها: قول أهل السنة إنَّ الله عز وجل خالقها، كما أنه خالق الأجسام والألوان والطعوم والروايح، لا خالق غيرُه، وإنما العباد مكتسبون لأعمالهم)[3].

ويشرح الجويني معنى كون العبد مكتسباً لفعله فيقول: (العبد غير مجبر على أفعاله، بل هو قادر عليها مكتسب لها، والدليل على إثبات القدرة للعبد أن العاقل يفرق بين أن ترتعد يده، وبين أن يحركها قصداً.

ومعنى كونه مكتسباً أنه قادر على فعله، وإن لم تكن قدرته مؤثرة في إيقاع المقدور)[4].

---

(١) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ٨٥.

(٢) انظر: التعريفات ص ٧٤، والمواقف ٤٢٨.

(٣) انظر: أصول الدين ص ١٣٤، (ط. مصورة عن طبعة استانبول ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م).

(٤) انظر: لمع الأدلة ص ١٠٧، (بتحقيق د. فوقيه حسين محمود، ط. الأولى ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، نشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف ـ مصر).

والبيجوري يقول في تعريف الكسب: وقد عرفوا الكسب بتعريفين:

الأول: أنه ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به.

الثاني: أنه ما يقع به المقدور في محل قدرته[1].

وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أنهم فسروا الكسب بأنه ما يحصل في محل القدرة المحدثة مقروناً بها، ثم عقب على ذلك بقوله: (وأكثر الناس طعنوا في هذا الكلام)[2].

وعلى ضوء تفسير الأشاعرة للكسب وأنه قدرة غير مؤثرة في وقوع الفعل ولكنها مصاحبة له، تبرز الصلة بين قولهم وقول الجبرية:

فالجبرية ـ الجهم وأصحابه ـ عندهم أنه ليس للعبد قدرة البتة.

والأشاعرة يقولون: ليس للعبد قدرة مؤثرة.

والقدرة الغير المؤثرة كعدمها.

ومن هنا قال بعض أهل العلم: إنّ الأشاعرة وافقوا جهماً وأصحابه في المعنى.

وذلـك كقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن الأشعرية وبعض المثبتين للقدر وافقوا الجهم بن صفوان في أصل قوله في الجبر، وإنْ نازعوه في بعض ذلك نزاعاً لفظياً أتوا بما لا يعقل... وبالغوا في مخالفة المعتزلة في مسائل القدر حتى نسبوا إلى الجبر)[3].

---

(١) انظر: تحفة المريد ص ١٠٤، (ط. الأولى ١٤٠٣هـ ـ ٢١٩٨٣م، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت).

(٢) انظر: منهاج السنة ١ / ٤٥٩.

(٣) انظر: منهاج السنة ١ / ٤٦٣ ـ ٤٦٤.

الطرف الثاني (القدرية):

ذكرنا فيما سبق أن القدرية الغلاة الأوائل قد انقرضوا، وأن المعتزلة[1] تبنت القول بنفي القدر، وجعلته أحد أصول مذهبها، فعرفوا لأجل ذٰلك بالقدرية.

وهو اسم أطلقه عليهم أهل السنة وغيرهم، وهم يتمنّعون منه، ولا يقرون به، يقول القاضي عبد الجبار في ذٰلك: (اعلم أن القدرية عندنا إنما هم المجبرة والمشبهة، وعندهم المعتزلة، فنحن نرميهم بهٰذا اللقب ويرموننا به)[2].

وعلى أي حال فقد أصبح علماً عليهم، كطرف مقابل للجبرية.

وكان قولهم في أفعال العباد أنها غير مخلوقة لله عز وجل، وأنهم هم المحدثون لها من دونه.

يقول القاضي عبد الجبار ـ وهو من أئمة القدرية ـ: (اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم، وقيامهم وقعودهم، حادثة من جهتهم، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذٰلك، ولا فاعل لها، ولا محدث سواهم، وأن من قال إن الله سبحانه خالقها ومحدثها، فقد عظم خطؤه. . .)[3].

وعقد في كتاب «شرح الأصول الخمسة» فصلاً في «أفعال العباد»، أشار فيه إلى أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم وأنهم المحدثون لها[4].

وقال ابن المرتضى: (وأجمعوا؛ ـ أي: المعتزلة ـ أن فعل العبد غير

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ص ٧٧٢.

(٢) انظر: شرح الأوصول الخمسة ٧٧٢.

(٣) انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد ٨ / ص ٣، (ط. الأولى ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م، نشر: دار الثقافة والإرشاد، مطبعة دار الكتب).

(٤) ص ٣٢٣.

مخلوق فيه)[1].

فهٰذه النصوص من كتب المعتزلة كافية في تصوير مذهبهم، وإثبات قولهم في نفي خلق الله أفعال العباد.

الواسطة بين الطرفين (وهم أهل السنة):

وقولهم في أفعال العباد هو:

* أنها مخلوقة لله عز وجل على الحقيقة.

* وهي فعل للعباد على الحقيقة.

* وأنهم قادرون على أفعالهم بقدرة حقيقية مؤثرة في وقوع الفعل منهم، والله هو الذي أقدرهم على ذٰلك.

هٰذا مجمل قول أهل السنة في هٰذه المسألة، الذي عليه سلف الأمة وأئمته، كما يتضح ذٰلك من خلال النقول التالية عنهم:

يقول الإمام الصابوني: (ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد إنها مخلوقة لله تعالى، لا يمترون فيه، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هٰذا القول وينفيه)[2].

وعقد الإمام اللالكائي باباً في سياق ما نقل من إجماع الصحابة والتابعين والخالفين لهم من علماء الأمة (أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عز وجل طاعاتها ومعاصيها)[3].

وقال محرر مذهب أهل السنة وضابط أصوله وقواعده بحق، شيخ الإسلام

---

(١) انظر: المنية والأمل ص ٦، (بتحقيق توما آرنلد).

(٢) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٧٥.

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣ / ٥٣٤.

ابن تيمية رحمة الله عليه وعلى سائر أئمة سلفنا الصالحين:

(وأما جمهور أهل السنة المتبعون للسلف والأئمة فيقولون: إن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله ومفعول لله، لا يقولون هو نفس فعل الله، ويفرقون بين الخلق والمخلوق والفعل والمفعول)[1].

وقال في موضع آخر: (وأما سائر أهل السنة فيقولون: إنّ أفعال العباد فعل لهم حقيقة... ويقول جمهورهم الذين يفرقون بين الخلق والمخلوق: أنها مخلوقة لله ومفعولة له، ليست هي نفس فعله وخلقه الذي هو صفته القائمة به)[2].

فيرون أن الفعل غير المفعول، فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة، وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة، والذي قام بالرب عز وجل علمه وقدرته ومشيئته وتكوينه، والذي قام بهم هو: فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم، فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة، وهو سبحانه المقدر لهم على ذٰلك، القادر عليه الذي شاءه منهم وخلقه لهم...[3].

ويقول شارح «الطحاوية» بعد أن ذكر قول الجبرية والقدرية في ذٰلك: «وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه...»[4].

وبعد: فمن خلال هٰذا العرض لأقوال الجبرية، والقدرية، وأهل السنة، نرى أن أهل السنة جمعوا ما في قول الطائفتين من حق فقالوا به، ولم يوافقوا أيّاً

---

(١) انظر: منهاج السنة ٢ / ٢٩٨.

(٢) انظر: نفس المصدر ١ / ٤٥٩ ـ ٤٦٠.

(٣) ابن القيم، شفاء العليل ٥٢.

(٤) انظر: ابن أبي العز، شرح الطحاوية ص ٤٩٣.

منهما فيما عندها من خطأ.

فالجبرية:

محقون في قولهم: إنّ الله خالق أفعال العباد.

ومخطئون في قولهم: إنّ العبد ليس بفاعل لأفعاله في الحقيقة، وإنما الفاعل هو الله.

والقدرية:

محقون في: إثباتهم قدرة العبد على أفعاله، وفعله لها ومسؤليته عنها.

ومخطئون في قولهم: إن العبد خالق أفعاله، وإن الله ليس بخالق لأفعال العبيد، فأثبتوا خالقين مع الله.

وأهل السنة:

قالوا بما مع الطائفتين من حق فقالوا:

الله خالق أفعال العباد على الحقيقة؛ لأن العباد خلق له وأفعال المخلوقين مخلوقة، لقوله تعالى: **﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾**[1]، وقول النبي ﷺ: (إنّ الله يصنع كل صانع وصنعته)[2]، وقالوا: العبد فاعل لفعله حقيقة، وقادر عليه بإقدار الله له عليه، والله أثبت للعبيد فعلاً فقال: **﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾**[3] وقال: **﴿فَلا تَبْتَئِسْ بِما كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**[4] ونحو ذلك، وردوا ما مع الطائفتين من باطل.

---

(١) سورة الصافات آية ٩٦.

(٢) تقدم تخريجه. انظر: ص ٣٦٦.

(٣) سورة البقرة آية ١٩٧.

(٤) سورة هود آية ٣٦.

فلم ينفوا فعل العبد أصلاً كما قالت الجبرية .

ولم يجعلوا العباد خالقين لأفعالهم من دون الله عز وجل، كما قالت القدرية .

فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، وعملوا بجميع النصوص الواردة في الباب، ولم يضربوا بعضها ببعض، فإن الجبرية عملوا بالنصوص الدالة على أن الله خالق كل شيء وأن كل شيء بقدر الله وقضائه ومشيئته، وأغفلوا ما دل منها على أنّ للعبد فعلاً وقدرة وإرادة .

والقدرية أخذوا بالنصوص الدالة على أن العبد هو الفاعل لفعله على الحقيقة، وأنّ له قدرة وإرادة، ومشيئة، واختياراً، وأهملوا ما دل منها على خلق الله لأفعال عبيده وعموم قدرته عليها، ومشيئته لها .

والحق هو إعمال جميع النصوص كل فيما دل عليه، وهو ما هدى الله له أهل السنة، فليس في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تضارب أو تناقض، والجمع بين ما في ظاهره شيء من ذلك ممكن عند أهل الحق والعلم .

فكل دليل صحيح يقيمه الجبري، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأنّ أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة، ولا مريد، ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش، وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيمه القدري؛ فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته .

فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى، فإنما يدل

على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

وهٰذا ما فعله أهل السنة، فكانوا بذٰلك وسطاً بين الطائفتين، وجاء قولهم هدى بين الضلالتين، ضلالة الجبر المفضي إلى تعطيل الأمر والنهي، وإبطال الثواب والعقاب، وضلالة نفي القدر الذي حاصله وجود خالقين من دون الله وتجويز أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ولا يريده.

● **ثانياً: وسطيتهم في معنى إرادة الله ومشيئته ومحبته ورضاه:**

تقدم أن مشيئة الله وإرادته، إحدى مراتب القدر الأربع، التي لا بد من الإيمان بها في باب القدر، فلا بد من الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

ومن المعلوم بداهة أنه يقع في الكون ما هو طاعة وإيمان وخير، وبر وإحسان، كما يقع فيه ما هو معصية وكفر وشر، فهل كل ذٰلك وقع بمشيئة الله وإرادته؟ الخير من ذٰلك والشر؟ الإيمان، والكفر، الطاعة، والمعصية؟

وإذا قلنا: إن كل ذٰلك أراده الله وشاءه، وقضاه وقدره. فهل أحبه ورضيه، أم هو كره الكفر والمعصية والشر من ذٰلك؟

وإذا قلنا أنه أحبه ورضيه فكيف يؤاخذ عباده عليه، ويعذبهم لأجله؟

وإذا قلنا: أنه كره ذٰلك. فكيف شاءه وأراده وقضاه وقدره مع كراهته له؟.

تجاه هٰذه الإيرادات والاستشكالات، تباينت مواقف الفرق، واختلفت أقوالها، فضل في ذٰلك طوائف، وهدى الله المعتصمين بكتابه، وسنة نبيه ﷺ لما اختلفوا فيه من الحق.

١) فقالت المعتزلة:

كل ما أراده الله وشاءه فقد أحبه ورضيه، فسووا بين إرادته ومشيئته وبين محبته وجعلوهما باباً واحداً.

ثم قالوا: الكفر والفسوق والعصيان لا يحبها ولا يرضاها، فلا يريدها ولا يشاؤها فأخرجوها من محيط إرادته وعموم مشيئته.

يقول القاضي عبد الجبار في تقرير قولهم هٰذا: (وأحد ما يدل على أنه تعالى لا يجوز أ ن يكون مريداً للمعاصي، هو أنه لو كان مريداً لها لوجب أن يكون محباً لها وراضياً بها؛ لأن المحبة والرضا والإرادة من باب واحد، بدلالة أنه لا فرق بين أن يقول القائل أحببت أو رضيت وبين أن يقول أردت. . .)[1].

وقال: (. . . إنّه تعالى لا يريد القبائح ولا يشاؤها، بل يكرهها ويسخطها)[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿واللهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ﴾[3]: (يدل على أنه - تعالى - لا يريد الفساد ولا يحبه، سواء كان من جهته أو من جهة غيره)[4].

وواضح من هٰذه النصوص أن: المعتزلة لا يفرقون بين الإرادة والمشيئة، والمحبة والرضا، ومن ثم جعلوا الكفر والمعاصي والفساد ونحو ذٰلك، ليست مرادة لله عز وجل، ولا واقعة بقدره ومشيئته؛ لأنه لا يحبها ولا يرضاها، إذ معنى الإرادة هو معنى المحبة والرضى.

٢) وقالت الجبرية:

الكون كله بقضاء الله وقدره، والله هو الخالق الفاعل في الحقيقة، إذ

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ٤٦٤.

(٢) نفس المصدر ص ٤٥٩.

(٣) سورة البقرة آية ٢٠٥.

(٤) شرح الأصول الخمسة ٤٦٠.

الإنسـان مجبور على أفعاله لا قدرة له ولا إرادة، كما تقدم، فكل ما وقع في الكـون يكون محبوباً مرضياً له[1]، سواء في ذٰلك الإيمان والكفر، والطاعات والمعاصي، إذ كل ذٰلك واقع بإرادته ومشيئته، فسووا بين الإرادة والمحبة والرضى[2].

لذٰلـك احتجـوا بالقدر على المعاصي، وقال قائلهم: **﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنا ولا آبَاؤُنا﴾**[3].

وإذا كان هٰذا قول الجبرية الخالصة، فماذا يقول الجبرية المتوسطة، وهم الأشاعرة؟

يرى الأشاعرة (أن كل حادث مراد لله تعالى حدوثه، ولا يختص تعلق مشيئة الباري بصنف من الحوادث دون صنف، بل هو تعالى مريد لوقوع جميع الحوادث، خيرها وشرها نفعها وضرها)[4]. فكل الحوادث لا تخرج عن إرادته عز وجل، وهٰذا كلام لا غبار عليه، لكن هل يحب الكفر والمعاصي إذا أرادها؟ ماذا يقول الأشاعرة؟ ومن مذهبهم أن المحبة والرضى؛ بمعنى: الإرادة، بذٰلك يؤولـون محبـة الله ورضـاه، فهـل يقـولون: إن الله أحب ذٰلك ورضيه؟ لقد اضطربوا في ذٰلك اضطراباً بيناً واختلف أئمتهم في ذٰلك. يحدثنا إمام الحرمين الجويني عن ذٰلك فيقول: (ومما اختلف أهل الحق في إطلاقه، ومنع إطلاقه، المحبة والرضا، فإذا قال القائل: هل يحب الله تعالى كفر الكفار ويرضاه؟ فمن أئمتنا من لا يطلق ذٰلك ويأباه، ثم هٰؤلاء تحزبوا حزبين: ـ ثم ذكر قولهما ـ ثم قال: ومن حقق من أئمتنا لم يكع[5] عن تهويل المعتزلة، وقال: المحبة بمعنى:

(١) انظر: ابن أبي العز، شرح الطحاوية ٢٧٩.

(٢) نفس المصدر ٢٧٩.

(٣) سورة الأنعام آية ١٤٨.

(٤) الجويني الإرشاد ٢٣٧.

(٥) يكع: أي: يجبن. انظر: ابن منظور، لسان العرب ٨ / ٣١٧.

الإرادة، وكذلك الرضا، والرب تعالى يحب الكفر، ويرضاه كفراً معاقباً عليه)[1] فأثبت أن المحبة هي الإرادة.

٣) وقال أهل السنة:

ليس معنى إرادة الله ومشيئته هو معنى محبته ورضاه، بل بينهما فرق لا بد من التنبّه له.

فإنّ الإرادة في كتاب الله نوعان:

١ - إرادة شرعية أمرية دينية:

وهي التي تتضمن معنى المحبة والرضى، كقوله تعالى: **﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيْدُ بِكُمُ العُسْرَ﴾**[2]، وقوله: **﴿واللهُ يُرِيْدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيْدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيْلُوا مَيْلاً عَظِيْماً . يُرِيْدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيْفاً﴾**[3].

٢ - إرادة قدرية كونية خلقية:

وهي التي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات وذلك مثل الإرادة في قوله عز وجل: **﴿وَلٰكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيْدُ﴾**[4]، وقوله: **﴿وَلاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيْدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾**[5]، وقوله: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ﴾**[6].

---

(١) الجويني: الإرشاد ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٥.

(٣) سورة النساء آية ٢٧، ٢٨.

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٣.

(٥) سورة هود آية ٣٤.

(٦) سورة الأنعام آية ١٢٥.

وقالوا: إنّ الله وإن كان يريد المعاصي إرادة كونية قدرية، فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها، ويكرهها، وينهى عنها، هٰذا قول السلف والأئمة قاطبة.

فيفرقون بين إرادته التي تتضمن محبته ورضاه، وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضى.

وبهٰذا التمييز بين الإرادتين يمتاز قول أهل السنة عن قول كل من فريقي القدرية المعتزلة، والجبرية الخالصة والمتوسطة، الذين سووا بين الإرادة والمشئية وبين المحبة والرضى، فضل المعتزلة إذ ذهبوا إلى القول بأنه يقع في ملك الله ما لا يريد ولا يشاء، وهلك أهل الجبر بقولهم إنّ الكفر والشرك والعصيان محبوبة لله مرضية عنده.

ومنشأ ضلال الفريقين إنّما هو تسويتهم بين الإرادة والمشيئة، وبين المحبة والرضى، وجعلهم معنى إرادته هو معنى محبته ورضاه.

وهدى الله أهل السنة لأحسن القول. فميزوا وفرقوا بين الأمرين، وخلصوا بالحق من بين الضلالتين، وهٰذا عنوان وسطيتهم، وآية اعتدالهم واتِّزانِهم.

● ● ● ● ●



الفصل الرابع

وسطيتهم في باب الصحابة
رضوان الله عليهم

وفيه تمهيد، وثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: في بيان قول الخوارج والمعتزلة.
- المبحث الثاني: في ذكر قول من جمع بين الغلو والجفاء، وهم الشيعة.
- المبحث الثالث: في قول أهل السنة والجماعة.



تمهيد:

قبل الحديث في مباحث هٰذا الفصل، أرى أن نعرض بشيء من الإيجاز لأمرين يحسن الإلمام بهما، ونحن نتحدث عن وسطية أهل السنة في أصحاب رسول الله ﷺ.

الأول: التعريف بالصحابة من هم؟ من يدخل في مسمى الصحبة ومن لا يدخل؟

والثاني: بيان منزلة الصحابة من الكتاب والسنة؟

حتى إذا عرفنا ذٰلك، بينا بعدُ مواقف الناس وأقوالهم في أصحاب رسول الله ﷺ، ورضوان الله عنهم، ومن وافق منهم ما قاله الله ورسوله فيهم، ومن أفرط أو فرّط، وزال عن المنهج الوسط، والصراط المستقيم، وأخذت به الجهالات، والأهواء ذات اليمين أو ذات الشمال فهلك باتباعه غير سبيل المؤمنين.

تعريف الصحابي:

أجمع وأوفى ما قيل في تعريف الصحابي، ما ذكره ابن حجر رحمه الله في مقدمة كتاب «الإصابة» (وهو: أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام).

وبيَّن رحمه الله أنّه أصح ما وقف عليه من التعاريف[1]، وذٰلك أنه تعريف جامع مانع، فيدخل في قولنا (من لقي النبي ﷺ): من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد الإيمان في قولنا (مؤمناً به): من لقيه مؤمناً بغيره، من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة. ولم يؤمن به.

ويدخل في قولنا: (مؤمناً به) كل مكلف من الجن والإنس.

ويخرج بقولنا: (ومات على الإسلام): من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على ردته والعياذ بالله.

ويدخل فيه: من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا[2].

قال ابن حجر رحمه الله: (وهٰذا تعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين، كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما، ووراء ذٰلك أقوال أخرى شاذة)[3].

منزلة الصحابة ومكانتهم في الكتاب والسنة:

إنَّ المتأمل في كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ ليدرك دونما أدنى مواربة المنزلة السامية والمكانة الرفيعة التي يتبوؤها أصحاب رسول الله ﷺ، ذٰلك بأنهم آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله، وآووا، ونصروا، فهم أصحاب رسول الله، وأصهاره، ووزراؤه وأنصاره وحملة رسالته

---

(١) الإصابة ١ / ٧.

(٢) نفس المصدر، بتصرف يسير ١ / ٧ ـ ٨.

(٣) المصدر السابق ١ / ٨.

ومبلغوا دعوته، بهم استقام الدين وعلى أيديهم انتشر الإسلام، فلهم في عنق كل مسلم منة، وعند كل مؤمن يدٌ، فعن طريقهم وصل إليه الإسلام والهدى والنور.

ولقد أثنى الله ورسوله عليهم خيراً، ودلت نصوص الكتاب والسنة على فضلهم وعظم منزلتهم من وجوه متعددة.

منها: التصريح بأنهم خير الخلق بعد الأنبياء: يدل على ذٰلك قوله عز وجل: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاس**)[1]، وقوله عز وجل: ﴿**وكذٰلك جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونوا شُهَداءَ عَلى النَّاسِ**﴾[2].

وإن كان يدخل معهم غيرهم ممن جاء بعدهم واقتفى أثرهم، إلَّا أنهم بذٰلك أولى، إذ هم المشافهون والمخاطبون بهٰذه الآيات، ومن جاء بعدهم إنما ينال من ذٰلك ويصيب منه بقدر اتباعه لهم واقتدائه بهم.

ومما يدل على أنهم خير هٰذه الأمة قوله ﷺ: (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. . .)[3].

فالمراد بقوله ﷺ (قرني)؛ أي: أهل قرني[4]، وهم الصحابة رضوان الله عنهم.

ومنها: التصريح برضوان الله عنهم وإثابته إيَّاهم.

فقد أخبر عز وجل برضاه عمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة وذٰلك

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠.

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٣) تقدم تخريجه. ص ٩٧ هامش (٤).

(٤) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٧ / ٥.

في غزوة الحديبية[1].

فقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِيْنَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ [2].

فصرح سبحانه برضاه عن الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ في هٰذه الغزوة، وكان عددهم ألفاً وأربعمائة وفي بعض الروايات أكثر من ذٰلك[3].

وأخبر ﷺ بنجاتهم من النار فقال: (لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة)[4].

كما أخبر عز جل عن رضاه عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان، وهٰذا يعم جميع الصحابة، فقال: ﴿والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ والَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبداً ذٰلِكَ الفَوْزُ العَظِيْمُ﴾ [5].

فصرح سبحانه برضاه عنهم، ورضاهم عنه، وبما أعد لهم من الجنات والنعيم المقيم. وفي إخباره بخلودهم في الجنة دلالة على موتهم على الإيمان والرضوان بخلاف قول أهل الزيغ والطغيان.

---

(١) وكانت هٰذه الغزوة في السنة السادسة من الهجرة كما قال ابن كثير في البداية ٤ / ١٦٦. والحديبية: قرية متوسطة ـ ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك. قاله الحموي في معجم البلدان ٢ / ٢٢٩. وانظر عن هٰذه الغزوة: مرويات عزوة الحديبية، للشيخ حافظ حكمي.

(٢) سورة الفتح آية ١٨.

(٣) لتحقيق ذٰلك راجع: مرويات غزوة الحديبية، حافظ حكمي ص ٣٩ ـ ٥٣، (ط. المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية ١٤٠٦هـ).

(٤) ت: مناقب، باب فضل من بايع تحت الشجرة ٥ / ٥٩٥، ح ٣٦٨، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الترمذي ٣ / ٢٤٠، ح ٣٠٣٣.

(٥) سورة التوبة آية ١٠٠.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هٰذه الآية: «فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان فيا ويل من أبغضهم أو سبهم، أو أبغض أو سب بعضهم ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم؛ أعني: الصديق الأكبر، والخليفة أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه. . .)[1].

ومنها: ثناؤه عليهم ووعده لهم بالحسنى:

قال عز وجل: **﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُم مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنْ الَّذِيْنَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وكُلًّا وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[2].

ففي هٰذه الآية الكريمة أثنى الحق تبارك وتعالى على الذين أنفقوا من قبل الفتح؛ ـ أي: فتح مكة كما هو رأي الجمهور ـ[3] وبيَّن أنهم أعظم درجة ممن أنفق وقاتل بعد ذٰلك. (ذٰلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً فلم يكن حينئذ إلا الصديقون، أما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل الناس في دين الله أفواجاً)[4].

وممن أنفق قبل الفتح وقاتل أئمة الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم رضوان الله عليهم ممن أسلم قبل الفتح وجاهد بنفسه في سبيل الله، فهم أعظم درجة وأفضل ممن بعدهم **﴿وكُلًّا وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى﴾**، وقال القرطبي: (أي: المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٤٢.

(٢) سورة الحديد آية ١٠.

(٣) انظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٨ / ٣٧.

(٤) نفس المصدر ٨ / ٣٧.

وعدهم الله جميعاً الجنة مع تفاوت الدرجات)[١].

ومنها: ثناؤه عليهم أيضاً ووصفه لهم بالشدة على أعداء الله، والرحمة للمؤمنين وكثرة وحسن عبادتهم، وإخلاصهم فيها لله عز وجل.

كما في قوله عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ والَّذينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ ورِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ في التَّوراةِ ومَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وأَجْراً عَظِيْماً﴾[٢].

وقد دلت هٰذه الآية على عظم قدر أصحاب رسول الله ﷺ، وعظم منزلتهم وفضلهم، وأن الكفار هم الَّذينَ يغيظهُم ذٰلك، ويغُصُّونَ به، ولذٰلك قال الإمام مالك رحمه الله: (من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هٰذه الآية)[٣]، وذكره القرطبي ثم قال عقبه: «لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد ردّ على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين»[٤].

وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل: ﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الكُفَّارَ﴾ «أصحاب رسول الله ﷺ أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم»[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٥٧، (ط. الأولى عام ١٤٠٨، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت).

(٢) سورة الفتح آية ٢٩.

(٣) أبو نعيم / الحلية ٦ / ٣٢٧، وذكره البغوي في معالم التنزيل ٤ / ٢٠٧.

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٩٥.

(٥) الحاكم: المستدرك ٢ / ٤٦٢، وقال: هٰذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ورواه ابن أبي عاصم في السنة ح ١٠٠٣، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

ومنها: النهي عن سبهم أو النيل منهم:

ومما جاء صريحاً في ذٰلك قوله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مد[1] أحدهم ولا نصيفه[2])[3].

وفيه إلى جانب النهي عن سبهم، بيان أن لا أحد يبلغ مبلغهم، وإن أنفق أكثر منهم: (ذٰلك أن جهد المقل منهم واليسير من النفقة الذي أنفقوه في سبيل الله مع شدة العيش والضيق الذي كانوا فيه، أوفى عند الله وأزكى من الكثير الـذي ينفقـه من بعدهم، وذٰلك لما في قلوبهم من صدق الإيمان وإخلاص وصفاء السريرة، وطهارة القلوب وزكاء النفوس)[4].

وبعد فهٰذا عرض مقتضب لمنزلة الصحابة رضي الله عنهم، ومكانتهم في الكتاب والسنة على وجه العموم، ولكل منهم فضائل ومناقب، ومآثر ومفاخر ليس من غرضنا هنا ذكرها، وإنما القصد تذكير القارىء الكريم بعظم حقهم ومنزلتهم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ليعلم مبلغ جرم وظلم من أزرى بهم، وتطاول على مقامهم، ممن جاء بعدهم وسيأتي ذكرهم، فإنه مع وضوح فضلهم وظهوره كما تقدم، فقد هلك فيهم أقوام، وضل بسبب الكلام فيهم طوائف، انحرفوا عن سواء الصراط، فجفا بعضهم وقصر، وغلا البعض الآخر وأفرط، والحق بين غلو الغالين وجفاء المقصرين أبلج عليه من الله نور وكتاب مبين، عَشَتْ عنه أبصار الزنادقة الهالكين، ولم تهتد إليه أفئدة الجاهلين المارقين، وأبصره وتمسك به

(١) المُدُ (بضم الميم في الأصل): ربع الصاع، وإنما قدره به؛ لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة. وهو رطل وثلث بالعراقي عند الشافعي وأهل الحجاز، وهو رطلان عند أبي حنيفة وأهل العراق. انظر: النهاية لابن الأثير ٤ / ٣٠٨.

(٢) النصيف: هو النصف كالعشير في العشر. انظر: نفس المصدر ٥ / ٦٥.

(٣) خ: فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» ٧ / ٢١، ح ٣٦٧٣.

(٤) انظر: مختصر سنن أبي داود ومعه معالم السنن، للخطابي ٧ / ٣٤.

من أراد الله به خيراً من هٰذه الآمة، فعرف للصحابة الأجلاء فضلهم ومنزلتهم وسابقتهم في الإسلام، ولم يقصر أو يفرط في حقهم، ولم يبالغ أو يغلو فيهم أو في بعضهم فينزلهم فوق مكانتهم، ولم يَعْدُ بهم قدرهم ومنزلتهم التي هم عليها.

وهٰؤلاء هم أهـل السنـة والجمـاعة، فهم أهل توسط واعتدال في هٰذا الباب، كما هم كذٰلك في غيره من سائر أمور دينهم كما تقدم، فهم في أصحاب رسول الله ﷺ وسط بين الخوارج وبعض أئمة الاعتزال، وبين الشيعة والرافضة، فأولئك، جفوا، وهٰؤلاء جمعوا بين السيئتين فغلوا في بعض الصحابة وأفراطوا في ذٰلك، وفرطوا وقصروا في حق البعض الآخر، وسنبين في هٰذا الفصل أقوال كل منهما، ثم نبين عقيدة أهل السنة في هٰذا الباب وتوسطهم فيه بإذنه عز وجل.

●●●●●

المبحث الأول:

في بيان قول الخوارج والمعتزلة

●أولاً: ذكر قول الخوارج:

لما كان الخوارج يرون التكفير بالذنوب ولا سيما الكبائر منها كما تقدم لنا ذلك، واعتبروا الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه مذنباً بتحكيمه الحكمين بينه وبين معاوية رضي الله عنه، طالبوه بالتوبة من الذنب الذي ارتكب بزعمهم، وقالوا: (لا حكم إلا لله... تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك...)[1].

ولما كان علي رضي الله عنه لا يعد ذلك ذنباً وإنما هو عجز في الرأي هم سببه لم ير ما يوجب التوبة كما قال رضي الله عنه لهم: (ما هو ذنب ولكنه عجز من الرأي، وضعف من الفعل، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه)[2].

ثم صرحوا بكفره واستحلوا الخروج عليه وقتاله، وأجمعوا على كفره[3] وكفر الحكمين ومن رضي بالتحكيم وقبله، وفيهم عدد كبير من الصحابة رضوان الله عنهم.

والقوم كما ذكر شيخ الإسلام وغيره إنما أُتوا من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب، إذ كان المؤمن هو البر التقي، قالوا فمن لم يكن براً تقياً؛ فهو كافر وهو مخلد في النار.

ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما

---

(١) ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٥ / ٧٢.

(٢) نفس المصدر ٥ / ٧٢.

(٣) المقالات ١ / ١٦٧.

أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

الواحدة: أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

والثانية: أن عثمان وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك[1].

ولأجل ذلك قالوا بكفرهم. وهذا جهل منهم بالقرآن ومعانيه، وإن كانوا من أكثر الناس قراءة له وتعبداً، كما قال ﷺ: (يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. . .)[2].

وتكاد كتب الفرق والمقالات تُجمع على قول الخوارج بتكفير علي وعثمان رضي الله عنهما ثم الحكمين ومن رضي بالتحكيم، وفيما يلي أورد جُملاً من كلامهم في ذلك.

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه «مقالات الإسلاميين» ـ الذي يعد من أجمع ما كتب في بابه ـ: (أجمعت الخوارج على إكفار علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أن حكم وهم مختلفون: هل كفره شرك أم لا؟)[3].

ويقول المقدسي (٣٥٥هـ): (وأصل مذهبهم إكفار علي بن أبي طالب رضي الله عنه والتبرؤ من عثمان بن عفان رضي الله عنه)[4].

وقال الملطي (ت ٣٧٧هـ): (ويتبرؤون من عثمان وعلي، ويتولون أبا

---

(١) ابن تيمية: الفرقان بين الحق والباطل ص ٢٢ ـ ٢٣، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى. ط. محمد على صبيح ١٣٨٥هـ.

(٢) خ: كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن ٩ / ٩٩، ح ٥٠٥٨.

(٣) انظر المقالات ١ / ١٦٧.

(٤) البدء والتاريخ ٥ / ١٣٥.

بكر وعمر رضي الله عنهم)[1].

وقال الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ): (ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويقدمون ذٰلك على كل طاعة. . .)[2].

وقال الرازي (ت ٦٠٦هـ): (ساير فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافراً بالذنب، وهم يكفرون عثمان وعلياً رضي الله عنه وطلحة والزبير وعائشة، ويعظمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما)[3].

وقال السكسكي (ت ٦٨٣هـ) : (وقد اجتمعوا على صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعلى تكفير علي وعثمان رضي الله عنهما، وتكفير كل فرقة سواهم)[4].

بهٰذه النقول التي تبين موقف هٰؤلاء الخوارج من أصحاب رسول الله ﷺ، ندرك مدى تفريط القوم، وجفائهم لطائفة من أصحاب رسول الله ﷺ، بعضهم قد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وأكثرهم يدخل فيمن رضي الله عنه ممن بايع تحت الشجرة، فأين غابت عقول هٰؤلاء، وكيف عميت أبصارهم حتى ضلوا هٰذا الضلال المبين؟! اللهم أجرنا من الخذلان، وثبت قلوبنا على دينك، ومحبة إخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً لهم، ولا حقداً على أحد منهم.

● **ثانياً: ذكر قول المعتزلة وعقيدتهم في أصحاب رسول الله ﷺ:**

لم يتورع بعض أئمة المعتزلة وكبراؤهم عن الوقوع في بعض الصحابة

---

(١) التنبيه والرد ص ٥١.

(٢) الملل والنحل ١ / ١١٥.

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٤٦.

(٤) البرهان في عقائد أهل الأديان ص ١٩، (ط. الأولى ١٤٠٨. نشر: مكتبة المنار ـ الأردن).

رضوان الله عنهم، والنيل منهم والإزراء بهم، فلهم فيهم مذاهب باطلة، وأقوال شائنة نوجزها في الأسطر التالية:

*** تفسيقهم لطوائف منهم رضوان الله عنهم، وردّ شهادتهم:**

من ذٰلك قول كبيرهم ومؤسس مذهبهم: واصل بن عطاء بفسق أحد الفريقين من أصحاب الجمل[١]، وصفين[٢]، وعثمان وقاتليه، وزعم أن فرقة من الفريقين فسقة لا بأعيانهم، وأنه لا يعرِف الفسقة منهما، فلو شهد عنده رجل من هٰذا الفريق، ورجل من الفريق الآخر لم يقبل شهادتهما، قال: لعلمي بأن أحدهما فاسق لا بعينه، وجعلهما بمنزلة المتلاعنين، حتى ولون كان الشاهدان علياً وعائشة، أو علياً وطلحة، فهو يقول في ذٰلك: «ولو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم»[٣].

وتابع واصلاً على ذٰلك، تلميذُه عمرو بن عبيد، فقال: (لو أن علياً وعثمان وطلحة والزبير شهدوا عندي على شراك نعل ما أجزته)[٤]، وفي رواية: (والله؛ لو شهد عندي علي وعثمان وطلحة والزبير على شراك نعل ما أخذت بشهادتهم)[٥].

---

(١) أي: موقعة الجمل وهي: معركة مشهورة جرت بين جيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين المناوئين لعلي وعلى رأسهم عبد الله بن الزبير وطلحة وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم، وذٰلك سنة ست وثلاثين من الهجرة في مكان بين الكوفة والبصرة، وسميت بالجمل نسبة للجمل الذي كانت تركبه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في المعركة. راجع: البداية والنهاية ٧ / ٢٤١ وما بعدها.

(٢) صفين: معركة جرت بين جيش علي وجيش معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما سنة ٣٧هـ. وصفين مكان على شاطىء نهر الفرات. راجع: البداية والنهاية ٧ / ٢٦٤ وما بعدها.

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال ٤ / ٣٢٩.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٢ / ١٧٨.

(٥) الدارقطني، أخبار عمرو بن عبيد، ق ١٠٤ / أ، مخطوط بمكتبه الجامعة الإسلامية برقم ٤٨٨.

وزاد عمرو على شيخه بأنْ قال بتفسيق الفريقين جميعاً، فلو شهد عنده رجلان من أحد الفريقيين لما حكم بشهادتهما بخلاف قول واصل[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان قدماء المعتزلة وأئمتهم، كعمرو ابن عبيد، وواصل بن عطاء وغيرهم متوقفين في عدالة علي فيقولون، أو من يقول منهم: قد فَسَقت إحدى الطائفتين؛ إما علي وإما طلحة والزبير لا بعينها...»[2].

قلت: هٰذا قول واصل، أمّا عمرو فكان يفسق الطائفتين ويرد شهادتهما كما ذكرت.

*** تبرؤهم من بعض الصحابة:**

وذٰلك كقولهم بالتبرؤ من معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ومن كان في شقهما.

قال الخياط في ردِّه على قول ابن الراوندي عن المعتزلة إنهم مجتمعون على البـراءة من عمـرو ومعـاوية ومن كان في شقهما، قال: هٰذا قول لا تبرأ المعتزلة منه ولا تعتذر عن القول به»[3].

ومعاوية وعمرو وكثير ممن كان معهما صحابة أجلاء. والبراءة إنما تكون من المشركين والكافرين، أمّا المؤمنون فبعضهم أولياء بعض.

*** طعنهم في بعض الصحابة وشتمهم وإتهامهم إياهم بالكذب والجهل ونحو ذٰلك:**

نقل الذهبي عن ابن حبان أن عمرو بن عبيد وهو من أئمة الاعتزال كما

---

(١) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق ١٢١، والشهرستاني، الملل والنحل ١ / ٤٩.

(٢) منهاج السنة ١ / ٧٠ ـ ٧١.

(٣) الانتصار ص ٧٤.

هو معلوم «كان يشتم الصحابة»[1]، ومما نقل عنه من ذلك:

ـ سبه الصحابي الجليل سمرة بن جندب رضي الله عنه.

روى عنه الخطيب البغدادي أنه قال فيه: (. . . ما أرجو بسمرة، فعل الله بسمرة) وفي رواية أخرى: (. . . ما نصنع بسمرة قبح الله سمرة)[2]؛ وذلك لأنه روى حديثاً في السكتتين في الصلاة يخالف رأيه.

ـ قوله في عثمان بن عفان رضي الله عنه: (إن عثمان لم يكن صاحب سنة)[3]:

وهذا النظَّام إبراهيم بن سيار زعيم الفرقة (النظامية) من المعتزلة يُوْسِعُ عدداً من أصحاب رسول الله ﷺ شتماً وذماً، ويتطاول عليهم منتقداً بعضَ أقوالهم وفتاواهم واجتهاداتهم.

فقد ذكر عنه ابن قتيبة رحمه الله أنه: انتقد أبا بكر وعمر وعلياً رضي الله عنهم، ورمى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بالحكم بالظن، والقضاء بالشبهة، والفحش في القول على الله كما رماه بالكذب لروايته حديث انشقاق القمر[4]. وقال: (وهذا من الكذب الذي لا خفاء به. . .)، وحديث: (الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه)[5]؛ لأنه يخالف مذهبه في القدر وانتقد عثمان رضي الله عنه، وكان يقول فيه القول القبيح، وشتم زيد بن ثابت رضي الله عنه[6].

(١) ميزان الاعتدال ٣ / ٢٧٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٢ / ١٧٦ وفي سنده من تكلم فيه.

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٤) حديث صحيح أخرجه (خ: التفسير، باب وانشق القمر، ٦١٧/٨) وغيره.

(٥) وهو حديث صحيح أيضاً، أخرجه م: كتاب القدر ٤ / ٢٠٣٧، ح ٢٦٤٥.

(٦) للاطلاع على هذه الأقوال الشنيعة وجواب ابن قتيبة عنها. انظر: تأويل مختلف الحديث ص ١٩ وما بعدها. (ط ١٣٩٣، بتصحيح محمد زهدي النجار).

المبحث الثاني:

في ذكر قول من جمع بين الغلو والجفاء في أصحاب رسول الله ﷺ (وهم الشيعة)[(١، ٢)]

يجمع الشيعة في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، بين سيئتي الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء، فلهم في بعض الصحابة غلو وإفراط، أشنعه القول بالألوهية والنبوة، وأدناه تفضيل وتقديم من غلو فيه على من هو أفضل وأولى بالتقديم منه، كما لهم في البعض الآخر من الصحابة تقصير وتفريط وجفاء، أعظمه القول بتكفيرهم ولعنهم، وأدناه القول بتأخيرهم عن مرتبتهم والقعود بهم عن مكانتهم، ولهم بين هٰذا وذاك فيهم أقوال وآراء، تتردد بين الغلو

---

(١) الشيعة: وهم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه وقدموه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ، قال الأشعري: وهم ثلاثة أصناف:

١) الغالية: وهم الذين غلو في علي وقالوا فيه قولاً عظيماً وهم طوائف.

٢) الرافضة الإمامية: وسموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر: هٰذا قول الأشعري، وقال بعضهم: سموا رافضة لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما خرج عن هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر وعمر فمنعهم من ذٰلك وتولاهما، فرفضوه ولم يبق معه إلا مئتا فارس، فقال لهم زيد: رفضتموني. قالوا نعم. فبقي عليهم هٰذا الاسم.

٣) الزيدية: وهم الذين تمسكوا بقول زيد بن علي بن الحسين. قال الشهرستاني: ويجمعهم - أي: الشيعة - القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذٰلك، راجع: المقالات للأشعري ١ / ٦٥، ٨٨، ١٣٦، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي ص ٥٢، والملل ١ / ١٤٦.

(٢) للتوسع راجع رسالة موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، للشيخ عبد القادر عطا، وهي رسالة جامعية نال بها المؤلف درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية.

والإزراء، ليس لهم على شيء منها دليل، إلَّا اتّباع الظنون والأهواء.

وفي هٰذا المبحث سأبين أبرز مظاهر الغلو، والجفاء لديهم بإذن الله تعالى.

فأما جفاؤهم لأصحاب رسول الله ﷺ فأمر معروف لدى العامة والخاصة، فلم تنل فرقة ولا طائفة من مقام أصحاب رسول الله ﷺ ما نال هٰؤلاء القوم، فقد جفوهم وعادوهم واتخذوهم غرضاً، يرمونهم بكل نقيصة، ويكيلون لهم من ألوان السباب والشتائم ما لا يصح أن يوجه مثله لعامة الناس فضلاً عن سادتهم وقادتهم وحوارييى رسول الله ﷺ وأصهاره وأنصاره وحماة دينه، ونقلة شريعته، ومِن مظاهر هٰذا الجفاء والتقصير:

١) قولهم بتفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على سائر الصحابة وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم واستحقاقه للخلافة قبلهم، وأكيسهم أجاز خلافة الشيخين وتولاهما مع تفضيل علي، وهو قول الزيدية[١] منهم وهٰذا أدنى درجات الجفاء لدى القوم.

٢) سبهم وشتمهم أفاضل الصحابة رضي الله عنهم:

فلا يكاد يخلو مصنف من مصنفاتهم من ذٰلك[٢]، بَلْ يعقدون لذٰلك أبواباً وفصولاً خاصة[٣] يذكرون تحتها ما تغيض به قلوبهم وتفوه به ألسنتهم من

---

(١) الزيدية: إحدى فرق الشيعة المشهورة، كما تقدم وعن مقالتهم في علي والخلفاء الثلاثة قبله رضي الله عنهم أجمعين راجع: الأشعري، المقالات ١ / ١٣٦ ـ ١٣٧، والشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٥٤.

(٢) انظر: إحسان إلهي ظهير: الشيعة وآل البيت ص ١٨٨، (ط. السابعة ١٤٠٤هـ، نشر: إدارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ باكستان).

(٣) كما فعل «العاملي» من مصنفيهم، فقال في كتابه الصراط المستقيم، باب في الطعن فيمن تقدّه بظلمه وعدوانه، عن كتاب الشيعة وآل البيت ص ١٩١، وكما فعل عبد الله شبر، في كتابه حق اليقين ج ١ / ٣٠٨، (ط. الأولى ١٤٠٤هـ، نشر: دار الأضواء ـ بيروت).

الطعن في الصحابة والحطِّ عليهم، ولعنهم ونسبة النقائص والقبائح إليهم.

فمن ذٰلك: لعنهم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وتسميتهما بالجبت والطاغوت، وصنمي قريش ووضعوا في ذٰلك دعاء يعرف بذٰلك. وفيه: (اللهم العن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما وابنتيهما)[1] يقصد أبا بكر وعمر وابنتيهما عائشة وحفصة رضي الله عنهم أجمعين.

ومن ذٰلك: رميهم بالجهل: يقول عبد الله شبر من مصنفيهم: (ومنها؛ ـ أي: من المطاعن ـ أنه؛ ـ يعني: أبا بكر رضي الله عنه ـ كان جاهلاً بأكثر أحكام الدين. . .)[2].

ومنها: رمي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالظلم و(أنه كان يعطي من بيت المال ما لا يجوز. . .)[3].

وقال عن عثمان: (وأما مثالب عثمان فهي لا تحصى ولا تستقصى)[4]، ثم ذكر هراء كثيراً وزوراً من القول وهجراً.

٣) التبرؤ من أفاضل منهم:

من المسائل التي أجمع عليها الشيعة سوى الزيدية منهم: القول: بالتبري من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة، يقول الشهرستاني: (ويجمعهم؛ ـ أي: الشيعة ـ . . . والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً؛ إلا في حال

---

(١) انظر: صورة هٰذا الدعاء في رسالة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية، لجلال الدين محمد صالح، ملحق رقم ٣ / ٥٩٦.

(٢) حق اليقين ١ / ٣١٥.

(٣) نفس المصدر ١ / ٣٢٣.

(٤) عبد الله شبر، حق اليقين في معرفة أصول الدين ١ / ٣٢٥، (ط. الأولى ١٤٠٤هـ، نشر: دار الأضواء ـ بيروت).

التقية)[1]. قلت: يخرج من ذلك «الزيدية».

قال السكسكي: (وقالوا؛ ـ أي: الرافضة ـ: بتفضيل علي على سائر الصحابة وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ وتبرأوا من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة رضي الله عنم إلا فرقة الزيدية)[2].

وفي كتبهم التصريح بالبراءة كقولهم: (واعتقادنا في البراءة أنها من الأوثان الأربعة والإناث الأربع ومن جميع أشياعهم وأتباعهم وأنهم شر خلق الله، ولا يتم الإقرار بالله وبرسوله والأئمة إلاَّ بالبراءة من أعدائهم)[3].

٤) تكفيرهم جل الصحابة رضوان الله عنهم:

لم يكتف القوم بما تقدم من ألوان الجفاء والتقصير، ولم يزل حبل جفائهم ممدوداً، وعقد تقصيرهم وتفريطهم مفروطاً، حتى تقحموا دركات الهاوية وقالوا بإكفار خيار الأمة من أصحاب رسول الله ﷺ، وأنهم ارتدوا بعد وفاته وكثير منهم نافق في حياته.

ذلك قولهم بأفواههم، وما كتبت أيديهم، فهو أمر مسطور في طروسهم، مزبور في كتبهم ومصنفاتهم، التي سطرها منهم أئمة عندهم، وآيات لهم.

من ذلك ما جاء في كتاب «الكافي» وهو أعظم كتبهم وأصحها لديهم وهو عندهم بمثابة «صحيح البخاري» عند أهل السنة، ذكر فيه عن «الرضا» أنه قال: (إنّ الله لم يقبض نبيه ﷺ حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كَمُلا، فقال عز وجل: ﴿مَا فَرَّطْنا في الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[4] وأنزل في حجة

---

(١) الملل ١ / ١٤٦.

(٢) البرهان ص ٦٥.

(٣) عبد الله شبر، حقي اليقين ٢ / ٢٧٦.

(٤) سورة الأنعام آية ٣٨.

الوداع وهي آخر عمره ﷺ : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1]، وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض ﷺ حتى بيّن لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق وأقام لهم علياً علماً وإماماً وما ترك لهم شيئاً تحتاج إليه الأمة إلاّ بينه، فمن زعم أن الله عز جل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله، ومن رد كتاب الله؛ فهو كافر به)[2].

فجعل القول بإمامة علي بعد الرسول ﷺ مباشرة من إكمال الدين، وجعل من أنكر ذٰلك في عداد الكافرين، ولا شك أن هدفه ومراده إكفار الصحابة، فتأمل.

وإن أبيت إلا التصريح الصريح، فاعلم أن القوم لم يبخلوا به فهو بعض ما في صدورهم وما تخفي صدورهم أكبر، ألا وهو اجتثاث دين الإسلام من جذوره بالطعن في خيرة أهله ونقلته حتى لا يصح لدى الناس شرع ولا دين.

فلقد نصوا صراحة على كفر الصحابة وارتدادهم بعد رسول الله ﷺ سوى نفر منهم عدوهم، كما جاء في «الكافي» أيضاً: (كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي)[3].

وجاء في كتاب سليم بن قيس العامري: (أن الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله غير أربعة)[4].

---

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، الأصول من الكافي ١ / ١٥٤، (ط. ١٣٨٨، نشر: المكتبة الإسلامية ـ طهران).

(٣) الكليني: كتاب الروضة من الكافي ٨ / ٢٤٥، (ط. الثانية ١٣٨٩هـ، عني بنشره محمد الأخوندي ـ طهران).

(٤) ص ٩٢، (ط. دار الفنون ـ بيروت، عن إحسان إلهي ظهير)، الشيعة وأهل البيت ص ٤٤.

وقال المجلسي ـ أحد مصنفيهم ـ: (هلك الناس كلهم بعد وفاة الرسول ﷺ إلا ثلاثة أبو ذر والمقداد وسلمان)[1].

وقال الطوسي ـ من علمائهم ـ: (عندنا أن من حارب أمير المؤمنين فهو كافر والدليل على ذٰلك اجماع الفرقة المحقة (بزعمه) الإمامية على ذٰلك. . .)[2].

ولعلك تحسن الظن بالقوم فتحسب أن هٰذا قول متقدميهم، وأن المعاصرين منهم ليسوا على ذٰلك، وكم هو محبب إلينا أن يكون كما تظن أو تحسب وأن يكون متأخروا القوم أرشد من أسلافهم، ولكن الحقيقة لا تدع للظن مكاناً، فقد ورث المعاصرون تركة السالفين منهم وعضوا عليها بالنواجذ، فها هو زعيم العصر فيهم إمامهم وآيتهم العظمى (خميني) يصرح بكفر الصحابة، فيكفر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيقول: (وقد جاء في «صحيح البخاري»، و«مسلم» و«مسند أحمد» أن ابن عباس كان يبكي ويقول: يوم الخميس وما أدراك ما يوم الخميس، فقال النبي ﷺ: ائتوني بورق ودواة لأكتب لكم شيئاً حتى لا تضلوا، فقالوا: إن النبي يهذي.

قال: وتشير كتب التاريخ أنّ هٰذا الكفر صدر عن عمر بن الخطاب، وأن البعض قد أيده في ذٰلك ولم يسمحوا للنبي بأن يكتب ما يريده)[3].

وقال في موضع آخر في نفس الموضوع: «وأغمض ـ أي: الرسول ﷺ ـ عينيه، وفي أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية، والنابعة أعمال الكفر والزندقة. . .)[4].

---

(١) حياة القلوب. له فارسي ٢ / ٦٤٠، اقتبسه إحسان إلهي ظهير، المصدر السابق ص ٤٦.

(٢) انظر: عبد الله شبر، حق اليقين ٢ / ٢٧٦.

(٣) انظر: كشف الأسرار ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٤) انظر: كشف الأسرار ص ١٣٧.

فكفّر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن أيده من أعلام الصحابة.

*** مظاهر الغلو والإفراط لديهم:**

إن الواقف على كتب القوم، ومقالاتهم في كتب الفرق والمقالات، لا يمتري في أن أبرز سمات فرق الشيعة الغلو في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وبعض أهل بيته، بل لا يكون مغالياً، إذا قال إنّ هٰذا الغلو هو أحد الركائز الأساسية التي قام عليها بنيان الكيان الشيعي الرافضي.

فأول مظهر من مظاهر غلو الشيعة:

١) تفضيلهم علي بن أبي طالب على عثمان رضي الله عنهما، ثم على سائر الصحابة رضي الله عنهم، ثم أضافوا إلى ذٰلك القول بتقديمه في الإمامة على غيره من الخلفاء، وهٰذا المبدأ يمثل القاعدة العريضة لعقيدة الشيعة، وبه يتميز الشيعي من غيره، فمن لم يقل بتفضيل علي رضي الله عنه وتقديمه في الإمامة فليس بشيعي[١]، وقد تقدم[٢] في تعريف الشيعة أنهم الذين شايعوا علياً وقدموه على سائر الصحابة.

ومن نصوصهم في تقديم علي رضي الله عنه ما رواه الكليني في الكافي عن ذريح، قال سألت أبا عبد الله عن الأئمة بعد النبي ﷺ فقال: (كان أمير المؤمنين عليه السلام إماماً، ثم كان الحسن إماماً، ثم كان الحسين إماماً، ثم كان علي بن الحسين إماماً، ثم كان محمد بن علي إماماً، من أنكر ذٰلك كان كمن أنكر معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ﷺ)[٣].

---

(١) هٰكذا أصبح مفهوم التشيع، وما كان كذٰلك في أوله، إذ كان بعض المتقدمين يتشيع لعلي ويرى تقديمه على عثمان، وما كان أحد منهم يفضله أو يقدمه على أبي بكر وعمر بحال. انظر: ابن حجر: التهذيب ١ / ٩٤، وابن تيمية: منهاج السنة ٨ / ٢٢٤.

(٢) انظر: ص ٤٠٥.

(٣) أصول الكافي ١ / ١٣٩.

فجعل الإمامة بعد رسول ﷺ في علي وبنيه، دون أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عن الجميع، وهٰـذا معتقد الرافضة الإمامية، يقول صاحب كتاب «حق اليقين» في تقرير ذٰلك: (ذهبت الإمامية . . . إلى أن الإمام بعد رسول الله ﷺ علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أمير المؤمنين، ومن بعده أولاده الطاهرون . . .)[1].

٢) ومن مظاهر غلوهم قولهم: بعصمة أئمتهم، وأولهم علي وابناه الحسن والحسين رضي الله عنهم:

يقـول المجلسي ـ من أعيانهم ـ: (اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون من كل دنس وأنهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . . .)[2]، وقال أيضاً: (أعلم أن الإمامية رضي الله عنهم على عصمة الأئمة . . . من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصـلاً لا عمـداً ولا نسياناً، ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه وتعالى . . . وذكر لبعضهم خلافاً في الإسهاء من الله)[3].

وينسب الكليني إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه قال: (إنّ الله تبارك وتعـالى طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا)[4].

وزعم أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) عبد الله شبر، حق اليقين ١ / ٢٦١.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار ج ٢٥ / ٢١١، اقتبسه جلال الدين محمد صالح في رسالته الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية ص ٢٠٥.

(٣) المجلسي، بحـار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٠٩، اقتبسه: جلال الدين محمد صالح في رسالته الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية ص ٢٠٥.

(٤) أصول الكافي ١ / ١٤٧.

(أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون)[1].

وهٰكذا نرى مبلغ غلو القوم في أئمتهم ولا سيما علي وبنيه رضي الله عنهم، وكيف زعموا لهم العصمة وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهٰذا لعمري مقام الملائكة لا البشر، ولكنهم يرون أن الأئمة أفضل من الأنبياء، والملائكة كما سيأتي ذٰلك.

٣) ومن غلوهم زعمهم أن أئمتهم يعلمون الغيب:

وقد أفرد الكليني لإثبات ذٰلك والاستدلال له باباً في كتابه «الكافي» فقال: «بـاب أن الأئمـة يعلمـون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات[2] الله عليهم»[3]. ثم ساق تحته بعض الروايات عن أئمة آل البيت في ذٰلك، فروى عن عدة من أصحابهم أنهم سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في

---

(١) الصدوق: إكمال الدين ص ٤٧٤، اقتبسه جلال الدين في الإمامة عند الشيعة ص ٢١٠.

(٢) في جواز الصلاة على غير الأنبياء تفصيل، فتجوز إجماعاً إذا كانوا تبعاً للأنبياء في الذكر كقولنا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»، وإذا أفردوا فللعلماء في ذٰلك قولان: الأول: أنه يجوز، والثاني ـ وهو قول الجمهور ـ: أنه لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة؛ لأن هٰذا صار شعاراً للأنبياء إذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال: قال أبو بكر ﷺ، أو قال علي ﷺ، وإن كان المعنى صحيحاً كما لا يقال محمد عز وجل، وإن كان عزيزاً جليلاً؛ ولأن هٰذا من شعار ذكر الله عز وجل. وقال آخرون لا يجوز ذٰلك؛ لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء يصلون على من يعتقدون فيهم، فلا يقتدى بهم في ذٰلك.

وكذٰلك الأمر في السلام، فلا يفرد به علي أو غيره من أهل بيته، من دون سائر الصحابة فإنه وإن كان معناه صحيحاً، لكن ينبغي أن يساوي بين الصحابة في ذٰلك. راجع: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦ / ٤٦٧ ـ ٤٦٨.

(٣) انظر: الكافي ١ / ٢٠٣.

النار، وأعلم ما كان وما يكون. . .)[1]، وروى أيضاً عن سيف التمار قال: (كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر فقال علينا عين[2]، فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً فقلنا: ليس علينا عين، فقال: ورب الكعبة ورب البنية ـ ثلاث مرات ـ لو كنت بين موسى والخضر؛ لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما؛ لأن موسى والخضر أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وراثه»[3].

ولا أدري كيف تستقيم لهم هٰذه الدعوى مع قوله عز وجل عن رسول ﷺ: ﴿**وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾[4].

٤) قولهم بتفضيل الأئمة على الأنبياء والملائكة:

ذكر أبو الحسن الأشعري اختلاف الرافضة في ذٰلك وأن طوائف منهم ترى: أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة، وأنه لا يكون أحد أفضل من الأئمة قال: وهٰذا قول طوائف منهم»[5].

ويحدثنا مصنف شيعي رافضي عن مذهب أهل نحلته في ذٰلك، وهو المشهور عندهم بـ«المفيد»[6]، فيقول: (قد قطع قوم من أهل الإمامة بفضل

---

(١) الكافي ١ / ٢٠٤.

(٢) يعني: هل يرانا أو يرقبنا أحد، ولو كان حقاً يعلم ما كان وما يكون، كما ينسبون إليه؛ لعلم هل عليهم عين أم لا. فتأمل.

(٣) الكافي ١ / ٢٠٤.

(٤) سورة الأعراف آية ١٨٨.

(٥) انظر: المقالات ١ / ١٢٠.

(٦) هو: محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد، عالم الرافضة، أبو عبد الله بن المعلم صاحب التصانيف البدعية، وهي مئتا مصنف طعن فيها على السلف، وله صولة عظيمة في دولة عضد الدولة. انظر: الذهبي ميزان الاعتدال ٤ / ٣٠ بتصرف.

الأئمة من آل محمد ﷺ على سائر من تقدم من الرسل والأنبياء سوى نبينا محمد ﷺ.

وأوجب فريق منهم الفضل على جميع الأنبياء سوى أولي العزم منهم عليهم السلام، وأبي القولين منهم فريق آخر وقطعوا بفضل الأنبياء كلهم على سائر الأئمة . . .

وهٰذا باب ليس للعقول في إيجابه والمنع منه مجال، ولا على أحد الأقوال فيه إجماع، وقد جاءت آثار عن النبي ﷺ في أمير المؤمنين (. . .) وذريته من الأئمة، والأخبار عن الأئمة الصادقين أيضاً من بعد، وفي القرآن مواضع تقوي العزم على ما قاله الفريق الأول في هٰذا المعنى وأنا ناظر فيه)[1].

فبعد عرضه الأقوال مال إلى اختيار القول بالتفضيل الذي هو القول الأول.

وهٰذا أحد مصنفيهم المتأخرين يقرر عقيدة القوم في ذٰلك فيقول: (يجب الإيمان بأن نبينا صلى الله عليه وسلم وآله المعصومين، أفضل من الأنبياء والمرسلين ومن الملائكة المقربين لتظافر الأخبار بذٰلك، وتواترها فيما هنالك)[2].

ويظهر أن القول بالتفضيل هو الغالب على الشيعة الرافضة، بل هو الواجب عندهم، وأن الخلاف المذكور إنما كان لدى بعض المتكايسين من متقدميهم.

وأما المعاصرون من الشيعة الرافضة فعلى القول بالتفضيل، لا يتوارون من القول به، ولا يبرؤون منه أو يعتذرون عنه، بل يصرح به صاحب أكبر عمة

---

(١) أوائل المقالات ص ٨١، اقتبسه جلال الدين محمد صالح في رسالته الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية ص ٢٤٦.

(٢) عبد الله شبر، حق اليقين ١ / ٢٠٩.

فيهم، مدوناً ذلك في أحدث مصنفاته فيقول: «فإنّ للإمام مقاماً محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها جميع ذرات هذ الكون وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل - إلى أن قال -: وقد ورد عنهم (. . .) أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل، ومثل هذه المنزلة موجودة لفاطمة الزهراء (. . .)»[1].

وهكذا يظهر مدى غلو القوم ومثابرتهم على ذلك، وأن متأخريهم ليسوا بأحسن حالاً من سابقيهم إن لم يكونوا أضلّ وأردى.

٥) ومن مظاهر غلوهم زعمهم أن الإمام محدث يوحي إليه ملك:

عقد الكليني باباً في كتابه «الكافي» بعنوان «باب الفرق بين الرسول والنبي والمُحَدَّث»[2]، وأورد تحته عدداً من الروايات التي تدل على أن الإمام يوحي إليه ملك كالنبي والرسول؛ إلا أن الفرق بينهم أن الإمام يسمع كلام الملك ولا يراه، بينما النبي والرسول يسمعه ويراه.

فروى عن زرارة بن ميمون قال: (سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾[3]، ما الرسول؟ وما النبي؟ قال النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك.

قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك ثم تلا هذه الآية: (وما أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍ ولا مُحَدَّثٍ[4])[5].

---

(١) الخميني، الحكومة الإسلامية ص ٥٢ - ٥٣، نشر المكتبة الإسلامية الكبرى.

(٢) انظر: الكافي ١ / ١٣٤.

(٣) سورة مريم، جزء من آيتي ٥١ و ٥٤.

(٤) الآية من سورة الحج آية ٥٢، وليس فيها جملة (ولا محدث)، وإنما ذلك من تحريفات الشيعة الرافضة وزياداتهم في كتاب الله عز وجل.

(٥) الكافي ١ / ١٣٤.

وفي رواية أخرى قال: (كتب الحسن بن العباس المعروفي إلى الرضا (. . .) جُعلت فداك أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام؟ قال: فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبي والإمام، أن الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام.

والنبي: ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع.

والإمام: هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص)[1].

٦) لعل أعظم مظاهر غلو الشيعة وإفراطهم:

هو قول بعضهم بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو قول يتنصل أكثر الشيعة منه، لكنه يظل قول المؤسس الأول للشيعة الرافضة الإمامية عبد الله بن سبأ، الذي وضع مبادىء التشيع والرفض التي لا تزال الشيعة الرافضة إلى اليوم تقول بأكثرها، كالقول؛ بتفضيل علي على سائر الصحابة، والنص على إمامته بعد الرسول بلا فصل، والطعن على أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم، كما تقدم إثبات ذلك عنهم من كتبهم.

قال الشهرستاني: عن عبد الله بن سبأ أنه قال لعلي رضي الله عنه: أنت أنت؛ يعني: أنت الإله، فنفاه إلى المدائن[2].

ويقول المقدسي: إنّ السبأية، وهم أتباع عبد الله بن سبأ: (قالوا لعلي أنت إله العالمين أنت خالقنا ورازقنا، وأنت محيينا ومميتنا، فاستعظم علي ذلك من قولهم وأمر بهم فأحرقوا بالنار فدخلوا النار وهم يضحكون ويقولون الآن صح لنا أنك إله؛ إذ لا يعذب بالنار إلاَّ رب النار. . .)[3].

---

(١) الكافي ١ / ١٣٤.

(٢) الملل والنحل ١ / ١٧٤.

(٣) البدء والتاريخ ٥ / ١٢٥.

ويقول البغدادي: (السبئية: أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنه، وزعم أنه كان نبياً، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إلٰه، ودعا إلى ذٰلك قوماً من غواة الكوفة، ورفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين. . .)[1].

وبعد فهٰذه نماذج من غلو الشيعة الرافضة، ذكرتها متدرجاً من القاعدة إلى القمة، وهي بعض ما عندهم، فالغلو أس مذهبهم وسداه ولحمته، وما أشرت إليه من ذٰلك يكفي للدلالة على غلوهم.

●●●●●

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق ٢٣٣.

المبحث الثالث:

في ذكر قول أهل السنة والجماعة

عرفنـا فيما تقدم موقف الخوارج وأئمة الاعتزال، والشيعة الروافض من أصحاب رسول الله ﷺ، وتبين لنا مبلغ ابتعاد القوم عن الاعتدال والتوازن في هٰذا الباب، وجنوحهم إلى طرفي الإفراط والتفريط.

وفي هٰذا المبحث، سأورد قول أهل السنة واعتقادهم في أصحاب رسول الله ﷺ، من خلال ما دونـه بعض أئمة أهل السنة في أوقات وأزمان مختلفة متفاوتة، ومع ذٰلك فقولهم واحد لا تضارب فيه ولا اختلاف؛ لأنه ينبع من أصول ثابتة ينهل منها الجميع في كل عصر ومصر، كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع سلف الأمة.

وسيظهر من خلال أقوالهم مدى توسطهم واعتدالهم واقتصادهم في ذٰلك، كما سأشير إلى مظاهر ذٰلك في آخر المبحث بإذن الله.

عقيدة أهل السنة في الصحابة:

دوَّنَ كثيرٌ من الأئمة عقيدة أهل السنة في هٰذا الباب وغيره، وهٰذه نماذج مختارة من أقوالهم.

* يقول الإمام أحمد في بيان عقيدة أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم: (ومن السنـة: ذكـر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً فهو مبتدع رافضي.

حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآرائهم فضيلة.

وخير هٰذه الأمـة بعـد نبيها ﷺ: أبو بكر، وخيرهم بعد أبي بكر عمر،

وخيرهم بعد عمر عثمان، وخيرهم بعد عثمان علي رضوان الله عليهم، خلفاء راشدون مهديون.

ثم أصحاب محمد ﷺ بعد هٰؤلاء الأربعة لا يجوز لأحد منهم أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم، فمن فعل ذٰلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ثم يستتيبه فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وجلده حتى يتوب ويراجع)[1].

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت ٣٢٠هـ) في عقيدته المشهورة: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون.

وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هٰذه الأمة رضي الله عنهم أجمعين.

ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس؛ فقد بريء من النفاق»[2].

---

(١) السنة. له ص ٣٨.

(٢) انظر: العقيدة الطحاوية بشرح ابن أبي العز ص ٥٢٨ ـ ٥٥٣.

وهذا إمام آخر من أئمة أهل السنة، وهو أبو إسماعيل الصابوني (ت ٤٤٩هـ) يدون عقيدتهم في الصحابة رضي الله عنهم فيقول: «ويشهدون ويعتقدون؛ ـ أي: أهل الحديث والسنة ـ: أن أفضل أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وأنهم هم الخلفاء الراشدون الذين ذكر النبي ﷺ خلافتهم بقوله: . . . (الخلافة بعدي ثلاثون سنة)[١]. . . فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم، ورعى حقهم وعرف فضلهم فاز في الفائزين ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم إلى ما تنسب إليه الروافض والخوارج ـ لعنهم الله ـ فقد هلك في الهالكين. . .

ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم، وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن والدعاء لهن. ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين»[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[٣] وطاعة النبي ﷺ في قوله: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده؛ لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[٤].

---

(١) هو طرف من حديث سفينة في الخلافة، أخرجه حم ٥ / ٢٢٠، ٢٢١.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص ٨٦، ٩٠، ٩٣، (بتحقيق بدر البدر، نشر: الدار السلفية).

(٣) سورة الحشر آية ١٠.

(٤) تقدم تخريجه ص ٣٩٧.

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة من فضائلهم ومراتبهم ويفضلون من أنفق من قبـل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل، ويقدمون المهاجرين والأنصار.

ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[1]، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما أخبر النبي ﷺ[2]، بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ . . .

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنـه وغيره من أن خير هٰذه الأمـة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم، كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة.

ويؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هٰؤلاء فهو أضل من حمار أهله.

ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ، حيث قال يوم غدير خم[3]: (أذكركم الله في أهل بيتي)[4]. . .

---

(١) يشير إلى قوله ﷺ في قصة حاطب بن أبي بلتعة: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو: فقد غفرت لكم. . .). خ: المغازي، باب فضل من شهد بدراً ٧ / ٣٠٤، ح ٣٩٨٣.

(٢) تقدم ذكر الحديث وتخريجه. انظر: ص ٣٩٤.

(٣) غدير خم: اسم موضع بين مكة والمدينة بالجحفة أو على أميال منها. انظر: الحموي، معجم البلدان ٢ / ٣٨٩.

(٤) م: فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ٤ / ١٨٧٣ ح ٢٤٠٨.

ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين .

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب[1] الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل .

ويمسكون عما شجر بين الصحابة ، ويقولون إن هٰذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كاذب ، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون .

وهم مع ذٰلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يُغفر لهم من السيئات ما لا يُغفر لمن بعدهم ؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم .

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون ، وأن المُدّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم ، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه ، أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته ، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هٰذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور.

ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم ، قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم ، من الإيمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيله ، والهجرة ، والنصرة ، والعلم النافع ، والعمل الصالح .

---

(١) يطلق لفظ النواصب على من يؤذي أهل البيت ، وهو مراد الشيخ هنا ، ويطلقه الشيعة على كل من لا يتبرأ من الصحابة ، كما تقدم .

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، ولا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هٰذه الأمة التي هي خير الأمم، وأكرمها على الله)[1].

وبعد فهٰذه عقيدة أهل السنة في أصحاب رسول الله ﷺ وهٰذه أقوالهم فيهم، دونها هٰؤلاء الأئمة، كما دونها غيرهم، كلهم متفقون على معرفة حقهم وفضلهم، وتوقيرهم والترضي عنهم، ليس لأحد منهم خلاف في ذٰلك.

ومن خلال هٰذه الأقوال تتجلى وسطية أهل السنة، ويبرز اعتدالهم واقتصادهم.

فهم وسط: لأنهم لم يكفروا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، في حين أن كلاً من الخوارج، والمعتزلة، والشيعة كفروا أو فسّقوا طوائف منهم، كما تقدم ذكر ذٰلك.

وهم وسط: في التولي والتبري: فكل من فريقي الغلاة والجفاة يتولى فريقاً من الصحابة ويتبرأ من أكثرهم أو كثير منهم كما سبق بيانه.

وأهل السنة: يتولون جميع الصحابة ولا يتبرؤون من أحد منهم.

وهم وسط: لأنهم يترضون عن جميع الصحابة، ويترحمون عليهم ويستغفرون لهم كما أمر الله، ولا يسبُّون أو يشتمون أحداً منهم. بينما كلٌ من الخوارج وبعض أئمة المعتزلة، والشيعة، لا يترضون عن الجميع، ولا يترحمون أو يستغفرون لطوائف من الصحابة، ولبعضهم فيهم سب وشتم ونسبة إلى الجهل والظلم والفسق كما تقدم إيضاحه عنهم.

وهم وسط: لأنهم يشهدون ويعتقدون أن أصحاب رسول الله ﷺ خير خلق الله بعد الأنبياء، وأنّ خيرهم: الخلفاء الأربعة الراشدون فيما يطعن كل

---

(١) انظر: العقيدة الواسطية بشرح الهراس ص ١٤٢ ـ ١٥١.

من الجفاة والغلاة في كثير منهم، ويعدون بعضهم شر هٰذه الأمة كما يعتقد الشيعة الرافضة.

وهم وسط: في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلم يغلوا فيه غلو الشيعة الرافضة فلم يرفعوه إلى مقام النبوة أو الألوهية كما فعل كثير من الشيعة.

ولم يكفروه، أو يفسّقوه ويردوا شهادته كما يرى الخوارج وأئمة المعتزلة، كما تقدم.

وهم وسط: لأنهم لا يعتقدون العصمة لأحد من الصحابة، بل يعتقدون أنهم بشر يقع منهم من الذنوب ما يقع من غيرهم، ومع ذٰلك لا يشنعون عليهم بذنب، بل يلتمسون لهم المخارج ويحملونهم على أجمل المحامل.

وأهل البدعة: يعتقد بعضهم العصمة لعلي رضي الله عنه وللأئمة من أهل بيته وأنه لا يقع منهم ذنب عمداً ولا خطأً ولا سهواً.

ويعتقدون في بعض الصحابة وقوع الكفر والنفاق والردة منهم وارتكاب المظالم والكبائر وينسبونهم إلى الزندقة.

هٰذه بعض مظاهر وسطية أهل السنة في هٰذا الباب، على أن قولهم واعتقادهم في أصحاب رسول الله ﷺ لا يخرج عن دائرة القصد والاعتدال بأي حال.





الفصل الخامس

وسطية أهل السنة في باب تعظيم النبي ﷺ والصالحين من أمته

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: في بيان وسطيتهم في باب تعظيم النبي ﷺ.
- المبحث الثاني: في بيان وسطيتهم في باب تعظيم الصالحين من أمته.



تمهيد :

تقدم في الباب الأول الحديث عن كون هٰذه الأمة المحمدية وسطاً بين الأمم في أنبياء الله ورسله عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأنها لم تغل فيهم ولم تفرِّط، وأن اليهود والنصارى وقع منهم غلو وإفراط فيهم، كما وقع منهم أيضاً جفاء لهم، وتفريط وتقصير في جنابهم صلوات الله وسلامه عليهم.

ولما كان من الثابت أن فئات من هٰذه الأمة سيتبعون تلك الأمم قبلهم كما أخبرنا الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه في قوله: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً، وذراعاً ذراعاً، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ـ قال الراوي: ـ قلنا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)[1].

فإنه قد وقع من بعض هٰذه الأمة، شيء من الغلو أو التفريط في جناب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وذٰلك بسبب متابعتهم لتلك الأمم وتأثرهم بما نقل عنهم، ولا سيما بعد امتداد الإسلام وانتشاره، ودخول طوائف من أهل الكتاب في الإسلام، واختلاط المسلمين بكثير من أهل الذمة من أمتي اليهود والنصارى وغيرهم، كما تقدم لنا في أسباب افتراق هٰذه الأمة.

وبسبب بعدهم عن كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، اللذين جاء

---

(١) خ: كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» ١٣ / ٣٠٠، ح ٧٣٢٠.

فيهما التحذير من ذٰلك، وبيانُ مكانة الرسول ﷺ ومنزلته التي أنزله الله إياها وما يجب على أمته في حقه من التعظيم والمتابعة والتسليم.

وفي هٰذا الفصل سنعرض في المبحث الأول لبيان قول أهل السنة واعتقادهم في جناب الرسول ﷺ، كما سنوضح ما وقع فيه أهل البدع من الإفراط والتفريط في حقه ﷺ.

وفي المبحث الثاني: سنبين موقف أهل السنة واعتقادهم في الصالحين من أمته ﷺ، وما ذهب إليه أهل الغلو والتفريط في ذٰلك بإذن الله.

● ● ● ● ●

المبحث الأول:

في بيان وسطية أهل السنة في باب تعظيم النبي ﷺ

وفي هٰذا المبحث سأورد عرضاً لعقيدة أهل السنة وقولهم في هٰذا الباب، ثم أبين مواقف أهل الغلو وأهل التفريط فيه على النحو التالي:

● أولاً: موقف أهل السنة وقولهم في هٰذا الباب:

أهل السنة في الإسلام، مثل هٰذه الأمة بين الأمم، فكما أن أمة محمد ﷺ خير الأمم وأوسطها، فكذٰلك أهل السنة بالنسبة لسائر الفرق والطوائف من أهل القبلة، وذٰلك لشدة تمسكهم بما دل عليه وأدى إليه كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ في سائر أمورهم، مما جعلهم على سراط سوي لا يميلون عنه إلى إفراط أو إلى تفريط، كما فعل غيرهم من الفرق والطوائف الأخرى.

وموقفهم واعتقادهم في رسول الله ﷺ من الشواهد الدالة على صحة ذٰلك.

وفيما يلي أورد عرْضاً موجزاً لقولهم واعتقادهم في جناب المصطفى ﷺ:

*** فهم يعتقدون أنه ﷺ عبد الله ورسوله:**

فيجمعون له بين مقام العبودية، والرسالة: وهي أكمل المقامات، كما جمع بينها ﷺ لنفسه في قوله: (من شهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله . . .)[1].

فأتى ﷺ بهاتين الصفتين وجمعهما دفعاً للإفراط والتفريط، فإن كثيراً ممن

---

(١) م: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ١ / ٥٧، ح ٤٦.

يدعي أنه من أمته أفـرط بالغلو قولاً وفعلاً، وفرط بترك متابعته. . .[1].

يقـول الإمـام الطحاوي في «عقيدة أهل السنة» في ذلك: « . . . وأن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى»[2]، فيجمع له ﷺ بين العبودية والنبوة والرسالة ويشهد أهل السنة له بذلك.

*** ويشهدون ويعتقدون أنه أفضل المرسلين وسيد الخلق أجمعين:**

كما أخبر ﷺ بذلك في قوله: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)[3]، وقد تقدم بيان ذلك في الباب الأول[4].

*** ويرون محبته ﷺ واجبة وأنها من الإيمان والدين:**

عملاً بقوله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[5].

وقوله ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، . . .)[6]. الحديث.

فهم يحبونه ويعظمونه، وقد تقدم لنا كيف كان الصحابة رضوان الله عنهم يفدونه ﷺ بالنفس والنفيس، وأنهم كانوا يحبونه أكثر من أولادهم وأنفسهم كما في قصة عمر رضي الله عنه وقد تقدمت الإشارة إليه في الباب الأول[7].

---

(١) عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد ٣٧، (ط ١٣٨٦، مطبعة المشهد الحسيني ـ القاهرة).

(٢) انظر: الطحاوية مع الشرح ص ١٥٧.

(٣) تقدم تخريجه ص ٢٢٧.

(٤) انظر: ص ٢٢٧.

(٥) تقدم تخريجه ص ٢٨٠.

(٦) خ: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ١ / ٦٠، ح ١٦.

(٧) انظر: ص ٢٨٠ ـ ٢٨٢.

ويرون من لوازم محبته وعلامتها: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، والإنتهاء عما عنه نهى وزجر، فاتباعه ومتابعته هي العلامة الدالة على محبته ﷺ، بل هي الدالة على محبة الله سبحانه وتعالى أيضاً، كما قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: (هٰذه الآية حاكمة على كل من ادّعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية؛ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله)[2].

وكذٰلك من ادّعى محبة رسول الله ﷺ، ولم يتبع دينه وشرعه الذي جاء به في جميع أقواله، وأفعاله، وأحواله؛ فهو كاذب في دعواه محبته ﷺ.

(وإذا أراد الإنسان أن يقف يقيناً على مقدار ما في قلبه من المحبة لله ورسوله ﷺ فليعرض أقواله وأفعاله على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن وافقت الشرع المحمدي كان ذٰلك دليلاً على صدق المحبة، وإن خالفته دل على أن دعوى المحبة كاذبة. . .)[3].

فإن من علامات محبته ﷺ إيثار شرعه وما جاء به على غيره من الهوى وشهوات النفس. قال القاضي عياض: «اعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته؛ وإلا لم يكن صادقاً في حبه، وكان مدعياً، فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذٰلك عليه، وأولها الاقتداء به واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٥.

(٣) انظر: عبد المحسن العباد، عشرون حديثاً من صحيح البخاري ١٦٦.

ومكرهه وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾. . . »[1].

*** ويشهدون ويعتقدون أنه خاتم الأنبياء:**

وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى[2] إذ لا نبي بعده ﷺ كما أخبر الحق جلا وعلا بختم النبوة به في قوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[3].

فمن ادعى النبوة بعده علم كذبه وضلاله.

*** ويرون ويعتقدون أنه ﷺ لا يعلم من الغيب في حياته إلَّا ما علّمه الله فكيف بعد وفاته:**

وذلك عملاً بما ورد في ذلك من الأدلة أمثال قوله عز وجل: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[5].

وأنه لا يعلم الغيب إلا الله عز وجل: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُها إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ والبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلّا يَعْلَمُها ولا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ

---

(١) انظر: الشفا ٢ / ٢٤.

(٢) الطحاوية ١٧٦.

(٣) سورة الأحزاب آية ٤٠.

(٤) سورة الأنعام آية ٥٠.

(٥) سورة الأعراف ١٨٨.

الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتابٍ مُبِيْنٍ﴾[١].

أما عباده وخلقه من ملائكته وجنه وإنسه بما فيهم أنبياؤه ورسله فلا يعلم أحد منهم من الغيب إلَّا ما علمه الله وأطلعه عليه على حد قوله تعالى: **﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾**[٢].

فلم يُظهر أحداً على غيبه «إلَّا من يصطفيه لرسالته فيظهره على ما يشاء من الغيب؛ لأنه يستدل على نبوته بالآية المعجزة التي تخبر عن الغيب»[٣].

وهٰذا الإظهار لهم لا يكون إلا في حياتهم وعلى ما يشاء الحق عز وجل إطلاعهم عليه. أما بعد مماتهم، فقد انقطع الوحي عنهم وانتقلوا إلى بارئهم.

وبهٰذا يعلم ضلال من ادَّعى أن النبي ﷺ يعلم الغيب بعد وفاته كما سيأتي.

*** وينأون وينهون عن إطرائه والغلو في مدحه والمبالغة في ذٰلك:**

وذٰلك لأنه ﷺ حذر أمته من ذٰلك، إذ الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح بالباطل، وهو يؤدي إلى أن ينزل ﷺ فوق منزلته التي أنزله الله إياها وهي منزلة العبودية والرسالة، وليس بعدها إلا مقام الألوهية ومنزلة الربوبية، والنبي ﷺ يأبى أن تقع أمته في ذٰلك وينهى أن تجاوز به منزلته ومكانته تلك، فيقول ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنَّما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله)[٤]؛ أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى،

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٩.

(٢) سورة الجن آية ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) البغوي، معالم التنزيل ٤ / ٤٠٦.

(٤) خ: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: **﴿واذكر في الكتاب مريم﴾** ٦ / ٤٧٨.

فادعوا فيه الربوبية، وإنما أنا عبد لله فصفوني بذٰلك كما وصفني ربي وقولوا: عبد الله ورسوله.

فأبى عباد القبور إلا مخالفة لأمره، وارتكاباً لنهيه، وناقضوه أعظم المناقضة وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبد الله ورسوله، وأنه لا يدعى ولا يستغاث به، ولا ينذر له. . . أن في ذٰلك هضماً لجنابه، وغضاً من قدره، فرفعوه فوق منزلته. . . فسألوه مغفرة الذنوب وتفريج الكروب[١]، وفي هٰذا مشابهة للنصارى وقد نهينا عن ذٰلك.

*** ويرون ويعتقدون وجوب الصلاة والسلام عليه:**

استجابة لأمر الله المؤمنين بذٰلك في قوله جل وعلا: **﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَليهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾**[٢].

وقد علّمنا ﷺ كيفية ذٰلك فقال لمّا قال له بعض الصحابة: (قد أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم)[٣].

فمن ابتدع كيفية غير هٰذه، فهو على غير سُنَّة، كما هو شأن كثير من أهل البدع المتصوفة.

*** ويعتقدون ويشهدون أنه قد بلغ أمته ما أمره به ربه ولم يكتم منه شيئاً:**

قال أبو محمد بن حزم: (. . . واعلموا أن رسول الله ﷺ لم يكتم من

---

(١) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد ص ٣١٥ط: الدار البيضاء ١٤١٢هـ.

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٦.

(٣) م: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ ١ / ٣٠٥، ح ٤٠٥.

الشريعة كلمة فما فوقها . . .)[1].

وقال القاضي عياض : (لا خلاف أنهم ؛ ـ أي : الأنبياء ـ معصومون عن كتمان الرسالة ، وعن التقصير في التبليغ . . .)[2].

وكيف يتصور منه ﷺ كتمان شيء مما أنزل عليه وقد أمره ربه بأن يبلغه عباده ، في قوله : ﴿**يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾[3].

وما كان له ﷺ أن يخالف أمر ربه ، وما هو مظنة ذلك ، وما هو على وحي ربه بمتهم .

ومن قال إنه لم يبلغ منه شيئاً ، أو إنه ادّخر منه شيئاً لم يبلغه أو آثر به بعض أمته فقد أعظم عليه ﷺ الفرية وأتى بزور من القول ومنكر.

● ثانياً : ذكر قول بعض من غلا وأفرط في تعظيمه ﷺ :

لقد حذر الرسول ﷺ أمته من الغلو بعامة فقال : (إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو . . .)[4]، يشير إلى أهل الكتاب الذين قال الله فيهم : ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا في دِيْنِكُمْ**﴾[5].

وقد تقدم في الباب الأول ذكر صور من غلوهم .

فحذر ﷺ أمته أن يصنعوا كما صنع أولئك ، ونهاهم عن الغلو فيه وإطرائه ومجاوزة الحد في مدحه ، كما تقدم[6] .

---

(١) الفصل في الملل والنحل ٢ / ١١٦ .

(٢) الشفا ٢ / ١٤٤ .

(٣) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٤) انظر: ابن أبي عاصم ، السنة ٩٨ .

(٥) سورة المائدة آية ٧٧ .

(٦) انظر: ص ٤٣٥ .

لكن فريقاً ممن تفرقت بهم السبل عن سبيل الله المستقيم، خالفوا رسول الله ﷺ إلى ما نهاهم عنه، فغلوا فيه وقالوا ما ليس لهم به علم، ولا عندهم من الله ورسوله فيه برهان، فضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وفيما يأتي أذكر صوراً ونماذج من غلو بعض طوائف هٰذه الأمة في جنابه ﷺ، من ذٰلك:

* دعاء بعضهم إيّاه ﷺ، واستغاثتهم به بعد موته، وزعمهم أنه يعطي ويمنع، ويضر وينفع:

كقول شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري (٦٠٨ ـ ٦٦٦هـ)[1].

يا أَكْـرَمَ الخَلقِ ما لي من ألـوذُ بهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ
ولنْ يَضيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُـكَ بي ... إذا الـكَـريمُ تَحـلَّى باسْمِ مُنتَقمِ
فإنَّ مِنْ جُودِكَ الـدُّنْيا وضَـرَّتَهَـا ... ومِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللوحِ والقَلمِ[2]

فقد تضمنت هٰذه الأبيات غاية الإطراء والغلو الذي وقعت فيه النصارى وأمثالهم، فإنه قصر خصائص الإلهية والربوبية التي قصرها الله على نفسه، وقصرها عليه رسوله ﷺ ـ على الرسول ﷺ ـ فصرفها لغير الله، فإن الدعاء مخ العبادة، واللّياذ من أنواع العبادة.

وقد جمع في أبياته الاستعانة والاستغاثة بغير الله، والالتجاء والرغبة إلى غير الله، فإن غاية ما يقع من المستغيث إنما هو الدعاء واللياذ بالقلب واللسان وهٰذه هي أنواع العبادة التي ذكرها الله في مواضع كثيرة من كتابه...[3].

---

(١) انظر ترجمته لدى: الكتبي، فوات الوفيات ٣ / ٣٦٢، والزركلي، الأعلام ٧ / ١١.

(٢) انظر: البردة، ضمن مجموع مهمات المتون ٩٠.

(٣) عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، بيان المحجة في الرد على اللجة، ضمن مجموع الرسائل والمسائل النجدية، لبعض علماء نجد ص ٢٢٧، (ط. الثانية ١٤٠٨هـ، نشر: مكتبة الشافعي ـ الرياض).

وسيأتي التعليق على قوله: «ومن علومك علم اللوح والقلم» في موضع آخر.

ومن هٰذا النوع من الغلو قول البريلوي[1]:

(إن رسول الله ﷺ مالك الأرضين، ومالك الناس ومالك الأمم ومالك الخلائق وبيده مفاتيح النصر والمدد، وبيده مفاتيح الجنة والنار، وهو الذي يعز في الآخرة ويكون صاحب القدرة والاختيار يوم القيامة، وهو الذي يكشف الكروب، ويدفع البلاء، وهو حافظ لأمته وناصر لها، وإليه ترفع الأيدي بالاستجداء)[2].

ومنه قوله أيضاً: (إن رسول الله ﷺ هو المبرىء من السقم والآلام والكاشف عن الأمة كل خطب وهو المحيي، وهو الدافع عن المعضلات، والنافع للخلق، والرافع للمراتب، وهو الحافظ والناصر، وهو دافع البلاء أيضاً، وهو الذي أبرد على الخليل النار، وهو الذي يهب ويعطي، وحكمه نافذ وأمره جار في الكونين)[3].

ولا أدري ماذا أبقى هٰذا البريلوي لله رب العالمين؟!

* ومن صور الغلو فيه ﷺ زعم بعض طوائف الغلاة أنه ﷺ يعلم الغيب: من ذٰلك قول البوصيري فيه:

---

(١) هو: أحمد رضا البريلوي زعيم الطائفة البريلوية، ولد في مدينة بريلي من مدن الهند سنة ١٢٧٢هـ، وكانت وفاته سنة ١٣٤٠هـ. ولا تزال نحلته لها رواج في أقاليم الهند والباكستان. راجع عنه وعن طائفته: إحسان إلهي ظهير. البريلوية، عقائد وتاريخ ١٣ ـ ٤٥.

(٢) أنوار رضا ص ٢٤٠، مقال إعجاز البريلوي. اقتبسه إحسان إلهي. انظر: البريلوية ص ٦٩.

(٣) الاستمداد على أجيال الارتداد، للبريلوي. ٣٢ ـ ٣٣. اقتبسه إحسان إلهي. انظر: البريلوية ص ٦٨.

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الـدُّنْيَا وَضَـرَّتَهـا ومِنْ عُلُومِـكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

وكذا قول البريلوي : (إن علم اللوح وعلم القلم ، وعلم ما كان وما يكون جزءاً واحداً[1] من علوم النبي ﷺ[2].

وقوله أيضاً : «إن علومه ـ أي : النبي ﷺ ـ تتنوع إلى الجزئيات ، والكليات وحقائق ودقائق وعوارض ومعارف تتعلق بالذات والصفات وعلم اللوح والقلم إنما يكون سطراً من سطور علمه ونهراً من بحور حلمه»[3].

وهٰذا الذي قاله البريلوي ، والبوصيري قبله من الغلو المفرط إذ جعلا علم اللوح والقلم بعض علمه ﷺ.

وقد بيَّنا أن من قول أهل السنة إنه ﷺ لا يعلم الغيب وإنه لم يعلم منه إلَّا ما شاء الله أن يعلمه ، وإنه لا يعلم الغيب إلَّا الله عز وجل وأوردنا هناك الآيات الدالة على ذٰلك ، ونزيد هنا قوله ﷺ في ذٰلك : (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ؛ لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلَّا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)[4].

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : «من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه ؛ فقد كذب ، وهو يقول : (لا تدركه الأبصار) ومن حدثك أنه يعلم الغيب ؛ فقد كذب ، وهو يقول : (لا يعلم الغيب إلا الله)»[5].

---

(١) كذا . وهو خطأ نحوي والصواب الرفع .

(٢) خالص الاعتقاد ، للبريلوي ص ٣٨ ، اقتبسه إحسان إلهي . المرجع السابق ٨٧ .

(٣) خالص الاعتقاد للبريلوي ص ٣٨ . اقتبسه إحسان إلهي ، البريلوية ص ٨٧ .

(٤) خ : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . . .﴾** ١٣ / ٣٦١ ، ح ٧٣٧٩ .

(٥) المرجع السابق ، والجزء والصفحة ، ح ٧٣٨٠ .

* زعم بعضهم أنـه ﷺ نور خلق من نور الله، وليس ببشر كما يعتقد البربلوية ذلك، وغيرهم من غلاة المتصوفة.

ومن نصوصهم في ذلك قول أحمد يار البريلوي: «إن الله خلق الصورة المحمدية من نور اسمه البديع القادر، ونظر إليها باسمه القاهر، ثم تجلى عليها باسم اللطيف الغافر»[1].

ولزعيم النِّحلة البريلوية رسالة سماها «صلاة الصفا في نور المصطفى»[2].

وقد نص الله عز وجل في كتابه في غير ما آية على بشريته ﷺ، فقال جلا وعلا: ﴿قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسولاً﴾[3].

وقال في سورة الكهف آمرا نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّما أَنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ﴾.[4].

* ومن الغلو فيه ﷺ: ما يفعله كثير من الضُّلال من اتخاذ قبره عيداً بكثرة التردد إليه، واستقباله بالدعاء، والتمسح بالسياج المضروب حوله، بزعم أن في ذلك تعظيماً له ﷺ.

والحق أن تعظيمه يكمن في طاعته واتباعه، وفعل ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه، وقد نهى ﷺ أمته عن اتخاذ قبره عيداً فقال: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)[5].

---

(١) الفتاوى النعيمية ص ٣٧، اقتبسه إحسان إلهي ظهير، البريولية ص ١٠٢.

(٢) انظر: إحسان إلهي، البريلوية ص ١٠٢.

(٣) سورة الإسراء آية ٩٣.

(٤) آية ١١٠.

(٥) حم ٢ / ٣٦٧.

د: كتاب المناسك، باب زيارة القبور ٢/٥٣٤، ح ٢٠٤٢، وللحديث طرق وشواهد يبلغ =

والعيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائداً بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك[1].

وأما الدعاء عند القبر فكان السلف رحمة الله عليهم إذا سلم أحدهم على النبي ﷺ ثم أراد أن يدعو فإنه يستقبل القبلة بالدعاء، ويجعل الحجرة عن يساره[2].

●ثالثاً: ذكر قول بعض من فرَّط وقصَّر في تعظيمه ﷺ:

في مقابل تلك الصور للغلو والإفراط في تعظيم النبي ﷺ، نقف هنا أمام صور معاكسة، تنم عن جفاء وتقصير في حق النبوة والأنبياء، بعامة ونبينا ﷺ خاصة، فمن تلك الصور:

* تطاول بعض الطوائف على مقام النبوة والأنبياء بالتقليل من شأنهم، والحط من منزلتهم، وتفضيل غيرهم من أفراد الأمة عليهم.

وذلك كقول الشيعة الرافضة، بأن مقام أئمتهم فوق مقام الرسل والملائكة، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك في الفصل الرابع، وأُذَكِّرُ هنا بقول الخميني في ذلك: «. . . وإنَّ من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل. . .»[3].

ومنه تفضيل بعض غلاة الصوفية مَنْ زعموهم أولياء، على أنبياء الله ورسله.

= بها درجة الصحة. انظر: جاسم الفهيد، النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد، ص ١١٩، ح ٢٢٩.

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ٣٥١.

(٢) انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ١ / ٢٩٩.

(٣) انظر: ص ٤١٦ من هذه الرسالة.

وقالوا في ذٰلك أقوالاً شنيعة مستكرهة. كقول بعضهم: «معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب، وأوتينا ما لم تؤتوه»[1].

وقول أبي يزيد البسطامي[2]: «تا الله؛ إن لوائي، أعظم من لواء محمد ﷺ، لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين»[3].

ومنه قول بعضهم شعراً، في تفضيل مقام الولاية على مقام النبوة والرسالة:

مَقَـامُ الـنُّـبُـوةِ فـي بَرْزَخٍ فُويقَ الـرَّسُـولِ ودُونَ الـوَلِـي[4]

ومن ذٰلـك اختـراعهم لقب خاتم الأولياء مضاهاة لخاتم الأنبياء وجعله أفضل من الأنبياء: «وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي[5] وقد انتحله طائفة كل منهم يدعى أنه خاتم الأولياء... وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي ﷺ من بعض الوجوه...»[6].

●●●●●

(١) انظر: عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل ١ / ١٢٤، اقتبسه إحسان إلهي. انظر: التصوف ص ١٨٨.

(٢) أبو يزيد البسطامي هو: طيفور بن عيسى، شيخ الصوفية. قال الذهبي: «له نبأ عجيب وحال غريب، قال: وقد نقلوا عن أبي يزيد أشياء الشأن في صحتها عنه، منها سبحاني وما في الجبة إلا الله... مات سنة إحدى وستين ومائتين»، ميزان الاعتدال ٢ / ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

(٣) لطائف المنن والأخلاق للشعراني، اقتبسه إحسان إلهي، التصوف ص ١٨٨.

(٤) طبقات الشعراني ١ / ٦٨، (ط. دار العلم للجميع)، التصوف ص ١٨٨.

(٥) وهو محمد بن علي بن الحسن بن بشير الترمذي المؤذن المعروف بالحكيم، صاحب كتاب نوادر الأصول المشهور، وله كتاب ختم الولاية وعلل الشريعة، هجر بسببه في ترمذ آخر عمره. قال ابن حجر: ومما أنكر عليه أنه كان يفضل الولاية على النبوة، وقال: عاش إلى حدود العشرين وثلاثمائة، وعاش نحواً من تسعين سنة، والله أعلم. لسان الميزان ٥ / ٣٠٨ ـ ٣١٠.

(٦) ابن تيمية، الفتاوى ١١ / ٤٤٤. وانظر أيضاً: ٢٢٣.

المبحث الثاني:

في بيان وسطيتهم في باب تعظيم الصالحين

وقبل بيان ذلك يحسن أن نبيّن مَنْ هم الصالحون؟

الصلاح في اللغة: ضد الفساد[1].

وقد ورد الصلاح في القرآن الكريم لعدة معان[2]:

منها (الإيمان): كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ**﴾[3]؛ يعني: من آمن من آبائهم، وقوله: ﴿**والصَّالِحِيْنَ مِنْ عِبَادِكُمْ وإِمائِكُمْ**﴾[4]؛ يعني: المؤمنين.

ومنها (الطاعة): ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾[5]؛ يعني: أطاعوا الله...

ومنها (حسن المنزلة وعلوها): ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ في الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[6]؛ أي: من السعداء[7].

والمعاني الأخرى تدور على بعض الطاعات؛ كالأمانة والأمر بالمعروف ونحو ذلك.

---

(١) لسان العرب ٢ / ٥١٦.

(٢) الدامغاني، قاموس القرآن ٢٨٢ - ٢٨٣، وابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٣) سورة الرعد آية ٢٣.

(٤) سورة النور آية ٣٢.

(٥) سورة البقرة آية ٢٧٧.

(٦) سورة البقرة آية ١٣٠.

(٧) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١ / ٢٦٩.

وعلى هٰذا؛ فالصالحون هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات.

وأفضل الصالحين وقدوتهم هم رسل الله وأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام؛ كما وصفهم الله عز وجل بذٰلك في كتابه الكريم:

فقال عن إبراهيم عليه السلام: **﴿وَإِنَّهُ في الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾**[1].

وقال عن يحيى عليه السلام: **﴿فَنادَتْهُ المَلائِكَةُ وهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي في المِحْرابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وسَيِّداً وحَصوراً ونَبِياً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**[2].

وقال عن عيسى عليه السلام: **﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾**[3].

وقال عن إسحاق ويعقوب: **﴿ووَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ نافِلَةً وكُلًّا جَعَلْنا صَالِحِينَ﴾**[4].

وأمثال ذٰلك كثير في القرآن.

ثم يلي الأنبياء والرسل عليهم السلام أتباعهم ومن اهتدى بهديهم وعمل بما أمروا به وانتهى عما نهوا عنه.

وأفضل صالحي هٰذه الأمة بعد نبيها ﷺ، أصحابه رضوان الله عليهم، على تفاوت بينهم في ذٰلك، ثم يتلوهم الصالحون من أهل القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها الرسول ﷺ بالخيرية، ثم سائر صالحي هٰذه الأمة في كل زمان ومكان على درجاتهم في ذٰلك.

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٠.

(٢) سورة آل عمران آية ٣٩.

(٣) سورة آل عمران آية ٤٦.

(٤) سورة الأنبياء آية ٧٢.

فأما الصحابة فقد تقدم الكلام عليهم على وجه الخصوص في الفصل الرابع وبيَّنّا هناك منزلتهم ومكانتهم، وأقوال الناس فيهم، ومواقفهم منهم، وبيّنا وسطية أهل السنة والجماعة في بابهم.

وحديثنا في هٰذا الفصل سيكون عن الصالحين بوجه عام، وأقوال الناس فيهم ومواقفهم منهم.

وقد رأيت الناس في ذٰلك ثلاثة أصناف: صنف عرف للصالحين حقهم وقدرهم وقال فيهم بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وصنف أفرط في تعظيمهم، وغلا في شأنهم، فرفعهم فوق منزلتهم، وقال فيهم غير الحق.

وصنف ثالث؛ لم يعرف فضلهم، ولم يقم بحقهم فهو مقصر قال لهم.

● **فأمّا الصنف الأول: (فهم أهل السنة والجماعة):**

مذهبهم وقولهم في ذٰلك يتلخص في ما يأتي:

١) يرون موالاة الصالحين ومحبتهم، والثناء عليهم وذكر محاسنهم والدعاء لهم، فإن المؤمنين بعضهم أولياء بعض كما أخبر الحق تبارك وتعالى في قوله: **﴿والمُؤمِنونَ والمُؤمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأمُرونَ بالمَعْروفِ وَيَنْهَوْنَ عنِ المُنْكَرِ وَيُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤتُونَ الزَّكاةَ وَيُطيعُونَ اللهَ وَرَسولَهُ﴾**[1].

يقول الإمام الطحاوي مبيناً أن من عقيدة أهل السنة والجماعة محبة أهل الطاعات وموالاتهم ولا سيما أهل العلم والسنة منهم، وبغض أهل معصية الله ومجافاتهم: (ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة. . . وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخبر والأثر ـ وأهل

(١) سورة التوبة آية ٧١.

الفقه والنظر ـ لا يُذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل)[1].

٢) ويرون أن المؤمنين الصالحين المتقين، هم أولياء[2] الله الذين قال فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[3] فكل من كان تقياً كان لله ولياً، كما يقول الحافظ ابن كثير[4].

يقول الإمام الطحاوي: «والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن»[5].

فالطريق إلى ولاية الله هو الإيمان واتباع القرآن والسنة، وكل من ادعى الولاية أو رامها من غير هذا الطريق فهو على غير سبيل المؤمنين.

والمؤمنون يتفاضلون في ولاية الله تفاضلهم في الإيمان والتقوى[6].

٣) يؤمن أهل السنة بكرامات[7] الأولياء، وما يجريه الله على أيدي

---

(١) انظر: العقيدة الطحاوية بشرح ابن أبي العز ٤٣٢، ٥٥٤.

(٢) الولي: ضد العدو، كما في الصحاح ٦ / ٢٥٢٩. قال شيخ الإسلام: والولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد... وقد قيل: إن الولي سمي ولياً؛ من موالاته للطاعات؛ أي: متابعته لها، والأول أصح، الفرقان ٦.

والمراد بالولي: العالم بالله تعالى، المواضب على طاعته، المخلص في عبادته. قاله الحافظ ابن حجر، الفتح ١٣ / ٢٩٣.

وقال الشوكاني: وهذا التفسير للولي، هو المناسب لمعنى الولي المضاف إلى الرب سبحانه. قطر الولى على حديث الولي ص ٢٣٧، (بتحقيق د. إبراهيم هلال، نشر: دار إحياء التراث ـ بيروت).

(٣) سورة يونس آية ٦٢ ـ ٦٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٢١٣.

(٥) انظر: العقيدة الطحاوية، بشرح ابن أبي العز ٤٠٢، ٤٠٦.

(٦) راجع ابن تيمة، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ٣٣.

(٧) الكرامة: أمر خارق للعادة يجريه الله على يد ولي من أوليائه، والفرق بينها وبين =

الصالحين المتقين من خوارق العادات.

يقول الإمام الطحاوي: (ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم)[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات. . .)[2].

ولا تكون كرامة إلاَّ إذا أجريت على يد تقي متبع لما جاء به الرسول ﷺ، فمن كان حاله غير ذلك فما يظهر على يديه من الخوارق ليس بكرامة، وإنَّما هي أحوال شيطانية[3]، «إذ قد أجمع العلماء على أن من شرط الكرامة كونها على يد متبع للشرع المطهر»[4].

يقول الإمام الشوكاني في بيان الميزان الذي يُفرق به بين الكرامة وغيرها: (والميزان الذي لا يجور هو ميزان الكتاب والسنة، فمن كان متبعاً لهما معتمداً عليهما فكراماته وجميع أحواله رحمانية، ومن لم يتمسك بهما، ويقف عند حدودهما فأحواله شيطانية)[5].

٤) ويعتقد أهل السنة أن الصالحين والأولياء من المؤمنين غير معصومين من الذنوب، بل يجوز أن يقع منهم ما يقع من غيرهم، وأن العصمة لا تكون

= المعجزة: أن المعجزة تكون مقرونة بدعوى الرسالة بخلاف الكرامة. انظر: شرح الواسطية، للهراس ١٥٢.

(١) الطحاوية، بشرح ابن أبي العز ص ٥٥٨.

(٢) العقيدة الواسطية، بشرح الهراس ١٥١.

(٣) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمة: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ص ٤٧، (بتحقيق د. ربيع المدخلي).

(٤) انظر: عبد العزيز الرشيد، التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص ٣٣٥.

(٥) قطر الولي ص ٢٧٢.

لأحد بعد الأنبياء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «. . . أجمع جميع سلف المسلمين وأئمة الدين من جميع الطوائف: أنه ليس بعد رسول الله ﷺ أحد معصوم ولا محفوظ من الذنوب ولا من الخطايا»[1].

وقال الإمام الشوكاني: «واعلم أن أولياء الله غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين. . .»[2].

٥) ومن عقيدة أهل السنة أنهم: لا يفضلون أحداً من الأولياء والصالحين على أحد من الأنبياء بحال.

يقول الإمام الطحاوي في تقرير عقيدة أهل السنة في ذٰلك: «ولا نُفَضِّلُ أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء»[3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أولياء الله تعالى، على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء. . .»[4].

فمقام الولاية دون مقام النبوة والرسالة، عكس ما يقوله الاتحادية ـ أهل وحدة الوجود ـ وغلاة المتصوفة، الذين جعلوا مقام الولاية أعلى من مقام النبوة والرسالة، كما تقدم الإشارة إلى قولهم في ذٰلك في المبحث الأول[5].

٦) ومن عقيدة أهل السنة في الصالحين أنه لا يجوز الغلو فيهم بحال

---

(١) انظر: جامع الرسائل، (بتحقيق محمد رشاد سالم ١ / ٢٦٦).

(٢) انظر: قطر الولي ٢٤٨.

(٣) انظر: الطحاوية، بشرح ابن أبي العز ٥٥٥.

(٤) الفرقان بين أولياء الرحٰمن وأولياء الشيطان ص ٦٩

(٥) انظر: ص ٤٤٢ وما بعدها.

وأن بنـاء المساجد والقباب على قبورهم، مظهر من مظاهر الغلو فيهم وهو محرم لنهي النبي ﷺ عنه وتحذيره من مضاهاة اليهود والنصارى في ذٰلك ولعنه إياهم بسبب ذٰلك.

ففي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)(1).

وقـال ﷺ: (... ألا وإنَّ من كان قبلكم كانـوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذٰلك)(2).

وقـد أجمع العلماء على النهي عن البناء على القبور وتحريمه ووجوب هدمه لهٰذه الأحاديث الصحيحة الصريحة(3).

لأن البناء عليها؛ غلو يفضي بأهله إلى عبادة أصحاب القبور ودعائهم والاستغاثة بهم، وطلب جلب النفع ودفع الضر منهم من دون الله عز وجل.

فإنَّ الغلو في الصالحين على هٰذا النحو كان سبباً في شرك قوم نوح عليه السلام من قبل، كما أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله عز وجل: ﴿**وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**﴾(4)، أنها (أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسّخَ العلم عبدت)(5).

---

(1) تقدم تخريجه ص ٢٧٢.

(2) م: كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١ / ٣٧٧ ـ ٣٧٨، ح ٥٣٢.

(3) انظر: تيسير العزيز الحميد ٣٣٢.

(4) سورة نوح آية ٢٣.

(5) خ: كتاب التفسير، باب ﴿وداً ولا سواعاً...﴾ ٨ / ٦٦٧.

● **وأمّا الصنف الثاني: (وهم أهل الغلو والإفراط في تعظيم الصالحين):**

فهم طوائف الرفض، والتصوف، ومن شاكلهم من أهل البدع.

وقد رأينا طرفاً من غلو الرافضة في أئمتهم، كغلوهم في علي رضي الله عنه، وغيره من صالحي أهل بيته، كما تقدم لنا ذلك في الفصل الرابع [1].

ومن مظاهر غلوهم بناؤهم المشاهد على القبور والأضرحة، وجعلها عيداً تزار وتشد الرحال إليها، وجعل ذلك أفضل من مناسك الحج.

وزعموا أنَّ أبا عبد الله [2] قال: (من أتى قبر الحسين ـ عليه السلام ـ عارفاً بحقه، كان كمن حج مائة حجة مع رسول الله صلى الله عليه وآله) [3].

وأما ضلال الصوفية، فلهم غلو في بعض من زعموا ولايتهم وصلاحهم، يضاهي غلو الشيعة في أئمتهم إن لم يكن هو هو، فبين التصوف والتشيع نسب وسبب.

ومن غلوهم في أوليائهم ما أشرنا إليه في المبحث الأول من تفضيلهم الولي على النبي، وجعل منزلة الولاية فوق منزلة النبوة والرسالة [4].

وقولهم بختم الولاية، مضاهاةً لختم النبوة.

وأما غلوهم في القبور، وبناء المساجد عليها وتزيينها بالستائر والسرج وغير ذلك، فهو من الأمور اللازمة لوجودهم في كل عصر ومصر وقد أجروا عليها،

---

(١) انظر: ص ٤١٢ وما بعدها.

(٢) وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المعروف بالصادق ت ١٤٨هـ. انظر: الحلية ٣ / ١٩٢ والتقريب ١ / ١٣٢.

(٣) بحار الأنوار، لمحمد باقر المجلسي ٩٨ / ٣٤، ومستدرك الوسائل، لميرزا حسين النوري الطبرسي ١٠ / ٢٧٤، انظر: الرافضة وتفضيل زيارة قبر الحسين على حج بيت الله الحرام، لعبد المنعم السامرائي ص ١٠٨.

(٤) انظر ص: ٤٤٢ ـ ٤٤٣.

الأوقاف، والصدقات.

يقول الإمام الشوكاني: «تكاثرت الأوقاف على القبور وبلغت مبلغاً عظيماً، حتى بلغت غلات ما يوقف على المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه، ما يقتاته أهل قرية كبيرة من قرى المسلمين، ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة أغنى الله بها طائفة عظيمة من الفقراء، وكلها من النذر في معصية الله...»[1].

● **وأمّا الصنف الثالث (وهم الذين قصَّروا وفرّطوا في هٰذا الباب):**

فمنهم:

كل من أنكر أو نفى شيئاً مما ثبت لهم، كقول المعتزلة والجهمية بنفي كرامات الأولياء، بحجة أنه لو جاز ظهور الخوارق على أيديهم لالتبس النبي بغيره، إذ الفرق بين النبي وغيره هو المعجزة التي هي الخارق للعادة.

قال ابن أبي العز في الجواب عن شبهتهم هٰذه: «وهٰذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة، وهٰذا لا يقع، ولو ادعى النبوة لم يكن ولياً، بل كان متنبياً كذاباً...»[2].

واعلم أنَّ أهل التصوف، قد فرّطوا في حق الصالحين أيضاً من وجوه.

الوجه الأول: أنهم جعلوا من ليس بصالح صالحاً، ومن ليس بولي ولياً، فقصروا في حق الأولياء، الأتقياء المتبعين للشرع، وأفرطوا في حق من زعموهم أولياء ممن هو تارك للصلوات مرتكب للمحرمات.

الوجه الثاني: على فرض أن من غلو فيه كان صالحاً تقياً، فإنهم في الواقع يُعدُّون مفرطين مقصرين، إذ لم يقتدوا به في صلاحه وتقواه والسير على

(١) انظر: شفاء الصدور في تحريم رفع القبور، ضمن مجموع الرسائل المنيرية ١ / ٧٣.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ٥٦٣.

نهجـه، وقالوا فيه ما لم يأمر به ولم يرضه، فإن الصالحين المتبِعين لا يقرون الغلاة فيهم على ما يظهرون فيهم من الغلو والإطراء.

الوجه الثالث: أنهم لو اتبعوا الصالحين على ما كانوا عليه من الهدى، وما دعوا إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له، لحصل لهم الهداية والنجاة ولحصل لأولئك الصالحين الذين كانوا سبباً في هدايتهم الأجر والثواب.

فلما خالفوهم، ولم يهتدوا، انقطع ثواب الصالحين الذي كان يحصل بتوحيد هٰؤلاء وطاعتهم[1].

وهٰكذا يكون هٰؤلاء قد جمعوا بين الغلو والتقصير، نعوذ بالله من الخذلان وسوء المصير.

●●●●●

(١) انظر: ابن تيمية، الاستغاثة ٣٠٧.



خاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته وتوفيقه تتم الصالحات. . . وبعد:

في ختام عملي في هٰذه الرسالة، أود أن أذكِّر بأهم ما عالجته من مسائل ومباحث، وما خلصتُ إليه فيها من نتائج، ونظراً لسعة موضوع الرسالة وتعدد مباحثها، فإني سأكتفي بعرض ذٰلك باقتضاب. على النحو التالي:

* تبين لي في «معنى السنة»: أن المراد بها في إطلاق السلف: موافقة الكتـاب والسنـة، وخـاصـة في مسائل الاعتقاد، ولذٰلك سموا مصنفاتهم في العقيدة باسم «السنة».

* كمـا تبين لي أن مصـطلح «أهل السنة» مصطلح قديم معروف عند السلف ابتداء من عصر الصحابة رضوان الله عليهم، كما ورد استعمال ذٰلك في كلام ابن عباس، وفي ذٰلك رد على من ادعى أن ذٰلك أول ما أطلق على الأشاعرة.

* كما تبين لي أن دعوى الأشاعرة أنهم هم أهل سنة دعوى عريضة فيها نظر؛ لأن اعتمادهم على العقل في أمور الاعتقاد وتقديمه على النقل وردهم لكثير من نصوص السنة بمقتضاه يقعد بهم عن ذٰلك.

* أن الطريق لمعرفة السنة والقول بها، هو النقل، والاتباع لا غير، وأنها

لا تدرك بالعقول.

* كما أثبت في هٰذه الرسالة أن أهل السنة هم أهل الجماعة، وهم الفرقة الناجية، وهم الطائفة المنصورة دون غيرهم من سائر الفرق.

* كما بينت جواز إطلاق السلف والسلفية على أهل السنة، وصحة التلقب بذٰلك، وتهافت كلام من عد ذٰلك من البدع.

* بينت حقد أهل البدع على أهل السنة، ونبزهم بالألقاب الشنيعة، وذكرت نصوصهم في ذٰلك من كتبهم ومصنفاتهم وما نقله الثقات من أقوالهم، وبينت أن أهل السنة لا يلحقهم شيء من تلك الألقاب.

* كما أثبت: أن هٰذه الأمة المحمدية هي: الأمة الوسط بين الأمم، وأن في إثبات وسطيتها إثباتاً لوسطية أهل السنة.

* أثبت في هٰذه الرسالة أن الأمة المحمدية أعدل الأمم بشهادة الله لها بذٰلك، وشهادة أعدائها أيضاً.

* كما أثبت مبلغ جور أمتي اليهود والنصارى، وظلمهم وبعدهم عن العدل فيما بينهم وفيما بينهم وبين الأمم الأخرى.

* وأثبت أن هٰذه الأمة المحمدية هي خير الأمم وأوضحت ذٰلك من أوجه متعددة.

* كما بينت مبلغ توسط هٰذه الأمة واعتدال أقوالها بين طرفي الإفراط والتفريط.

* أثبت أن كلاً من اليهود والنصارى لديهم إفراط وتفريط، وغلو وجفاء ويظهر ذٰلك في باب توحيد الله، وباب أنبياء الله ورسله وغير ذٰلك من الأبواب، ودللت على ذٰلك من كتبهم المقدسة عندهم.

* كما أثبت أن أهل السنة أوسط فرق هٰذه الأمة، وأنهم بين هٰذه الفرق

كهٰذه الأمة بين الأمم في الاعتدال والتوسط والفضل.

* فأثبت وسطيتهم في باب الأسماء والصفات واعتدال قولهم واعتقادهم في ذٰلك بين طرفي الإفراط والتفريط وهم المعطلة والمشبهة.

* وبينت وسطيتهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد بين المرجئة والوعيدية من الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم.

* وأثبت أنهم أهل توسط واعتدال في باب الإيمان بالقضاء والقدر، بين: الجبرية الذين يسلبون العبد اختياره ومسئوليته عن أفعاله، وبين القدرية الذين يجوزون أن يقع في ملك الله ما لا يريده ويقدره.

* وبينت وسطيتهم واعتدالهم في باب أصحاب رسول الله ﷺ وسلامة أقوالهم من الوقيعة فيهم أو الإزراء بهم.

* أثبت مبلغ جفاء الرافضة والخوارج لأصحاب رسول الله ﷺ وسوء اعتقادهم وأقوالهم فيهم.

* بينت مذهب أئمة المعتزلة في هٰذا الباب، وسوء قولهم واعتقادهم في طوائف من الصحابة.

* كما بينت وسطية قول أهل السنة وحسن اعتقادهم في باب تعظيم رسول الله ﷺ والصالحين من أمته، وأنهم وسط في ذٰلك بين غلو وتفريط وتقصير أهل البدع من المتصوفة ومن شاكلهم.

هٰذه أهم المباحث التي عرضت لها في هٰذه الرسالة، والنتائج التي انتهيت إليها فيها، فإن وفقت وأصبت فبفضل الله وتوفيقه، وإن أخطأت وزللت فمن نفسي، وأستغفر الله لذنبي، وحسبي أني اجتهدت في ذٰلك. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



الفهارس

- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة .
- فهرس الأحاديث النبوية والآثار .
- فهرس الفرق والطوائف .
- فهرس الموضوعات .



فهرس المصادر والمراجع

(أ)

١ - «**أبو نعيم؛ حياته وكتابه الحلية**»: محمد لطفي الصباغ، الطبعة الثانية، نشر دار الاعتصام، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٢ - «**إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**»: محمد الحسيني الزبيدي، نشر دار الفكر.

٣ - «**الإحكام في أصول الأحكام**»: علي بن محمد الآمدي، بتعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٢هـ.

٤ - «**أخبار عمرو بن عبيد**»: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، مخطوط بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم (٤٨٨).

٥ - «**آرء الخوارج الكلامية**»: د. عمار طالبي، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٦ - «**الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**»: الجويني - بتحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد طبعة مطبعة السعادة، نشر مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م.

٧ - «**أركان الإيمان**»: وهبي سليمان غاوجي الألباني، الطبعة الأولى، نشر مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

٨ ـ «**أسباب ظهور الفرق الإسلامية**»: عبد الله الغنيمان. مقال منشور في مجلة كلية أصول الدين، عدد ١٣٩٩هـ / ١٤٠٠هـ.

٩ ـ «**الاستقامة**»: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم. تحقيق د. محمد رشاد سالم. الطبعة الأولى. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

١٠ ـ «**الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**»: د. علي عبد الواحد وافي، نشر دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

١١ ـ «**الأسماء والصفات**»: البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

١٢ ـ «**إسلام بلا مذاهب**»: د. مصطفى الشكعة، طبعة شركة ومطبعة مصطفى الحلبي، بمصر، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

١٣ ـ «**الإصابة في تمييز الصحابة**»: ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، نشر دار الفكر ـ بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

١٤ ـ «**أصل الشيعة وأصولها**»: د. محمد الحسين آل كاشف الغطاء، الطبعة العاشرة طبعة مكتبة العرفان ـ بيروت.

١٥ ـ «**أصول الدين**»: البغدادي: عبد القاهر بن طاهر التميمي، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ مصور عن طبعة استانبول، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م.

١٦ ـ «**أصول السرخسي**»: أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق أبي الوفاء الأفغاني، طبعة مطابع دار الكتاب العربي، نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدرآباد الدكن بالهند، ١٣٧٢هـ.

١٧ ـ «**أصول السنة**»: الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين، بتحقيق محمد إبراهيم هارون على الألة الكاتبة، رسالة ماجستير، ١٤٠٣هـ / ١٤٠٤هـ.

١٨ ـ «**أضواء البيان**»: الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مطبعة المدني، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م.

١٩ ـ «**الاعتصام**»: الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد، بتعريف السيد محمد رشيد رضا، نشر دار المعرفة ـ بيروت، **١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م**.

٢٠ ـ «**اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**»: الرازي: محمد بن عمر بن الحسين. بمراجعة وتحرير علي سامي النشار، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت، **١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م**.

٢١ ـ «**الأعلام**»: للزركلي: خير الدين، الطبعة الثالثة.

٢٢ ـ «**اعلام الموقعين عن رب العالمين**»: ابن القيم: محمد بن أبي بكر، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل، نشر دار الكتب الحديثة، **١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م**.

٢٣ ـ «**إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**»: ابن القيم: محمد بن أبي بكر، بتحقيق محمد سيد كيلاني، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر، **١٣٨١هـ / ١٩٦١م**.

٢٤ ـ «**الاقتصاد في الاعتقاد**»: الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت **١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م**.

٢٥ ـ «**اقتضاء الصراط المستقيم**»: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، تحقيق د. ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى **١٤٠٤هـ**.

٢٦ ـ «**الجام العوام عن علم الكلام**»: الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، بتحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الأولى، نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت **١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م**.

٢٧ ـ «**أم البراهين**»: السنوسي: محمد بن يوسف، ضمن مجموع مهمات المتون، الطبعة الرابعة، نشر مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي **١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م**.

٢٨ ـ «**الإمام ابن تيمية وقضية التأويل**»: د. محمد السيد الجليند، الطبعة الثالثة، نشر شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع **١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م**.

٢٩ ـ «**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، بتحقيق د. صلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى، نشر دار الكتاب الجديد ـ بيروت **١٣٩٦هـ**

/ ١٩٧٦م.

٣٠ ـ «**الانتصار لأهل الحديث**»: السمعاني: أبو المظفر منصور بن أحمد، تعليق علي سامي النشار، ضمن كتاب صون المنطق والكلام للسيوطي، نشر مكتبة الباز ـ مكة.

٣١ ـ «**الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد**»: الخياط: أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد، بتحقيق د. البير نصري نادر، نشر المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٥٧م.

٣٢ ـ «**الأنساب**»: السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد، الطبعة الأولى، نشر دار الجنان، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨.

٣٣ ـ «**الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**»: الباقلاني: أبو بكر بن الطيب، تحقيق محمد زاهد الكوثري الطبعة الثانية، نشر مؤسسة الخانجي ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م.

٣٤ ـ «**أنيس الفقهاء**»: قاسم القونوي، بتحقيق د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي، الطبعة الأولى، نشر دار الوفاء ـ جدة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٣٥ ـ «**الإيمان**»: أبو عبيد القاسم بن سلام، بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ضمن كتاب «من كنوز السنة رسائل أربع»، نشر المطبعة العمومية ـ دمشق.

٣٦ ـ «**الإيمان بين السلف والمتكلمين**»: أحمد بن عطية الغامدي، رسالة ماجستير مطبوع على الآلة الكاتبة ١٣٩٧هـ.

(ب)

٣٧ ـ «**الباعث على إنكار البدع والحوادث**»: أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، الطبعة الثانية مطبعة لنهضة الحديثة ـ مكة ١٤٠١هـ.

٣٨ ـ «**البداية والنهاية**»: ابن كثير: أبو الفداء الحافظ ابن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملح ورفاقه، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٣٩ ـ «**البدء والتاريخ**»: المقدسي: مطهر بن طاهر، نشر مؤسسة الخانجي ـ مصر.

٤٠ ـ «**البدع والنهي عنها**»: ابن وضاح: محمد بن وضاح، تحقيق محمد أحمد دهمان، الطبعة الثانية، نشر دار البصائر ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٤١ - **«البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان»**: السكسكي: أبو الفضل عباس بن منصور، تحقيق د. بسام علي سلامة العموش، الطبعة الأولى، نشر مكتبة المنار - الأردن ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٤٢ - **«البريلوية عقائد وتاريخ»**: إحسان إلهي ظهير، الطبعة الثانية، نشر إدارة ترجمان السنة - لاهور ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٤٣ - **«البيان لأخطاء بعض الكتاب»**: د. صالح بن فوزان الفوزان، ط. الأولى ١٤١١هـ، نشر دار ابن الجوزي.

٤٤ - **«بيان تلبيس الجهمية»**: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، تصحيح وتعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ط. الأولى، نشر مطبعة الحكومة - مكة المكرمة.

٤٥ - **«بيان المحجة في الرد على اللجة»**: عبد الرحمن بن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ضمن مجموع الرسائل والمسائل النجدية، ط: الثانية، نشر مكتبة الشافعي - الرياض ١٤٠٨هـ.

٤٦ - **«بين المسيحية والإسلام»**: أبو عبد الله الخزرجي، بتحقيق وتعليق د. محمد شامة، ط. مطبعة المدني - القاهرة، نشر مكتبة وهبة.

(ت)

٤٧ - **« تاريخ الأمم والملوك»**: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان - بيروت.

٤٨ - **«تاريخ بغداد»**: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، بتصحيح السيد محمد سيد العرفي، نشر دار الكتاب العربي - بيروت.

٤٩ - **«تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم»**: محمد عزه دروزة، نشر المكتبة العصرية - بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

٥٠ - **«تاريخ التراث العربي»**: فؤاد سزكين، نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي ود. فهمي أبو الفضل، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧.

٥١ - **«تاريخ الجهمية والمعتزلة»**: جمال الدين القاسمي الدمشقي، الطبعة الثانية، نشر

مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٥٢ ـ «**تاريخ الحروب الصليبية**» : ستيفن ـ رنسمان، ترجمة د. السيد الباز العريني، الطبعة الأولى، نشر دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٧ .

٥٣ ـ «**تاريخ المذاهب الإسلامية**» : محمد أبو زهرة، نشر دار الفكر العربي .

٥٤ ـ «**التبصير في الدين**» : الإسفراييني : أبو المظفر طاهر بن محمد، تحقيق كمال يوسف الحوت، نشر عالم الكتب ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٥٥ ـ «**تبيين كذب المفتري**» : ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، الطبعة الثانية، نشر دار الفكر ١٣٩٩هـ .

٥٦ ـ «**تحرير المقالة من شرح الرسالة**» : مخطوط بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تحت رقم (٦٠٤) .

٥٧ ـ «**تحرير الوسيلة**» : الخميني، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ .

٥٨ ـ «**التحف في مذاهب السلف**» : الشوكاني : محمد بن علي بن محمد. طبعة مطبعة المدني، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٥٩ ـ «**تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**» : البيجوري : إبراهيم بن محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٦٠ ـ «**تدريب الراوي**» : السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق د. أحمد عمر هاشم. الطبعة الأولى، نشر دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٦١ ـ «**التدمرية**» : ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم، تحقيق محمد بن عودة السعوي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٦٢ ـ «**تذكرة الحفاظ**» : الذهبي : أبو عبد الله شمس الدين، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٦٣ ـ «**التسعينية**» : ضمن المجلد الخامس من الفتاوى الكبرى، ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم، طبعة كردستان العلمية، بالقاهرة ١٣٢٩هـ .

٦٤ ـ «**التصوف المنشأ والمصادر**» : إحسان إلهي ظهير، الطبعة الأولى . نشر إدارة ترجمان السنة ـ لاهور ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٦٥ ـ «**التعريفات**» : علي بن محمد الجرجاني ، الطبعة الأولى ، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٣هـ .

٦٦ ـ «**تفسير أبي السعود**» المسمى «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**» : أبو السعود: محمد بن محمد العمادي ت ٩٥١، نشر دار المصحف ـ القاهرة .

٦٧ ـ «**تفسير القرآن العظيم**» : ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا ، طبعة مطبعة الشعب ـ القاهرة .

٦٨ ـ «**التفسير الكبير**» : الرازي : فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر، الطبعة الثالثة ، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٦٩ ـ «**تفسير المنار**» : محمد رشيد رضا ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ـ بيروت .

٧٠ ـ «**التفكير الفلسفي في الإسلام**» : د. عبد الحليم محمود، الطبعة الثالثة ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م .

٧١ ـ «**تقريب التهذيب**» : ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، نشر مكتبة محمد سلطان النمنكاني ، المدينة المنورة .

٧٢ ـ «**التلمود تاريخه وتعاليمه**» : ظفر الإسلام خان ، الطبعة الثانية ، نشر دار النفائس ١٩٧٢م .

٧٣ ـ «**التمهيد**» : الباقلاني : محمد بن الطيب بن الباقلاني ، صححه الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي ، نشر المكتبة الشرفية ـ بيروت ١٩٥٧م .

٧٤ ـ «**التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**» : الملطي : أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ، بتعليق محمد زاهد الكوثري ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

٧٥ ـ «**التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية**» : الرشيد : عبد العزيز الناصر، طبعة : دار الأصفهاني بجدة ، نشر دار الرشيد للنشر والتوزيع .

٧٦ ـ «**التنبيهات اللطيفة**» : الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي .

٧٧ ـ «**تنبيهات هامة على ما كتبه محمد بن علي الصابوني**»: **في صفات الله عز وجل**، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الطبعة الأولى، نشر الدار السلفية، الكويت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٧٨ ـ «**تهذيب الآثار**»: الطبري: محمد بن جرير، تحقيق د. ناصر سعد الرشيد وعبد القيوم عبد رب النبي، طبعة مطابع الصفا ـ مكة ١٤٠٢هـ.

٧٩ ـ «**تهذيب الأسماء واللغات**»: أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٨٠ ـ «**تهذيب التهذيب**»: ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، الطبعة الأولى، طبعة مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ١٣٢٥هـ، نشر دار صادر.

٨١ ـ «**تهذيب سنن أبي داود**»: ابن القيم: محمد بن أبي بكر، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد فقي، نشر دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٨٢ ـ «**التوراة تاريخها وغاياتها**»: ترجمة وتعليق سهيل ديب، الطبعة الثانية، نشر دار النفائس ـ بيروت ١٣٩٧هـ ١٩٧٧هـ.

٨٣ ـ «**التوسل أنواعه وأحكامه**»: ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

٨٤ ـ «**التيجانية**»: علي بن محمد الدخيل الله. طبعة دار مصر للطباعة، نشر دار طيبة ـ الرياض.

٨٥ ـ «**تيسير العزيز الحميد**»: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الطبعة السادسة، نشر المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(ث)

٨٦ ـ «**الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني**»: جمع وتحقيق الشيخ صالح عبد السميع الأزهري، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(ج)

٨٧ ـ «**جامع بيان العلم وفضله**»: ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد البر، الطبعة الثانية، نشر المكتبة السلفية بالمدينة لمنورة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

٨٨ ـ «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**»: الطبري: محمد بن جرير، تحقيق وتعليق محمد محمود شاكر، نشر دار المعارف بمصر.

٨٩ ـ «**جامع العلوم والحكم**»: ابن رجب الحنبلي: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين نشر دار المعارف ـ بيروت.

٩٠ ـ «**الجامع لأحكام القرآن**»: القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٩١ ـ «**الجامع لشعب الإيمان**»: البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين، الطبعة الأولى، نشر الدار السلفية ـ بومباي ـ الهند ١٤٠٨هـ.

٩٢ ـ «**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**»: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، نشر مطابع المجد التجارية.

(ح)

٩٣ ـ «**حاشية العدوى على شرح الحسن لرسالة ابن أبي زيد**»: للشيخ علي الصعيدي العدوي، ط. دار إحياء الكتب.

٩٤ ـ «**الحديث والمحدثون**»: محمد محمد أبو زهو، نشر دار الكتاب العربي ١٤٠٤هـ.

٩٥ ـ «**حلية الأولياء**»: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(خ)

٩٦ ـ «**الخطط المقريزية**»: المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، نشر دار صادر ـ بيروت.

٩٧ ـ «**خلق أفعال العباد**»: البخاري: محمد بن إسماعيل، الطبعة الأولى، نشر مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

(د)

٩٨ ـ «**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**»: السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين، الطبعة

الأولى، نشر دار الفكر ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٩٩ ـ **«درء تعارض العقل والنقل»**: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، تحقيق د. محمد رشاد سالم الطبعة الأولى، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

١٠٠ ـ **«الدعوة إلى الإسلام»**: سيرتوماس، ترجمة الأستاذ حسن إبراهيم حسن وزملائه، الطبعة الثانية، نشر مكتبة النهضة ١٩٥٧م.

١٠١ ـ **«دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»**: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، نشر مطبعة المدني بمصر ١٣٨٦هـ.

١٠٢ ـ **«دلائل النبوة»**: البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين، تخريج وتعليق د. عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٠٣ ـ **«الديباج المذهب»**: ابن فرحون أبو إسحاق إبراهيم بن علي، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، نشر دار التراث ـ القاهرة.

(ر)

١٠٤ ـ **«الرد على الجهمية»**: عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق بدر البدر، الطبعة الأولى، نشر الدرا السلفية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٠٥ ـ **«الرد على الجهمية والزنادقة»**: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق عبد الرحمن عميره، نشر دار اللواء ـ الرياض ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

١٠٦ ـ **«الرد على من أنكر الحرف والصوت»**: عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوايلي، تحقيق محمد باكريم، الطبعة الأولى، نشر مركز البحث وإحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية ١٤١٣.

١٠٧ ـ **«الرد على المنطقيين»**: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، الطبعة الثانية، نشر إدارة ترجمان السنة ـ لاهور ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

١٠٨ ـ **«الرسالة»**: ابن أبي زيد القيرواني، مع شرحها الثمر الداني، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠٩ ـ «**الرسائل ـ رسالة في التقية**»: الخميني، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر ١٣٨٥هـ.

١١٠ ـ «**الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم**»: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوزير، طبعة دار المعرفة ـ بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(ز)

١١١ ـ «**زاد المسير في علم التفسير**»: ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي، تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله، الطبعة الأولى، نشر دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

(س)

١١٢ ـ «**سلسلة الأحاديث الصحيحة**»: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

١١٣ ـ «**السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي**»: د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ـ دمشق، الطبقة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١١٤ ـ «**سنن ابن ماجه**»: الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ٢١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

١١٥ ـ «**سنن أبي داود**»: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق عزت عبيد الدعاس الطبعة الأولى، نشر وتوزيع محمد علي السيد ـ حمص ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

١١٦ ـ «**سنن الترمذي**» «**جامع الترمذي**»: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي.

١١٧ ـ «**السنن الكبرى**»: البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين، دار الفكر.

١١٨ ـ «**السنة**»: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ضمن مجموع مع كتاب الرد على الجهمية، مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ مصر.

١١٩ ـ «**السنة**»: أبو بكر عمرو بن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني المكتب

الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٢٠ - «**السنة**»: أحمد بن محمد بن هارون بن الخلال، تحقيق عطية بن عتيق الزهراني، رسالة دكتوراه، مطبوع على الآلة الكاتبة ١٤٠٦هـ.

١٢١ - «**السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**»: د. مصطفى السباعي، الطبعة الثالثة، نشر المكتب الإسلامي ١٣٩٦هـ.

١٢٢ - «**سير أعلام النبلاء**»: الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية، نشر مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

١٢٣ - «**سيرة النبي ﷺ**»: ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق مصطفى السقا وزملائه، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ.

١٢٤ - «**السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل**»: علي بن عبد الكافي السبكي، الطبعة الأولى، نشر مطبعة السعادة - مصر ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.

(ش)

١٢٥ - «**الشامل في أصول الدين**»: الجويني أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله إمام الحرمين، تحقيق د. علي سامي النشار وفيصل بدير عون وسهير محمد مختار، نشر: منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٦٩م.

١٢٦ - «**شذارت الذهبي في أخبار من ذهب**»: أبو الفرج عبد الحي بن العماد الحنبلي، نشر دار الأفاق الجديدة - بيروت.

١٢٧ - «**الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة**»: عبيد الله بن بطة العكبري. تحقيق د. رضا بن نعسان معطي، نشر المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٢٨ - «**شرح أصول اعتقاد أهل السنة**»: اللالكائي: أبو القاسم هبة الله بن الحسين، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة - الرياض.

١٢٩ - «**شرح الأصول الخمسة**»: عبد الجبار بن أحمد، تحقيق د. عبد الكريم عثمان، الطبعة الأولى. نشر مكتبة وهبة. القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م.

١٣٠ ـ «**شرح السنة**»: الإمام البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود. تحقيق شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي.

١٣١ ـ «**شرح صحيح مسلم**»: الإمام النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٣٢ ـ «**شرح الصدور في تحريم رفع القبور**»: الشوكاني: محمد بن علي، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٤٣هـ، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٣٣ ـ «**شرح العقيدة الأصفهانية**»: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، تقديم حسنين محمد مخلوف، نشر دار الكتب الحديثة ـ مصر.

١٣٤ ـ «**شرح العقيدة الطحاوية**»: ابن أبي العز علي بن محمد، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، نشر المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ.

١٣٥ ـ «**شرح القصيدة النونية**»: ابن القيم، شرح وتحقيق د. محمد خليل هراس ط. الفاروق الحديثة ـ مصر.

١٣٦ ـ «**شرح الكوكب المنير**»: ابن النجار: محمد بن أحمد. تحقيق د. محمد الزحيلي، ود. نزيه حماد، طبع: دار الفكر ـ دمشق، نشر جامعة الملك عبد العزيز ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

١٣٧ ـ «**شرف أصحاب الحديث**»: الخطيب البغدادي، تحقيق د. محمد سعيد خطيب أوغلي، نشر دار إحياء السنة النبوية.

١٣٨ ـ «**الشريعة**»: الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٣٩ ـ «**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**»: القاضي عياض اليحصبي، نشر دار الفكر ـ بيروت.

١٤٠ ـ «**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**»: ابن القيم، نشر دار المعرفة ـ بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

(ص)

١٤١ ـ **«الصحاح»**: الجوهري: إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

١٤٢ ـ **«صحيح البخاري»**: البخاري: محمد بن إسماعيل، مع الفتح، نشر المطبعة السلفية ١٣٩٨٠هـ.

١٤٣ ـ **«صحيح سنن الترمذي»**: الألباني: محمد ناصر الدين، الطبعة الأولى، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ه / ١٩٨٨م.

١٤٤ ـ **«صحيح سنن ابن ماجه»**: الألباني: محمد ناصر الدين، الطبعة الثالثة، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١٤٥ ـ **«صحيح مسلم»**: أبو الحسين: مسلم بن الحجاج، بترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٤٦ ـ **«صريح السنة»**: الطبري: محمد بن جرير، تحقيق بدر بن يوسف المعتوق، الطبعة الأولى، نشر دار الخلفاء ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٤٧ ـ **«الصفدية»**: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، تحقيق د. محمد رشاد سالم الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

١٤٨ ـ **«صون المنطق والكلام»**: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، نشر مكتبة الباز ـ مكة.

(ض)

١٤٩ ـ **«ضعيف الجامع الصغير وزياداته»**: الألباني: محمد ناصر الدين، نشر المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(ط)

١٥٠ ـ **«طبقات الحنابلة»**: أبو الحسين محمد بن أبي يعلي، نشر دار المعرفة ـ بيروت.

١٥١ ـ **«طبقات الشافعية»**: الحسيني: أبو بكر بن هداية الله، تحقيق عادل نويهض،

الطبعة الثالثة، نشر دار الآفاق الجديدة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

١٥٢ ـ **«طبقات الشافعية الكبرى»**: السبكي: عبد الوهاب بن علي، تحقيق محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، ط. الأولى ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.

١٥٣ ـ **«طبقات الفقهاء من الشافعية»**: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مخطوط بمكتبة الشيخ حماد الأنصاري.

١٥٤ ـ **«الطبقات الكبرى»**: ابن سعد: محمد، نشر دار صادر ـ بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(ظ)

١٥٥ ـ **«ظهر الإسلام»**: أحمد أمين، الطبعة الخامسة، نشر دار الكتاب العربي.

(ع)

١٥٦ ـ **«عشرون حديثاً من صحيح البخاري»**: العباد: عبد المحسن بن حمد، الطبعة الأولى، نشر المطبعة السلفية ١٣٩٠هـ.

١٥٧ ـ **«عشرون حديثاً من صحيح مسلم»**: العباد: عبد المحسن بن حمد، الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٣٩١هـ.

١٥٨ ـ **«عقيدة أهل السنة والجماعة (الطحاوية)»**: الطحاوي، تعليق ابن مانع، نشر مكتبة دار المطبوعات.

١٥٩ ـ **«عقيدة التوحيد في فتح الباري»**: أحمد عصام الكاتب، الطبعة الأولى، نشر دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٤٠٣هـ.

١٦٠ ـ **«عقيدة السلف أصحاب الحديث»**: الصابوني: أبو إسماعيل عبد الرحمن بن إسماعيل، تحقيق بدر البدر، الطبعة الأولى، نشر الدار السلفية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٦١ ـ **«العقيدة الطحاوية»**: تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز، ط. مكتبة الصديق.

١٦٢ ـ **«العقيدة النظامية»**: الجويني: أبو المعالي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا،

الطبعة الأولى، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

١٦٣ ـ **«العقيدة الواسطية»**: صالح الفوزان، الطبعة الرابعة، نشر مكتبة المعارف ـ الرياض ١٤٠٧هـ.

١٦٤ ـ **«العقيدة الواسطية»**: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، بشرح الهراس، الطبعة الثالثة.

١٦٥ ـ **«علماء نجد»**: البسام: عبد الله بن عبد الرحمن، الطبعة الأولى، نشر مكتبة ومطبعة النهضة بمكة ١٣٩٨هـ.

١٦٦ ـ **«العلو للعلي الغفار»**: الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد، تقديم وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

١٦٧ ـ **«عمدة التفسير»**: أبو الفداء: إسماعيل ابن كثير، اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر، نشر دار المعارف بمصر ١٩٥٦م.

١٦٨ ـ **«عمل اليوم والليلة»**: النسائي: إسماعيل ابن كثير، اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر نشر: دار المعارف بمصر ١٩٥٦م.

١٦٩ ـ **«العين والأثر في عقائد أهل الأثر»**: المواهبي: عبد الباقي الحنبلي، تحقيق وتعليق عصام رواس قلعجي نشر دار المأمون للتراث الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(غ)

١٧٠ ـ **«غاية المرام في علم الكلام»**: الآمدي: سيف الدين، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، طبعة القاهرة، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٩١هـ.

١٧١ ـ **«غريب الحديث»**: الهروي: أبو عبيد القاسم بن سلام، الطبعة الأولى، طبعة مصورة عن طبعة دار المعارف العثمانية حيدرآباد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٦هـ.

١٧٢ ـ **«الغنية لطالبي طريق الحق»**: الجيلاني: عبد القادر، الطبعة الثالثة. نشر شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ـ مصر. ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.

(ف)

١٧٣ ـ **«الفائق في غريب الحديث»**: الزمخشري: جار الله محمود بن عمر، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، نشر دار الفكر ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

١٧٤ ـ **«الفتاوى»**: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، نشر مكتبة المعارف بالرياض.

١٧٥ ـ **«فتاوى ابن الصلاح»**: ابن الصلاح: تقي الدين أبو عمرو عثمان، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى، نشر دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

١٧٦ ـ **«الفتاوى الكبرى»**: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم طبعة كردستان العلمية ١٣٢٩هـ.

١٧٧ ـ **«فتح الباري شرح صحيح البخاري»**: ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، بتحقيق وتصحيح الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، نشر المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ١٣٨٠هـ.

١٧٨ ـ **«فتح رب البرية بتلخيص الحموية»**: ضمن مجموع رسائل في العقيدة، ابن عثيمين: محمد بن صالح، الطبعة الأولى، نشر دار طيبة ـ الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

١٧٩ ـ **«فتح القدير»**: محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الثانية، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.

١٨٠ ـ **«الفتح المبين بالرد على نقد عبد الله الغماري لكتاب الأربعين»**: د. علي بن محمد بن ناصر فقيهي، الطبعة الأولى، مطابع الرشيد ١٤٠٨هـ.

١٨١ ـ **«فتح المجيد»**: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، طبع مطبعة المشهد الحسيني ـ القاهرة ١٣٨٦هـ.

١٨٢ ـ «**فتوح البلدان**»: البلاذري: أبو الحسن، تعليق ومراجعة رضوان محمد رضوان، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٨٣ ـ «**فتوح مصر والمغرب**»: ابن عبد الحكم، تحقيق عبد المنعم عامر، نشر لجنة البيان العربي بمصر.

١٨٤ ـ «**الفتوى الحموية الكبرى**»: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم. طبعة مطبعة المدني، نشر مؤسسة عبد الفتاح المدني ـ جدة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٨٥ ـ «**الفرق بين الفرق**»: البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر دار المعرفة ـ بيروت.

١٨٦ ـ «**الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**»: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، الطبعة الخامسة، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠١هـ.

١٨٧ ـ «**فرق الشيعة**»: النوبختي: أبو محمد الحسن بن موسى، تصحيح هـ. ريتر. طبعة الدولة، استانبول ١٩٣١م.

١٨٨ ـ «**الفصل في الملل والأهواء والنحل**»: ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد، الطبعة الثانية، نشر دار المعرفة ـ بيروت ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

١٨٩ ـ «**فضائل القرآن**»: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، طبعة مكتب مشرف لطباعة الأوفست طنطا، نشر مكتبة الصحابة.

١٩٠ ـ «**فضح التلمود**»: آي. بي. براناتيس. إعداد زهدي الفاتح، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

١٩١ ـ «**فضل علم السلف على علم الخلف**»: ابن رجب الحنبلي. تحقيق يحيى مختار غزاوي، الطبعة الأولى، نشر دار البشائر الإسلامية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٩٢ ـ «**الفقيه والمتفقه**»: الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي، تصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري، نشر مكتبة أنس ١٤٠٠هـ.

١٩٣ ـ «**الفهرست للنديم**»: أبو الفرج: محمد بن أبي يعقوب، تحقيق رضا تجدد، طبعة طهران ١٣٥٠هـ / ١٩٧١م.

١٩٤ ـ **«فوات الوفيات»**: الكتبي: محمد بن شاكر، تحقيق د. إحسان عباس، نشر دار صادر ـ بيروت.

١٩٥ ـ **«في ظلال القرآن»**: سيد قطب. الطبعة السابعة، نشر دار المعرفة ـ بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

١٩٦ ـ **«في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة»**: د. محمود أحمد خفاجي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

١٩٧ ـ **«في علم الكلام»**: د. أحمد محمود صبحي، نشر مؤسسة الثقافة الجامعية ـ مصر ـ الإسكندرية ١٩٧٨م.

(ق)

١٩٨ ـ **«القائد إلى تصحيح العقائد»**: اليماني عبد الرحمن بن يحيى المعلمي تعليق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة نشر المكتب الإسلامي ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٩٩ ـ **«قاموس القرآن»**: الدامغاني: الحسين بن محمد، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، الطبعة الرابعة، نشر دار العلم للملايين ١٩٨٣م.

٢٠٠ ـ **«القاموس المحيط»**: الفيروز آبادي: مجد الدين بن يعقوب، نشر دار الجيل ـ بيروت.

٢٠١ ـ **«قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام»**: د. توفيق الطويل، ط. مطبعة دار نشر الثقافة ـ الإسكندرية، نشر دار الفكر ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م.

٢٠٢ ـ **«قصة الحضارة»**: وول ديورانت، ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة، نشر لجنة التأليف والنشر ١٩٧٤م.

٢٠٣ ـ **«قطر الولي على حديث الولي»**: الشوكاني: محمد بن علي، تحقيق د. إبراهيم إبراهيم هلال، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٠٤ ـ **«قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر»**: الصديق حسن خان، حقق وخرج أحاديثه د. عاصم بن عبد الله القريوني، نشر: شركة الشرق الأوسط للطباعة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢٠٥ ـ **«قواعد التحديث»**: القاسمي: محمد جمال الدين، تحقيق محمد بهجة البيطار، طبعة عيسى الحلبي، نشر دار إحياء الكتب العربية.

٢٠٦ ـ **«قواعد العقائد»**: الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، تحقيق مرسي محمد علي، الطبعة الثانية، نشر عالم الكتب ـ بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(ك)

٢٠٧ ـ **«الكامل في التاريخ»**: ابن الأثر، الطبعة السادسة، نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٢٠٨ ـ **«كبرى اليقينيات الكونية»**: البوطي: محمد سعيد رمضان، نشر دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٥هـ مصورة عن طبعة ١٩٨٢م.

٢٠٩ ـ **«كتاب الإمامة والرد على الرافضة»**: الأصبهاني: أبو نعيم، تحقيق د. علي ناصر فقيهي، الطبعة الأولى، نشر مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنور ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٢١٠ ـ **«كتاب الإيمان»**: محمد بن يحيى العدني، تحقيق حمد بن حمدي الجابري، ط. الأولى ١٤٠٧هـ، نشر الدار السلفية.

٢١١ ـ **«كتاب التوحيد»**: الماتريدي: أبو منصور، تحقيق فتح الله خليف، نشر المكتبة الإسلامية ـ تركيا.

٢١٢ ـ **«كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية»**: الرازي: أبو حاتم أحمد بن حمدان، تحقيق عبد الله بن سلوم السامرائي، ملحق بكتاب الغلو والفرق الغالية للدكتور عبد الله سلوم السامرائي، نشر دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

٢١٣ ـ **«كتاب الكافي (أصول الكافي)»**: الرازي: أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، صححه وقابله نجم الدين الأملي، قدم له وعلق عليه علي أكبر الغفاري، نشر المكتبة الإسلامية ـ طهران.

٢١٤ ـ **«الكتاب المقدس (العهد الجديد)»**: الأناجيل.

٢١٥ ـ **«الكتاب المقدس العهد القديم»**: طبعة جميعة التوراة الأمريكية.

٢١٦ ـ **«الكشاف»**: الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، نشر دار المعرفة ـ بيروت.

٢١٧ ـ **«كشاف اصطلاحات الفنون»**: الفاروقي: محمد علي، تحقيق لطفي عبد البديع، نشر المؤسسة المصرية للتأليف.

٢١٨ ـ **«كشف الأسرار»**: الخميني: تقديم د. محمد علي الخطيب. الطبعة الأولى، نشر دار عمار للتوزيع عمان ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

٢١٩ ـ **«الكنز المرصود في قواعد التلمود»**: ترجمة د. يوسف نصر الله، قدم له مصطفى أحمد الزرقا، ود. حسن ظاظا الطبعة الأولى، نشر دار القلم ـ دمشق ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

(ل)

٢٢٠ ـ **«اللبـاب في تهذيب الأنساب»**: الجزري: عز الدين ابن الأثير، نشر دار صادر ـ بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٢٢١ ـ **«لسان العرب»**: ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمدين مكرم بن منظور، نشر دار صادر ـ بيروت.

٢٢٢ ـ **«لسـان الميـزان»**: ابن حجـر: أحمد بن علي العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامة حيدرآباد الدكن، تصوير مؤسسة الأعلمي للمطبوعات الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٢٢٣ ـ **«لمـع الأدلـة»**: الجويني: عبد الملك الجويني، تحقيق د. فوقية حسين محمود الطبعة الأولى، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف ـ مصر ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

٢٢٤ ـ **«لوامع الأنوار الإلهية»**: السفاريني: محمد بن أحمد، مطبعة المدني.

(م)

٢٢٥ ـ **«متشـابـه القـرآن»**: الهمـذاني: عبد الجبار بن أحمد، تحقيق د. عدنان محمد زرزور، نشر دار إحياء التراث ـ القاهرة.

٢٢٦ ـ «**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**»: الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر، الطبعة الثالثة، نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٢٢٧ ـ «**مجمل اللغة**»: ابن فارس: أحمد بن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان الطبعة الأولى، نشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٤هـ.

٢٢٨ ـ «**مجموعة الرسائل الكبرى**»: ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، طبعة مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.

٢٢٨ ـ «**مجموعة الرسائل والمسائل**»: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٢٩ ـ «**محاضرات في النصرانية**»: أبو زهرة: محمد، طبعة مطبعة عقل، نشر دار الفكر العربي ـ القاهرة.

٢٣٠ ـ «**محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين**»: الرازي: فخر الدين محمد بن عمر الخطيب. تقديم طه عبد الرؤوف سعد، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

٢٣١ ـ «**المحيط بالتكليف**»: الهمذاني: عبد الجبار بن أحمد، تحقيق عمر السيد عزمي، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.

٢٣٢ ـ «**مختصر الصواعق المرسلة**»: لابن القيم، ابن الموصلي: محمد، نشر دار الفكر.

٢٣٣ ـ «**مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي**»: اختصار وتحقيق، الألباني: محمد ناصر الدين، الطبعة الأولى، نشر المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٢٣٤ ـ «**مذكرة في أصول الفقه**»: الشنقيطي: محمد الأمين الجكني، مطابع دار الأصفهاني ـ جدة، نشر الجامعة الإسلامية.

٢٣٥ ـ «**المستدرك على الصحيحين**»: الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، طبعة دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد، نشر دار الكتب العلمية.

٢٣٦ ـ «**المستشرقون**»: نجيب العقيقي، الطبعة الرابعة، نشر دار المعارف.

٢٣٧ ـ «**المسند**»: الإمام أحمد بن حنبل، ط. الثانية، المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٢٣٨ ـ «**المسند**»: الإمام أحمد بن حنبل، شرح وتعليق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة، نشر دار المعارف ـ بمصر ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م.

٢٣٩ ـ «**المسيحية**»: د. شلبي: أحمد، الطبعة السادسة، نشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٨م.

٢٤٠ ـ «**مشكل الحديث وبيانه**»: ابن فورك: أبو بكر محمد بن الحسن، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٢٤١ ـ «**المعارف**»: ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق د. ثروت عكاشة الطبعة الرابعة، نشر دار المعارف.

٢٤٢ ـ «**معالم أصول الدين**»: الرازي: فخر الدين محمد بن عمر، تقديم طه عبد الرؤوف سعد، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

٢٤٣ ـ «**معالم التنزيل**»: البغوي: أبو محمد الحسين بن محمد الفراء، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

٢٤٤ ـ «**معاني القرآن وإعرابه**»: الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى، نشر عالم الكتب بيروت ١٤٠٨هـ.

٢٤٥ ـ «**المعتزلة وأصولهم الخمسة**»: المعتق: عواد عبد الله، الطبعة الأولى، نشر دار العاصمة ١٤٠٩هـ.

٢٤٦ ـ «**معجم مقاييس اللغة**»: ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر دار الكتب العلمية ـ إيران.

٢٤٧ ـ «**معرفة علوم الحديث**»: الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تصحيح وتعليق السيد معظم حسين، طبع مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.

٢٤٨ ـ «**المغني في أبواب العدل والتوحيد**»: الهمذاني: عبد الجبار بن أحمد، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب، نشر دار الثقافة والإرشاد ١٩٦٠م.

٢٤٩ ـ «**مقالات الإسلاميين**»: الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل، تحقيق محمد

محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية نشر مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

٢٥٠ ـ «**الملل والنحل**»: الشهرستاني: محمد عبد الكريم، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، طبعة دار الاتحاد العربي للطباعة، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م.

٢٥١ ـ «**مناقب الإمام أحمد**»: ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، الطبعة الثالثة نشر دار الأفاق ١٤٠٢هـ.

٢٥٢ ـ «**المنتقى من منهاج الاعتدال**»: الذهبي: أبو عبد الله محمد بن عثمان، تحقيق محب الدين الخطيب.

٢٥٣ ـ «**منهاج السنة**»: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، تحقيق د. محمد رشاد سالم، مطبعة المدني ـ القاهرة.

٢٥٤ ـ «**منهاج السنة**»: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، تحقيق د. محمد رشاد سالم طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، مطابع الجامعة.

٢٥٥ ـ «**منهاج الكرامة**»: ابن المطهر الحلي، مطبوع مع كتاب «منهاج السنة» مطبعة المدني.

٢٥٦ ـ «**منهج الأشاعرة في العقيدة**»: سفر الحوالي، الطبعة الأولى، نشر الدار السلفية ـ الكويت ١٤٠٧هـ.

٢٥٧ ـ «**منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات**»: الشنقيطي: محمد الأمين الجكني، نشر الجامعة الإسلامية.

٢٥٨ ـ «**المنية والأمل**»: ابن المرتضى: أحمد بن يحيى، تصحيح توما آرنلد، دار صادر ـ بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن ١٣١٦هـ.

٢٥٩ ـ «**الموافقات في أصول الشريعة**»: الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، شرح عبد الله دراز، نشر دار المعرفة ـ بيروت.

٢٦٠ ـ «**المواقف في علم الكلام**»: الإيجي عبد الرحمن بن أحمد، نشر عالم الكتب ـ

بيروت .

٢٦١ ـ **«الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف»**: أبو عمار: عبد الكافي الإباضي ، ضمن كتاب آراء الخوارج الكلامية ، د. عمار طالبي ، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ١٣٩٠هـ .

٢٦٢ ـ **«الموطأ»**: الإمام : مالك بن أنس ، تصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار إحياء التراث العربي .

٢٦٣ ـ **«ميزان الاعتدال»**: الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان ، تحقيق علي محمد البجاوي ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .

(ن)

٢٦٤ـ **«النبوات»**: ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٢٦٥ ـ **«النبوة والأنبياء في ضوء القرآن»**: الندوي : أبو الحسن علي الحسني ، الطبعة السادسة ، نشر دار القلم ـ دمشق ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٢٦٦ ـ **«النجوم الزاهرة»**: ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، نشر المؤسسة المصرية العامة .

٢٦٧ ـ **«نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر»**: ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن ، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، الطبعة الأولى ، نشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٢٦٨ ـ **«نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام»**: النشار ، د. علي سامي ، الطبعة الثامنة ، نشر دار المعارف بمصر .

٢٦٩ ـ **«نقض المنطق»**: ابن تيميّة : أحمد بن عبد الحليم ، . تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة وسليمان الصنيع ، تصحيح محمد حامد الفقي ، نشر مكتبة السنة المحمدية .

٢٧٠ ـ **«نهاية الإقدام»**: الشهرستاني محمد عبد الكريم ، تصحيح الفرد جيوم .

٢٧١ ـ «**النهاية في غريب الحديث**»: ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وحمود محمد الطناحي، نشر المكتبة العلمية ـ بيروت.

٢٧٢ ـ «**النهاية في الفتن والملاحم**»: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، نشر دار التراث الإسلامي، الأزهر.

٢٧٣ ـ «**النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد**»: أبو سليمان جاسم الفهيد الدوسري، الطبعة الأولى، نشر دار الخلفاء ـ الكويت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

(هـ)

٢٧٤ ـ «**هداية الحيارى**»: ابن القيم: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، تعليق مصطفى أبي النصر الشلبي، الطبعة الأولى، نشر مكتبة السوادي ـ جدة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(و)

٢٧٥ ـ «**وجاء دور المجوس**»: عبد الله محمد الغريب، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٢٧٦ ـ «**الوصية الكبرى**»: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، تحقيق أبي عبد الله محمد ابن حمد الحمود، الطبعة الأولى، نشر مكتبة ابن الجوزي ـ الإحساء ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٢٧٧ ـ «**وفيات الأعيان**»: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، تحقيق د. إحسان العباس، نشر دار صادر.

●●●●●

فهرس الآيات القرآنية الكريمة





فهرس الأحاديث النبوية والآثار

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(خ)

(ك)

(ل)

(م)

(و)

(لا)

(ي)

●●●●●

فهرس الفرق والطوائف

(أ)

(ج)

(غ)

(ف)

(ف)

(ك)

(م)

(ن)

(ي)

●●●●●

فهرس الموضوعات

الباب الأول: في وسطية هذه الأمة بين الأمم

الباب الثاني: في وسطية أهل السنة بين الفرق

الفهارس

● ● ● ● ●

التنضيد والمونتاج
دار الحسن للنشر والتوزيع
هاتف ٦٤٨٩٧٥ - ص.ب ١٨٢٧٤٣ - عمان - الأردن